الحالة السلفية المعاصرة في مصر

أحمد زغلول شلاطة



مكتبة مدبولي

الحالة السلفية المعاصرة
في مصر

الكتـــــــــاب : الحالة السلفية المعاصرة
في مصـــر

الكــــــــاتب : أحمد زغلول شلاطة

الطبعـــــة الأولى : عـام ٢٠١١

الناشــــــــــر : مكتبة مدبولي ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
تليفون : ٢٥٧٥٦٤٢١ - فاكس : ٢٥٧٥٢٨٥٤

الـبريد الإلكــتروني : www.madboulybooks.com
Info@madboulybooks.com

رقـــم الإيـــداع : ١٧٧٣٧/ ٢٠١٠

الـترقـيم الـدولي : 0 -863 -208 -977

الحالة السلفية المعاصرة
في مصـــــر

تأليف

أحمد زغلول شلاطة

الناشـــر

مكتبة مدبولي

2011

إن عشتُ في قربك يوماً

بألف عامٍ يومُكَ يُحسبُ

تَلقاكَ العُيونُ فرحات

هو أنتِ .. من في العمر أرجوه

أشدو باسمك عشقاً

جَلتْ بك دُنيتي يا درة التاج

إليكِ ..

شئتِ أم أبيتِ

أحمد زغلول

ما كان ظنى أن تكونَ نهايتى
فى آخر المشوارِ دَمْعَ عتابِ!
ويضيعُ عمرى فى دروب مدينتى
ما بين نار القهرِ.. والإرْهابِ
ويكون آخر ما يُطلُّ على المدى
شعبٌ يُهرْولُ فى سوادِ نقابِ

هذا عتاب الحب للأحباب

فاروق جويدة

مقـــدمة

انتشرت مظاهر التدين في كل مظاهر الحياة في المجتمع المصري المعاصر بدءًا من أسماء المحلات التي أخذت أسماءاً دينية من التقوى والإيمان والتوحيد والبركة والميضأة و .. و.. . ورغم فتاوى عدم تحريم الغناء لم يخل الأمر أيضًا من الغناء – المباح – الديني الذي أصبح صيحة العصر الحالى ويجذب الكثير من الشباب وملجئاً لبعض المطربين الذين قرؤوا الساحة الشبابية ووجدوا أن الفرصة أمامهم لو استبدلوا الغناء العاطفي بالديني بعد أن فشلوا في إثبات أنفسهم كمطربين وتحوَل بعضهم إلى مُنشدين مواكبةً للتدين الحالي وقد كان الرائد في مجال الأغنية الدينية المطرب سامي يوسف الذي هبط كالإعطار في سوق الغناء واكتسب أرضية واسعة جعلت الكثيرين يحاولون تقليده والسير على خطاه كي ينالوا نصيباً من كعكة النجاح التي حققها في الأوساط الشبابية وغير الشبابية .

ولظروف هجرة الآلاف من المصريين إلى الخليج عموماً والمملكة العربية السعودية خصوصاً وتأثرهم بالفكر الوهابي هناك ونقلهم لهذه الأفكار لأسرهم ووسطهم المحيط بهم، أدى الأمر إلى وجود جيل كامل نشأ تحت هيمنة الفكر السعودي هذا التأثير ساهم في اختفاء هويتنا الثقافية لصالح هوية سعودية بدوية وهّابية تهتم بالشكل بديلاً عن الجوهر .. نحتفل بالتدين المظهري، ولا نكترث بالتدين السلوكي أو حتى "أعمال القلوب".

عندما نتأمل المجتمع في الحالة المصرية نجد أن صفحات الحوادث تغمرنا يومياً بأحداث عنف شرسة بلا مبرر، وجرائم أخلاقية لم تكن معهودة من قبل، حيث أن لهذا الأمر والسلوك أبعاد سياسية واجتماعية، ونفسية. ومن أهم وأخطر أسباب هذه

التصرفات "تنامي الفكر الديني الاستقطابي الذي يكفر الآخر أو يُفسقه أو يلغيه ويستعبده"[1].

فحيث أن إلغاء التعدد – وهو حكمة ربانية – وسيادة الرأي الواحد، والفكر الواحد، يُؤدي إلى ضيق أفق الفرد، فتقل أمامه الخيارات المتاحة، وعندما يعجز عن إحداث تغيير في الوسط المحيط به، فلا يبقى سوى حل واحد يكون هو الملاذ الوحيد ألا وهو العنف.

ومكمن الخطر المتوقع هو مما يمكن أن نُسميه بـ"المتدينون الجدد" وهم الجيل الذي تربت أفكاره وتأسست رؤيته للدين بناءً على أشرطة الكاسيت والفضائيات الدينية والدروس الدينية التي تُقام في بعض المساجد والكتيبات الدينية التى أصبحت المرجع لهم واتخذوها دليلاً على علمهم وأصبحوا بعد ذلك دُعاة وشعارهم "بلغوا عني ولو آية". وأصبح الكل يدعو إلى سبيل الله وتجرأ الكثير على أمور الفتوى في ظل مرجعية روحية سلفية فضائية هُم في ظل هذه العلاقة الأحادية مُتلقين فقط لا مشاركين.

ومكمن الخطورة ليس في الدين – أي دين – ولكنه يعود إلى سوء الفهم فالدين قد يكون مصدراً لظهور التعصب نحو بعض الشعوب أو الطوائف. فالمتدين يميل إلى أن يتخذ الدين قناعاً لكل أنواع الأفعال القاسية التي يرتكبها وقد يُصور القناع تعبيرات جميلة لكنه في قرار نفسه يخفي دوافع آثمة[2]. وهذا الجيل يمتاز ويميزه عن غيره من الأجيال السابقة عدة أمور تدلنا على الحالة الفكرية المتأثرة بالتطور الحادث في الحياة وهي: ثقافته سمعية بصفة أساسية. ليس له جذور في التدين أي حديث العهد بالتدين مندفع في الدعوة والفتوى، كما أن مرجعيته سلفية فضائية، ولا يعترف بتعدد الآراء في المسألة الواحدة ويرى أن ذلك يؤدي إلى التفرقة والتشتت، كما أنه

(1) د. محمد المهدي أجريدة الدستور المصرية . ع ٢٠١ بتاريخ ٢١ يناير ٢٠٠٩م

(2) سيكلوجية العلاقات بين الجماعات أد. أحمد زايد.

يرى نفسه دائماً على صواب وغيره دائماً على خطأ، وهنا مكمن الخطورة. فالتشدد هو الطريق الأقصر إلى التعصب، فالتعصب لدين ما أو فكر ما - أياً كان هذا الدين أو الفكر - له تأثيرات غاية في الخطورة بشأن استقرار المجتمع وأمن الأفراد حيث يتميز هذا الفرد المتعصب بـ:

١. النزعة الشديدة لتصنيف الأفراد.

٢. زيادة المسافة الاجتماعية؛ فهو يباعد بين الناس ويؤدي إلى التشاحن والصراع.

٣. ينظر المتعصب إلى ضحاياه على أنهم أقل منه في المكانة وأمور كثيرة أخرى.

٤. الجمود الخلقي وما يصاحبه من جمود في المعايير العامة[1].

وكل هذه المظاهر نلاحظها على الشباب حديث العهد بالتدين المُنضم إلى إحدى الجماعات الدينية، حيث يرى في انتمائه قوة واستعلاء على غيره من الناس، ويدخل الكبر نفسه أما إغراءات العبادة والطقوس الدينية التي أصبح يؤديها فرادى أو في جماعات، ويقارن بين حاله - وحال جماعته - وحال غيره من باقي فئات المجتمع البعيد كل البعد - من وجهة نظره - عن الدين كما يراه فيجد أنه أصبح أفضل منهم وأعلى كعباً وله الحق في تقييمه والحكم عليه، وهذه هي الحالة المقدمة والممهدة ليكون هذا الفرد أداة في يد أية جماعات متطرفة قد يقوده حظه العاثر للوصول إليها، فنجد أنفسنا أمام جيل بسبب التعصب للرأي وأُحادية الفكر أدت به اختياراته إلى العنف والخروج عن المجتمع والحكم بتكفيره.

لذا كان مكمن الخطورة التي استشعرناها ومن أجلها كان هذا الكتاب عسى أن يكون صرخة ينتبه لها المسؤولون والكتاب المهتمون، والعلماء المختصون في هذا البلد - وأي بلد - ومحاولة لإيضاح بعض المفاهيم التي قد تكون مُلتبسه عند بعض الشباب في مرحلة سنية حرجة، ولا نقول إننا أحطنا بكل الجوانب أو إننا جعلنا من

(١) سيكلوجية العلاقات بين الجماعات أ.د. أحمد زايد.

أنفسنا أوصياء على غيرنا، كما لا ندعي أننا سنضع حداً لهذه الأفكار المتشددة، أو إن كتابنا سيضع حداً لهذه الأفكار بل نقول إننا يجب أن نضع أمام أعيننا ما يلي نبراساً في كل أمور حياتنا:

قال الرسول ﷺ :

«إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها».

وورد عن الإمام علي رضى الله عنه قوله :

رُبَّ همة أحيت أُمة .

وعن الإمام الشافعي أنه قال :

رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب .

وقال الإمام مالك :

كل يأخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر، وأشار إلى قبر المصطفى ﷺ.

وقد ورد عن العماد الأصفهاني أنه قال:

"إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو ترك هذا لكان أفضل ولو قدم هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر وما الكمال إلا لله وحده".

أحمد زغلول

الباب الأول

السلفية والوهابية

مدخل عن الحركات الإسلامية

أ – السلفية : المصطلح والملامح

- **التعريف**
- **الوهَّابية والسلفية**
- **سلفية واحدة أم عدة سلفيات**

أولاً : السلفية العلمية

ثانياً : السـلفية الحركية

ثالثاً : السـلفية الجهادية

ب – الحركة الوهابية

– لمحات تاريخية : محمد بن عبد الوهاب.

– مرحلة التكوين والبدايات

– علماء العصر

– أثر كلام وأفكار ابن عبد الوهاب

– الحدود بين الديني والسياسي

- اللقاء ابن عبد الوهاب وابن سعود
- ما بعد البيعة والعهد
- التباس المفاهيم
- آداب الحروب في فكر الإسلام "الوهابي"

• ما يُؤخذ على الدعوة الوهابية "السلفية".

• صورة من شكل الحياة المرجُوّة من وحي فتاوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل باز يرسمها لحياتنا المعاصرة وفقاً لضوابط الإسلام كما يراه.

مدخل عن الحركات الإسلامية

هناك الكثير من المُصطلحات التي نتداولها اليوم كشيء مُسلم به، وعند إخضاعها للمنهج العلمي نجد أننا أمام مشكلة كبيرة تتمثل في تَعدد وتنوع التعريفات المتاحة وتعارضها وتشابكها بعضها مع البعض بشكل يثير اللبس والغموض.

ومن أمثلة ذلك مصطلحات مثل: "الإسلام السياسي" و"الحركات الإسلامية" و"التطرف". حيث تعاني الغالبية الساحقة من تلك المصطلحات والتصنيفات العربية، والأجنبية، من نقطة ضعف جوهرية تضع حدوداً على التعبير الدقيق.. وهي أنها تعود في معظمها إلى أصول معرفية أجنبية.. وبذلك لا تنتمي إلى المجال التاريخي والمعرفي الإسلامي الذي نشأت الحركات الإسلامية المعاصرة ضمن حُدوده وتطورت بداخله[1].

ولذلك فإن الأمر لا يَسلم من وجود تَحيزات وقناعات معرفية وأحكام مسبقة لدى واضعي ومستخدمي هذه المصطلحات، حيث "يستند واضعو تلك المصطلحات والتصنيفات إلى جزء من خصائص بعض الحركات الإسلامية لكي يُعمموا مضمونه على الحركات كلها أو معظمها"[2].

ورغم أن مرجعية جميع هذه الحركات الإسلام، وتشابه الكثير من برامجها وأهدافها إلا أن هناك فروقاً دائمـاً بينها، فقد يؤدي الخلاف بين أعضاء تنظيم واحـد أو جماعة حول مسألة ما إلى حدوث انشـقاق عن التنظيم وبروز تنظيم جديد، وهـذا

(١) ضياء رشوان – تحرير – دليل الحركات الإسلامية في العالم، العدد الأول، ط ١ – ٢٠٠٦ م، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ص ١٦.

(٢) دليل الحركات الإسلامية في العالم، م س، ص ١٦.

ما يحدث فعلاً، فالمتابع الدقيق للحركات الإسلامية يُلاحظ هذا الأمر بسهولة. فلوجود اختلاف في تفسير آيات الصفات انفصلت مجموعة عن الجمعية الشرعية وكونوا جماعة أنصار السنة المحمدية، وهناك انشقاقات كثيرة بين تيار العنف الإسلامي بداية من شكرى مصطفى المتعاطف مع فكر الإخوان المسلمين وانقلابه عليهم وتأسيسه جماعة المسلمين "التكفير والهجرة"، وكذلك انشقاق يحيى هاشم عن تنظيم جماعة الجهاد وقيامه بتأسيس تنظيم يحمل اسمه، وانقسام الجماعة الإسلامية إلى الجماعة الإسلامية وتنظيم الجهاد في أثناء محاكمات التنظيم في قضية مقتل الرئيس السادات عام ١٩٨١م، وأيضاً انشقاق أيمن الظواهري وآخرين عن تنظيم الجهاد المصري لتنظيم القاعدة وغير ذلك الكثير.

وباختلاف التعريفات تختلف أيضاً التقسيمات[1]، فهناك من رأى أن الحركة الإسلامية تنقسم إلى تيارين رئيسيين هما:

١. **التيار الإصلاحي** : ويُمثله في مصر "الإخوان المسلمون" ومن على شاكلتها من الجماعات الأخرى التى لا تسعى إلى تغيير فوري وسريع عبر القوة المُسلحة.

٢. التيار الثوري وأبرز من يمثله في مصر" تنظيم الجهاد "ومن على شاكلته من المنظمات التي تسعى إلى إجراء تغيير سريع وشامل بالقوة المسلحة.

وقد حاول الدكتور **أسامة عبد الله حميد** أستاذ الجغرافيا السياسية بجامعة بنها، **وأحد أبرز المفكرين السياسيين في تنظيم الجهاد المصري**، وضع تقسيم في ورقة قدمها لمؤتمر عن **"الفكر السياسي الإسلامي"** كان قد نظمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي

(١) سنعتمد في الجزء الخاص بتقسيمات الحركة الإسلامية على ما أورده (عبد المنعم منيب) في كتابه "خريطة الحركات الإسلامية في مصر" ط الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان ٢٠٠٩، ص١٣:١٠ بتصرف.

بلندن في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي، حيث قسَّم الحركة الإسلامية إلى أربعة تيارات:

١. **تيار الإسلام الإصلاحي** : ويُمثله الإخوان المسلمون ومن على شاكلتهم ممن يسعون إلى تغيير متدرج سلمياً، وربما جزئياً.

٢. **تيار الإسلام الثوري** : ويُمثله تنظيم الجهاد في مصر ومن على شاكلته ممن يسعون إلى القيام بتغيير شامل وفوري بالأساليب المسلحة.

٣. **تيار الإسلام السياسي** : ويمثله في تاريخ مصرالحديث جماعة مصر الفتاة بقيادة أحمد حسين، ويُقصد به كل من يتبنى الإسلام كمنهج ومرجعية سياسية في مواجهة الحاكم دون أن تتجذر لديه المفاهيم الإسلامية الأصيلة سواء كإسلام إصلاحي أو كإسلام ثوري، فالإسلام بالنسبة إليه **مجرد شعار ونوبة حماسية يواجه بها ظُلم الحاكم**، واعتبر أسامة عبد الله حميد أن جمال عبد الناصر كان ينتمي إلى هذا الاتجاه الفكري قبل أن يصل إلى الحكم.

٤. **تيار الإسلام المزيف** (حسب توصيف المؤلف) : وهو التيار الذي يمثله جمال عبد الناصر بعد وصوله إلى الحكم وهو التيار الذي لا يتخذ من الإسلام سوى مظهر وشعار لتحقيق مصالح ومآرب أخرى لا علاقة لها بالإسلام، و يعتبر أسامة حميد أن كل شخص أو جماعة تنتمي إلى تيار "الإسلام السياسي" يتحول إلى الانتماء لتيار "الإسلام المزيف" عند وصوله إلى الحكم.

وهناك من وضع تقسيم على أساس **الأسس العقائدية** فالجماعات الإسلامية هناك على أساسين:

الأول: **عقيدة كل منها أو موقفها الغالب في مجال أصول الدين** وتنقسم إلى:

١. **جماعات أهل السنة**: وهي كل الجماعات التي تتبنى في مجال العقيدة أغلب مواقف ومذهب أهل السنة والجماعة، وتشمل بذلك (فيما يتعلق بمصر) "الإخوان

المسلمون" و"القطبيون" بعد عام ١٩٨١م و"السلفيون" و"أنصار السنة" و "الجمعية الشرعية" و"تنظيم الجهاد" ونحوهم.

٢. جماعات الفرق: وهي كل الجماعات التي تتبنى آراء وعقائد تخالف مذهب أهل السنة، وتشمل بذلك (فيما يتعلق بمصر) "جماعة المسلمون" المعروفة إعلامياً باسم "التكفير والهجرة"، و"الشوقيون" وجماعات "التوقف والتبين" كـ" الناجون من النار" و"القطبيون" قبل عام ١٩٨١م.

الثاني : أسلوب كل منهما في الحركة والعمل السياسي وتنقسم إلى:

١. جماعات سلمية: وهى تلك التي تتخذ من الوسائل السلمية أساليباً إلى العمل والحركة من أجل تحقيق أهدافها مثل (فيما يتعلق بمصر) "الجمعية الشرعية" و"أنصار السنة" و"السلفيون" و"الإخوان المسلمون" بعد منتصف السبعينيات، وبعض جماعات "التوقف والتبين" ومثل "جماعة المسلمين" بعد عام ١٩٨٢م، و"القطبيون" ونحو ذلك.

٢. جماعات مسلحة: وهي تلك التي تتخذ من الوسائل المسلحة أساليباً إلى العمل والحركة من أجل تحقيق أهدافها، ومن أمثلتها (فيما يتعلق بمصر) "تنظيم الجهاد" و"منظمة القاعدة" و"جماعة التوحيد والجهاد" و"الجماعة الإسلامية" قبل١٩٩٨ م، و"الشوقيون"، و"جماعة المسلمين" قبل ١٩٨٢م ونحوهم.

أما في (دليل الحركات الإسلامية)[1] فقد قَدّم تقسيماً إلى الحركات الإسلامية من فئتين رئيسيتين لا يجمع بينهما سوى الانتساب إلى الإسلام مع الاختلاف في طريقة فهمه، وترتبط بعلاقة ما مع السياسة وفي مركزها السلطة والدولة أكثر من ارتباطها بالمجتمع والممارسات الاجتماعية والدينية الطقوسية وهذا التقسيم على النحو التالي:

(١) دليل الحركات الإسلامية في العالم ، م س ، ص ١٨: ٢٤بتصرف.

أولاً: الحركات الإسلامية الدينية .

وتقوم على قراءة معينة إلى الإسلام والنصوص القرآنية من منظور صحة العقيدة فقط والقضية الرئيسية وربما الوحيدة هي إقامة التوحيد والعبودية الحقة لله كما تراهما، وتمثل النصوص القرآنية والنبوية وبعض آثار السلف المعين شبه الوحيد لجلب الأفكار والخبرات التنظيمية والحركية، وتفسر النصوص على أساس قاعدة عموم اللفظ، وهذا يدفعها إلى التورط في أحكام متسرعة بكفر الدول وجاهلية المجتمعات والأفراد. والهدف الرئيسي لتلك الحركات هو إعادة أسلمة المجتمعات والدول، وكذلك الأفراد بالنسبة إلى بعضها خارجون عن الإسلام بصور مختلفة *وتنقسم هذه الحركات إلى قسمين* :

١. الحركات المتطرفة السلمية : حيث تتفق على أن المجتمعات المعاصرة أقرب إلى حالة المجتمع الجاهلي والكافر في مكة بعد البعثة وقبل الهجرة، وترى أن الوقت لم يحن بعد للعمل بالسياسة أو بناء دولة إسلامية لأنهم كمسلمين قليلي العدد وعند التساؤل داخل هذه الحركات حول طريقة التعامل مع هؤلاء الأفراد والدول والمجتمعات فتنقسم إجاباتهم إلى قسمين:

(أ) حركات التكفير والهجرة : وهي التي ترى أن المجتمعات المعاصرة لم تعد تضم سوى الكافرين فقط ولا بد من الهجرة حيث أنهم يمثلون المسلمين الوحيدين ومن لم ينضم إليهم فهو كافر كفراً بواحاً، والهجرة تكون بالاعتزال داخل المجتمع أو بالخروج منه.

(ب) حركات إعادة الدعوة : وترى أن المجتمعات المعاصرة تشبه مجتمع مكة بعد البعثة النبوية وأن إعادة دعوة الناس الذين يجهلون الإسلام - كمثل كفار مكة – تعد المهمة الوحيدة ومن هذه الحركات "التبليغ والدعوة".

٢. الحركات الجهادية العنيفة : حيث تتفق على أن المرحلة التي نعيشها اليوم يمكن أن نقارنها بمرحلة هجرة الإسلام إلى المدينة وما تلاها، والمجتمعات الحالية قد

عادت إلى الجاهيلة التي سبقت الإسلام وحكومات الدول المسلمة خارجة عن الإسلام ولذا فلا تجوز إعادة الدعوة إلى الإسلام، ويعد العنف الديني أو الجهاد الوسيلة الوحيدة لإعادة أسلمة المجتمع والدولة وتأسيسهما من جديد على نفس القواعد التي أسست عليها دولة المدينة. ونظراً إلى اختلاف ظروف ومراحل ومناطق نشأة تلك الحركات فإنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام تتفق حول المفاهيم الأساسية وتختلف في الأولويات الحركية لتطبيقها.

(أ) **الحركات محلية الطابع** : وهي ترى أن العدو القريب أولى بالقتال من العدو البعيد وحولت مفهوم الجهاد من الدفاع عن دار الإسلام ضد العدو الخارجي إلى جهاد داخلي ضد الحكومات التي تنتمي إليها ولصعوبة وصف هذه البلدان بأنها "دار إسلام" ابتدعت مفهوم "الدار المختلطة" لتبرير القتال فيها، وهي بذلك ترى حكوماتها كافرة. ومن أمثلة هذه الحركات "الجماعة الإسلامية والجهاد بمصر، والجماعة الإسلامية المسلحة بالجزائر، والجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا".

(ب) **الحركات الاستقلالية - الانفصالية** : حيث تتواجد عُموماً في مناطق الأقليات المسلمة بداخل الدول غير الإسلامية ، ويتداخل لديها مفاهيم الجهاد ضد العدو الخارجي غير المسلم الذي يسيطر على الأقاليم التي تسعى إلى استقلالها أو انفصالها مع مفاهيم التحرر الوطني، وترى أن مجتمعات أقاليمها تعيش حالة جاهلية وبعد تحقيق الانفصال سيتم إعادة أسلمتها .

(جـ) **الحركات دولية المجال** : وتتشارك مع الفئتين الأخريين في الأفكار الرئيسية ولكنها تتبنى مفهوم الجهاد الخارجي ضد أعداء الإسلام الخارجيين حيث ترى أن العدو البعيد أولى بالقتال من العدو القريب بالرغم من اتفاقها في النظر إلى العدو القريب - أي حكومات الدول الإسلامية - باعتبارها

كافرة. وتتشكل عادة من خليط من الإسلاميين ذوي النزعات الجهادية في مختلف بلدان العالم.

ثانياً: الحركات السياسية - الاجتماعية ذات البرنامج الإسلامي .

حيث تنظر إلى كل الأفراد والمجتمعات والدول الإسلامية كمسلمين غير ناقصي العقيدة، وترى أن عليها إعادة تنظيم تلك المجتمعات على أسس إسلامية حيث لا توجد سوى في الشريعة الإسلامية فهي ترى أن الشريعة إنتاج بشري وليس نصاً دينياً مقدساً قام به الفقهاء خلال القرون الماضية لتحويل النصوص القرآنية والنبوية إلى قواعد قانونية واجتماعية وسياسية لتنظيم الدولة الإسلامية، وتفسيرها للنصوص القرآنية والنبوية يشمل مقاصد الشريعة وأسباب النزول ومصالح الناس وتنظر إلى التاريخ الإسلامي ككل ولا تتوقف عند الخلافة الراشدة ولا تمانع من الاستفادة من الأمم الأخرى وتنقسم إلى نوعين :

(أ) **الحركات السلمية الساعية إلى الحكم:** حيث تسعى بشكل مباشر إلى السلطة السياسية من أجل تطبيق برنامجها ذي الطابع الإسلامي، وتتنوع مواقفها وتحالفاتها بحسب ما تقتضيه مصلحتها مثال: جماعة الإخوان المسلمين، وجماعة النهضة بتونس، والجبهة الإسلامية إلى الإنقاذ بالجزائر.

(ب) **حركات التحرر الوطني المسلحة :** وهي جزء من الحركات السياسية - الاجتماعية ذات البرنامج الإسلامي دفعتها ظروف مجتمعاتها المحتلة إلى تبني برنامج للتحرر الوطني أساسه الكفاح المسلح، مثل جماعة الإخوان المسلمين بمصر في أثناء حرب فلسطين والمقاومة المصرية ضد الإنجليز في مدن القناة وحركة المقاومة الإسلامية حماس والجهاد الفلسطيني وحزب الله.

ومن العروض السابقة إلى التقسيمات المختلفة للحركات الإسلامية نجد أننا أمام سؤال يطرح نفسه: **أين مكان الحركة السلفية كجزء من الحركات الإسلامية؟**

والإجابة ليست بمثل سهولة طرح السؤال وذلك لعدة أمور تتعلق بالحركة السلفية نفسها فهي ليست كياناً واحداً - كما سنرى لاحقاً - بل عدة كيانات، فهناك الحركات السلفية المتطرفة ذات الطابع السلمي، وهناك أيضاً الحركات ذات الطابع الجهادي، وهناك الحركات السلفية المعتدلة.

فالسلفية حالة فكرية أساساً حتى وإن اتخذت أشكالاً تنظيمية سواء كانت جماعات حركية، أو جمعيات اجتماعية.

فلنا أن نُعرف الآن السلفية بأنها "أسلوب تفكير يميل إلى اتخاذ آراء السلف والركون إليها كما هي، واتخاذها مرجعية إلى الحياة المعاصرة في كل جوانبها"، فنحن نرى أن هناك تيارات جهادية عنيفة تتخذ من السلفية أساساً لها، ومنها تستمد الشرعية من وجهة نظرها لتصرفاتها. كما أنه من المهم الإشارة إلى أنه في حالة الجماعات السلفية السلمية فرغم أنها جماعة سلمية فإنها تكون غالباً الوسط المناسب لاختيار بعض العناصر لضمها إلى حركات العنف، حيث أن اختياراتها الفكرية التي يُؤخذ عليها طابع التشدد والتضييق في الكثير من الأحيان، ومبدأ السمع والطاعة. فهذا المناخ هو المجال الخصب إلى الجماعات المتطرفة، فكلا الطرفين يقفان على أرضية مشتركة من التشدد، وبينهما ميراث فقهي ومرجعية فقهية واحدة، حتى وإن اختلفوا في بعض التفاصيل، أو حتى وإن انقلبوا على هذه المرجعية واستبدلوها بأخرى - كما انقلب بن لادن على مرجعيته السعودية الوهابية في أعقاب الاحتلال العراقي للكويت لسماح المملكة السعودية باستخدام أراضيها من قبل أمريكا وموافقة ابن باز.

وفي مصر - على سبيل المثال - رغم ميل جماعة أنصار السنة إلى نبذ العنف وتبني فكرة عدم الخروج عن الحاكم والسمع والطاعة، إلا أن بعض أنصارها من الملتزمين دينياً كانوا هدفاً لجماعات الإسلام السياسي حيث كانت الميدان الأبرز إلى الدعوة والتجنيد لجماعة الجهاد[1]، كما أن رموز العمل المسلح في مصر قد أعلنوا في كتاباتهم

(١) خريطة الحركات الإسلامية في مصر، م س، ص ٤٥.

انتسابهم إلى السلفية فعبود الزمر قد ذكر في منشوره "منهج جماعة الجهاد الإسلامي" عند حديثه عن الأسس والقواعد التي يرتكز عليها فكر الجماعة، وتعتبر بمثابة الضابط الذي يحكم حركتها فكانت أول هذه القواعد "السلفية" وكذلك كان عبد الله السماوي والذي انتهج هذا النهج فقد ذكر في ورقته "من معالم دعوتنا" وفي رسالته الأولي قائلاً: نعتمد عقيدة السلف الصالح والفرقة الناجية أهل السنة والجماعة.."[1]

ولم يقتصر الأمر على الجماعات المسلحة في مصر فقط بل امتد التأثير السلفي على أغلب الجماعات والحركات، حيث تأثرت بالدعوة السلفية كثير من الحركات الإصلاحية كحركة الأفغاني والشيخ محمد عبده والمهدية والسنوسية، كما تنتسب كثير من الحركات الأصولية المعاصرة إليها حيث يقول البنا عن جماعته " إن الإخوان دعوة سلفية وليست طريقة سنية، وجاء في ميثاق العمل الإسلامي – الدليل النظري إلى الجماعة الإسلامية في مصر: عقيدتنا السلف الصالح جملة وتفصيلاً، ويقول الغنوشي عند شرحه لمقومات الحركة الإسلامية: ومن مقومات الحركة السلفية : ونعني بها استمداد الإسلام من أصوله دون تعصب".[2]

ونعلم أن تنظيم القاعدة أساسه الفكري سلفي متشدد، والمواقع الإلكترونية التابعة له تُستخدم لاجتذاب أتباع جدد من الشباب السلفي، أي أن هذا التيار الفكري كما ذكرنا كان محطة أساسية في مسيرة حركات العنف ورافداً أساسياً في تشكيل وعي رموزها المتشددين؛ وعليه فإننا يمكن أن نضع السلفية كأساس لأي تقسيم للحركات الإسلامية – ونميل إلى تقسيم دليل الحركات الإسلامية السابق حتى وإن أخرج واضعوه الحركة السلفية من تقسيمهم – فهي رغم تعدد التقسيمات قد تكون نقطة

(١) رفعت سيد أحمد، النبي المسلح ١، الرافضون، ط ١ / ١٩٩١م رياض نجيب الريس، لندن ، ص ١١٤، ١٩٤.

(٢) د. رضوان الشيباني، الحركات الأصولية الإسلامية في العالم العربي، مكتبة مدبولي، ط ١/ ٢٠٠٥م، ص ٢٠٦.

التقاء وتشابه بين كل هذه التقسيمات، فحسب ما ذكرنا سابقاً فالسلفية حالة فكرية أساساً حتى وإن اتخذت أشكالاً تنظيمية.

وكل ما سبق لا يعني أن السلفية هي السبب في موجات العنف ولكن السلفية تُتخذ وسيلة إلى التواجد والتأثير من قبل المجموعات المتطرفة حيث تقوم هذه المجموعات باستغلال بعض المظاهر والمبادئ السلفية من أجل الانتشار والتأثير في الآخرين، كما أن ما يدّعيه سلفيو العصر ويقومون به على أساس أنه جوهر السلفية هو أمر مُخالف للحقيقة، ولكن هذه الدعاوى هي سبب مهم بجانب عدة أسباب أخرى للعنف، فهي تمنح أصحاب الاتجاهات الراديكالية المبرر الشرعي لكل تصرفاتهم والسلفية الحقة من هؤلاء براء.

الفصل الأول

السـلفية:

لم يحظ مصطلح بالكثير من اللّغط حوله مثل ما حدث مع مُصطلح السّلفية ومُصطلح الوهَّابية وما بين مؤيد ومعارض يحتدم الخلاف، فأنصارها متمسكون برؤاهم وأعداؤها مُتحاملون عليها، ولكلا الطرفين وجهة نظره وحُججه، لذا يجب في البداية تحديد المصطلحات، وبيان وجود فروق بينهما أم لا، وهل هي سلفية واحدة أم عده سلفيات، وما هي هذه الأنواع؟

وكذلك لا بُد من إلقاء نظرة على الملامح العامة إلى الفكر الوهابي، وظروف نشأته، وملامح عن مُؤسسهِ وأعماله.

التعريف

لغـة :

تقدم وسبق ومضى وانقضى فهو سالف[1]، السَّلَفُ والسَّلِيفُ والسُّلْفَةُ: الجماعَةُ المتقدمون[2].

وفي القرآن الكريم تكرر اللفظ عدة مرات مثل ﴿ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[3]، ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾[4] وقال تعالى﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾[5].

---

(١) المعجم الوجيز ص 318 .

(٢) لسان العرب باب سلف.

(٣) البقرة 275.

(٤) النساء 22 .

(٥) المائدة 95.

وهي أيضاً تعني "الرجوع إلى هدي السلف الصالح منذ عهد الرسالة وهم جماعة الرسولﷺ ومن تابعوهم بإحسان وطريقتهم هي الرجوع إلى الكتاب والسنة من غير تأويل بإخراج اللفظ عما وُضع له"(١).

وكلمة سلفية تعبرعن تيار إسلامي عريض، يشمل الكثير من الحركات الإسلامية، والمفكرين الإسلاميين يدعون فيه إلى العودة إلى نهج السلف الصالح كما يرونه، والتمسك به باعتباره يمثل نهج الإسلام الأصيل(٢).

وتاريخياً :

هم "الصحابة والتابعون من أهل القرون الثلاثة الأولى(٣)، وهذا هو المعنى الاصطلاحي المستقر، وإنما مصدره قول رسول الله ﷺ فيما رواه الشيخان من رواية عبد الله بن مسعود "**خير الناس قرني ثم الذي يلونهم ثم الذين يلونهم**"(٤).

وأيضاً تُعرف على أنها : مفهوم فكري سياسي يقول بالعودة إلى الماضي والاقتداء بتجربة السلف الصالح وتمجيدها واعتبارها النموذج الواجب الرجوع إليه من أجل إصلاح المجتمع وتطوره(٥).

واصْطلح العلماء على أن السلف: اسم لكل من يُقلد مَذهبه في الدين ويُتَّبع أثره كأبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل فإنهم سلف لنا وأما الصحابة والتابعون فإنهم سلف لهم(٦).

(١) أشرف طه أبو الذهب ، المعجم الإسلامي، (دار الشروق)، ص 324.
(٢) موقع ويكيبيديا.
(٣) د. مصطفى حلمي ، قواعد المنهج االسلفي، (دار الدعوة) ، ص 187.
(٤) د. محمد سعيد البوطي ، السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي ، (دار الفكر)، ص 9.
(٥) عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) ، ج 3 / 229 .
(٦) د. سيد الشيلي ، في العقيدة السلفية بين ابن تيمية وابن حنبل ، ص 25 :26.

والأصل فيه "الرجوع إلى هدي السلف الصالح منذ عهد الرسالة وهم جماعة الرسول ﷺ ومن تابعوهم بإحسان وطريقتهم هي الرجوع إلى الكتاب والسنة من غير تأويل بإخراج اللفظ عما وضع له"[١].

ولقد كان العصر العباسي هو الحقبة الزمنية التي اشتهر فيها أمر هذه الفرقة[٢]. كما أن مدلول السلفية أصبح اصطلاحًا جامعًا يُطلق على طريقة السلف في تلقي الإسلام وفهمه وتطبيقه. ولم يعد محصورًا في مصطلحات لفظية وحدود تاريخية ولذا فإن مفهوم السلفية حينئذ يُطلق على الملتزمين بكتاب الله تعالى وما ثبت من سنة رسول الله ﷺ التزامًا كاملاً.[٣]

ويرى الشيخ محمد الغزالي أن السلفية "ليست فرقة من الناس تسكن بقاعًا من جزيرة العرب وتحيا على نحو اجتماعي معين.. إن السلفية نزعة عقلية وعاطفية ترتبط بخير القرون، وتعمق ولاءها لكتاب الله وسنة رسوله، وتحشد جهود المسلمين المادية والأدبية لإعلاء كلمة الله دون نظر إلى عرق أو لون"[٤].

ويُورد الشيخ محمد أبو زهرة إن السلفيين "هم الذين نحلوا أنفسهم ذلك الوصف.. وكانوا من الحنابلة، وزعموا أن جملة آرائهم تنتهي إلى الإمام أحمد بن حنبل.. ثم تجدد ظهورهم في القرن السابع عشر الهجري أحياه شيخ الإسلام ابن تيمية، وشدد في الدعوة إليه.. ثم ظهرت تلك الآراء في الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري، أحياه محمد بن عبد الوهاب، وما زال الوهابيون ينادون بها"[٥].

---

(١) المعجم الإسلامي ، م س ، ص 324.

(٢) د. محمد عمارة ، معركه المصطلحات بين الغرب والإسلام، (ط نهضة مصر) ، ص 209.

(٣) في العقيدة السلفية بين ابن تيمية وابن حنبل ، م س ، ص 31 : 32.

(٤) الشيخ محمد الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، (ط دار الشورق) ، ص 90:91.

(٥) الشيخ محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، (دار الفكر العربي) ص 176.

وهم أيضاً أتباع المذهب الحنفي وإن خالف بعضهم المذهب الحنبلي في بعض القضايا(١).

ومصطلح أهل الحديث هو التسمية الأدق إلى الفرقة التي يطلق عليها في أحيان كثيرة – مع كثير من التجوز – اسم أهل السنة أو السلفية أو الحشوية(٢).

حيث "هالها الوافد اليوناني – فلسفة ومنطقًا – وأفزعتها عقلانية اليونان المنفلتة من النقل الديني فاعتصمت بالنصوص، مقدمة ظواهرها، بل وحتى ضعيفها على الرأي والقياس والتأويل وغيرها من ثمرات النظر العقلي وهي المدرسة التي انعقدت زعامتها إلى الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١ هـ،٧٨٩ -٨٥٥ م)(٣).

فيما يعتقد السلفيون أن سبب ذل المسلمين هو اختلافهم في فهم الإسلام وتعصبهم وجمودهم على آراء المذاهب المختلفة ثم تناحرهم في كثير من الفترات وتقاتلهم أحياناً بسبب الخلافات المذهبية(٤).

ولعل مبدأ ظهور هذا الشعار "السلفية" كان في مصر إبان الاحتلال البريطاني لها وأيام ظهور حركة الإصلاح الديني التي قادها وحمل لواءها كل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده(٥).

والسؤال : ألأنهم سلف سبقونا زمنيّاً فيكون لهم حق الاتباع والتقليد؟

لا ..

---

(١) حسن السقاف ، السلفية الوهابية أفكارها الأساسية وجذورها التاريخية، (ط دار الإمام الرواس بيروت)، ص19.

(٢) معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام ، م س ، ص 209.

(٣) معركه المصطلحات بين الغرب والإسلام ، م س ، ص 208.

(٤) د. صادق أمين (عبد الله عزام)، الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، ط دار التوزيع للطبع والنشر، ص98.

(٥) السلفية ليست مذهباً ، م س ، ص 232-231.

ولكن سبب الاتباع يكون لأنهم **"أحرى الناس بفهم كلام الله ومعرفة سنة رسول الله ﷺ" .. واتباع السلف لا يكون بالانحباس في حَرفية الكلمات التي نطقوا بها أو المواقف الجُزئية التي اتخذوها .. وإنما بالرجوع إلى ما احتكموا إليه من قواعد تفسير النصوص وتأويلها وأصول الاجتهاد والنظر في المبادئ والأحكام"**[١].

إن سبب هذا التميز لأصحاب القرون الثلاثة الأولى أنهم قريبو العهد من ينبوع النبوة وتعاليم الإسلام، حيث القرب من الرسول ﷺ، وتلقي التعاليم على يديه مباشرة، واستقرارها في القلوب والعقول وصفاء العقيدة. وثاني الأسباب يتمثل في تابعي التابعين حيث كانت النهاية إلى الصفاء الفكري وبداية لظهور البدع والفرق الضالة[٢].

فإذا قررنا اتباعهم لمجرد أنهم سلف لوجدنا عصورهم الثلاثة مليئة بالمخالفين لتلك الأصول أو لكثير منها[٣].

وكانت نتيجة الفهم الخاطئ للمفهوم وما ترتب عليه في التطبيق العملي وتأثر به الفكر الإسلامي سلبًا أننا "ورثنا عن الفكر السلفي، في مراحل تخلف الحضارة العربية، تضخيم مبدأ الفضل للسلف على الخلف، والمتقدم في الزمن هو متقدم في الوجود والرتبة وكان لهذا المبدأ من التأثير الضار ما لا ينفصل عن ضرورة الانصياع للجماعة وعدم الخروج على الإجماع، وإنزال الخارج على الجماعة منزلة الشيطان، وقد ارتبط مبدأ الفضل للمتقدم على الإطلاق بنوع من التراتبية البطريركية التي لا تزال سمة من السمات السلبية للفكر السائد الذي يتسلح بشعارات دينية، الإسلام بريء منها"[٤].

(١) السلفية مرحلة زمنية ..، م س ، ص 12.

(٢) السلفية مرحلة زمنية ..، م س ، ص 10 - بتصرف.

(٣) السلفية مرحلة زمنية ..، م س ، ص 129.

(٤) د.جابر عصفور، الفضل للمتقدم، (جريدة الأهرام، الإثنين 21 سبتمبر 2009).

معالم المنهج السلفي

وللمنهج السلفي شروطه ومميزاته ومعالمه التي يتميز بها عن المناهج الأخرى الكلامية والفلسفية. ومن هذه الشروط[1]:

١. أن يكون الاستدلال واضحًا بارزًا بآيات من القرآن الكريم وأحاديث صحيحة من السنة النبوية.

٢. أن يكون صريح المعقول موافقًا لصحيح المنقول وعلى هذا الأساس وهذه القاعدة صنف ابن تيمية كتبه كلها، وأصبح على أساس هذا الشرط أن التأويلات الكلامية التي ترجح العقل على النقل مرفوضة تماماً في المنهج السلفي.

٣. لا يؤمنون بالعقل لأنه يُضل، ويؤمنون بالنص وبالأدلة التي يوحي إليها النص.. ودور العقل هو التصديق والإذعان وتقريب المنقول من المعقول وعدم المنافرة بينهما .. أي أن العقل وراء النقل فلا يستقل بالاستدلال بل عمله تقريب معاني النص.

وهنا لنا ملاحظة أن هناك فروقاً بين الحركة السلفية والمنهج السلفي، فالمنهج الفلسفي أوضحنا منذ قليل معالمه أما الحركة السلفية نقصد بها الإطار الذي تتخذه هذه المعالم سواء أكان بشكل منظم (هيئة، حزب، جمعية .. إلخ) أو بشكل غير منظم (أفراد) وتتحرك هذه الحركات تحت رايته وتأخذه مرجعية لها وقاعدة فكرية.

الوهَّابية والسلفية

الوهابية : حركة فكرية نشأت في شبه الجزيرة العربية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣- ١٧٩١)، وقد نشأ في بلدة تسمى العيينة(*) في نجد، وتعلم

---

(١) عبد المنعم الحفني ، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ، (دار الرشاد 1992) ، ص 246 ، 247.

(*) العيينة قرية تقع على وادي حنيفة في منطقة العارض بوسط نجد، في المملكة العربية السعودية حالياً، تبعد حوالي 50 كم عن وسط مدينة الرياض. وهي تشكل مع جارتها الجبيلة "مركز العيينة والجبيلة" التابع لمحافظة الدرعية، وعدد سكان المركز حوالي 4000 نسمة.

دروسه الأولى بها على يد رجال دين حنابلة، وسافر إلى المدينة ليتم تعليمه، ثم طاف في كثير من بلاد العالم الإسلامي فأقام نحو أربع سنين في البصرة، وخمس سنين في بغداد، وسنة في كردستان، وسنتين في همذان، ثم رحل إلى أصفهان ودرس هناك فلسفة الإشراق والتصوف، ثم رحل إلى قم، ثم عاد إلى بلده، واعتكف عن الناس نحو ثمانية أشهر ثم خرج بدعوته الجديدة(١).

وقد ظهرت الوهابية في الصحراء العربية نتيجة للإفراط في تقديس الأشخاص والتبرك بهم وطلب القربى من الله بزيارتهم(٢).

والوهابية في الفكر الديني بعث للاتجاه السلفي المحافظ في الفكر الإسلامي وهو الاتجاه الذي يأخذ بظواهر النصوص الأصلية ويرفض البدع كلها وينفر من الفلسفة والتأويل(٣).

وقد درس ابن عبد الوهاب مؤلفات ابن تيمية، فراقت في نظره وتعمق فيها، وأخرجها من حيز النظر إلى حيز العمل، وإنهم في الحقيقة لم يزيدوا بالنسبة إلى العقائد شيئاً عما جاء به ابن تيمية ولكنهم شددوا فيها أكثر مما تشدد، ورتبوا أموراً عملية لم يكن قد تعرض لها ابن تيمية، لأنها لم تشهر في عهده(٤).

وقد أكد الأستاذ أحمد أمين الارتباط ما بين فكر محمد بن عبد الوهاب وابن تيمية قائلاً: "وفي المتحف البريطاني بعض رسائل لابن تيمية مكتوبة بخط ابن عبد الوهاب فكان ابن تيمية إمامه ومرشده وباعث تفكيره والموحي إليه بالاجتهاد والدعوة إلى الإصلاح"(٥).

---

(١) أحمد أمين ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، (دار الكتاب العربي بيروت)، ص 9.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ، م س ، ص199.

(٣) موسوعة السياسة ، م س ، ج 7/ 357.

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية ، م س، ص 199.

(٥) زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، م س ، ص 13.

وعن عدم وجود مذهب جديد باسم الوهابية يُؤكد "**الشيخ حامد الفقى**" (المؤسس والرئيس الأول لجمعية أنصار السنة المحمدية بمصر) على أصول الدعوة الوهابية، وعدم بدعة ما يدعون إليه قائلاً : "والوهابية لا يدعون - لا بالقول، ولا بالكتابة - أن الشيخ ابن عبد الوهاب أتى بمذهب جديد، ولا اخترع علماً غير ما كان عند السلف الصالح ، وإنما كان عمله وجهاده لإحياء العمل بالدين الصحيح[١]".

وقد علق الإمام محمد عبده على هذه الدعوة الوهابية قائلاً عنها - مدحاً ونقداً في آن واحد - إنها "فئة زعمت أنها نفضت غبار التقليد، وأزالت الحجب التي كانت تحول بينها وبين النظر في آيات القرآن ومتون الحديث لتفهم أحكام الله منها، ولكن هذه الفئة أضيق عطنًا[*] وأحرج صدرًا من المُقلدين.. فإنها ترى وجوب الأخذ بما يُفهم من لفظ الوارد والتقيد به، بدون التفات إلى ما تقتضيه الأصول التي قام عليها الدين[٢]".

ويقول الإمام محمد عبده أيضاً في الدعوة الوهابية "الوهابية قاموا للإصلاح، ومذهبهم حسن، لولا الغُلو والإفراط، أي حاجة إلى قولهم بهدم قبة النبي ﷺ؟! والقول بكفر جميع المسلمين؟! والعمل على إخضاعهم بالسيف أو إبادتهم"[٣].

لذا فالحقيقة أنه **لا فرق بين السلفية والوهابية فهما وجهان لعملة واحدة**، فهم يعتقدون بنفس المعتقدات والأفكار، فهي داخل جزيرة العرب وهّابية حنبلية، وعندما تُصدّر لخارجها تسمى سلفية[٤].

---

(١) محمد حامد الفقى ، أثر الدعوة الوهابية فى الإصلاح الديني والعمراني فى جزيرة العرب وغيرها.. ص 30.

(*) قليلي الصبر .

(٢) محمد عبده ، أك ، ج 3 ، تحقيق د. محمد عمارة ، دار الشروق ، ص 332.

(٣) محمد عبده ، أك ، ج 3 ، م س ، ص ٥٦١ .

(٤) السلفية الوهابية أفكارها الأساسية وجذورها التاريخية ، م س ، ص 19 .

ولقد راجت كلمة السلف والسلفية بين أقطاب المذهب الوهابي، والذين كانوا يتبرمون بكلمة الوهابية التي تُوحي بأن ينبوع هذا المذهب يقف عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب فاستبدلوه بالسلفية ليوحوا للناس بأن أفكارهم تعود إلى السلف، وأنهم أمناء على عقيدة السلف، وأفكارهم، ومنهجهم في فهم وتطبيق الإسلام[1].

ويستمر إلى اليوم التمسك بتلك الكلمة رغم أنها لم ترد في القرآن، وإنما ورد في الكتاب الكريم في أكثر من موضع لفظ المسلمين فيقول الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[2] ويقول تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّـٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾[3].

أي أن الله رضي لنا وسمانا بالمسلمين وليس بالسلفيين، وجعل التمايز بيننا بالتقوى والعمل الصالح وليس بالتسمية، واختراع تسمية لم يسمها الله، وجعلها هي معيار وعلامة المسلم الحق ونأى أصحابها ومنتسبوها عن غيرهم من المسلمين تميزًا وترفعًا، بدعوى أنهم هم المسلمين حقاً كما يقول الإسلام [4]بمقتضى الحال وبالتصريح والتضمين، وغيرهم ليس كذلك.

وقد روي عن النبي ﷺ "ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثاء جهنم، قالوا يا رسول الله: وإن صام وإن صلى؟ قال: وإن صام وإن صلى وزعم أنه مسلم فادعوا المسلمين بأسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله عز وجل"[5].

---

(١) السلفية مرحلة زمنية .. ، م س ، ص 236 ، 235 بتصرف .

(٢) فصلت 33.

(٣) الحج 78.

(٤) باعتبارهم الفرقة الناجية كما ورد في الحديث المشهور " تفترق أمتي .. ... ".

(٥) حديث رقم ١٥٣٤ فهرس مستدرك الحاكم كتاب الصوم.. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه..

وعلى هذا فالسّلفي اليوم كل من تمسك بقائمة من الآراء الاجتهادية المعينة، ودافع عنها وسفّه الخارجين عليها، ونسبهم إلى الابتداع، سواء منها ما يتعلق بالأمور الاعتقادية، أو الأحكام الفقهية والسلوكية(١).

وكانت الدعوة الوهابية حركة سلفية نقلت النظرية السلفية إلى التطبيق.. وصارت السلفية أساس عقيدة الحركة التي عُرفت بالوهابية(٢).

ويجب أن ننبه إلى أن السلف الصالح ليس رؤية فقهية واحدة، ولا اجتهاداً فكرياً مُعيناً، السلف الصالح منهج رحب، هم التقوا على الأصول وعلى الكليات، وعلى الثوابت، وعلى القطعيات، وعلى المحكمات وما دون ذلك اختلفوا في الفروع.. إذاً حينما نقول الانتماء إلى السلف الصالح، نحن نقول انتماء إلى منهج تنوعت فيه الآراء، تعددت فيه الأفكار اختلفت فيه بعض المسائل.. **فلا ينبغي أن نجعل اجتهادات بعض الأئمة أو بعض الأشخاص من الأقدمين عنواناً للانتماء إلى السلف الصالح، ثم نطرح بقية الرؤى وتنوع الأفكار يعتبر خارج إطار هذه السلفية، هذا لون من الحزبية السلفية الضيقة** الذي ضيق ما كان واسعاً عند سلفنا الصالح، ولذلك كانوا يقولون: "إجماعهم حجة قاطعة واختلافهم رحمة واسعة" فاعتبروا أن الاختلاف في الفروع مظهر من مظاهر الرحمة، وهذا من التوسعة التي جاءت بها شريعة الإسلام(٣).

والمفترض أن منهج السلفي رفض الاحتكار، وادعاء الاختصاص بالسلفية وإن من أهم قواعد منهج السلف عدم احتكار الفهم السليم وإعذار المخالف والحذر من التفرق والدعوة إليه"(٤).

(١) السلفية مرحلة زمنية .. ، م س ، ص 237.

(٢) موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الاسلامية، م س ، ص 247.

(٣) د. عصام البشير، برنامج الشريعة والحياة ، قناة الجزيرة ، بتاريخ ٩/ ٨/ ٢٠٠٩.

(٤) إبراهيم العشيش، السلف والسلفية ، ص 32.

ولكن واقع مُدعي السلفية الآن غير ذلك، فالمخالف لهم في الرأي لا يسلم من أذاهم وتهكمهم، ومن نبرة الاستعلاء، وكأنهم هم فقط المسلمون حقاً، وغيرهم غير مسلم، وسلاح التفسيق والتكفير هو الرد الأمثل - من وجهة نظرهم - على أي مخالف، سواء أكانت المخالفة كبيرة أو صغيرة، في الأصول أو الفروع، والسجالات بين رجال الوهابية/ السلفية وغيرهم تشهد على ذلك.

إن الصور السلفية تقوم على أربع قيم أولية في الحياة، وهي:

أولاً: توقير النص مهما كان نوع هذا النص.

ثانيًا : توقير السلطة الدينية ورموزها والعمل على توفير الحماية لهم.

ثالثاً : توقير الخبرة المستمرة المسنودة إلى كبار السن، وكبار الممارسين.

رابعاً : استمداد مغزى الألفاظ اللغوية، والصور الحاملة لها وأشكال التعبير الثقافية من مصادر ومرجعيات سحيقة في الماضي التاريخي أو خلق تصور بأنها كذلك من غير الحقيقة[1].

وعلى هذا فاحتكار المعرفة يكون فقط للسلف، الأفضل، الأعلم والأفقه، الأشرف وجميع أفعال التفضيل تكون مقرونة فقط بالسلف.. والسلف فقط ، فهم فقط السادة ونحن الأتباع المريدون المطبقون دوماً لكل ما لفظ به السلف كما يقول شيوخ ودعاة العصر، ويريدون منا أن نعمل به.

إن السلفية الحقيقية المطلوب اتباعها ما هي إلاّ "عودة إلى الإيمان السهل السائغ، البعيد عن التقعر، البريء من المماحكات، وليست السلفية قنطرة لترويج بعض الآراء، أو حبالة ينصبها البله في المجتمع لاصطياد الأغرار"[2].

---

(١) د. جهاد عودة، معالم الصراع المدني في مطلع القرن الواحد والعشرين، (ط مكتبة الأسرة 2009)، ص 133.

(٢) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ، م س ، ص 106.

فإذا نظرنا إلى خطاب الدعوة الوهابية وجدناه خطاباً دينيًا خالصاً، يرتكز على محاربة البدع التي بين الناس، وكذلك مُحاربة زيارة القبور والأضرحة والتوسل، كما توسع أصحاب هذا التيار في مفهوم البدعة، فدخل ضمن مفهومهم الكثير من التصرفات التي حكموا على أصحابها بالخروج من الإسلام بسببها، بزعم أن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. وتناسوا – عن عمد أو جهل – أن إتيان الفرد بأمر ليس له أثر في سلوك السلف قد يكون أمرًا محمودًا، ولا يجب علينا نحن الخلف اتباع السلف في كل شيء وأن تتماهى حياتنا مع حياتهم ويكون تصرفنا مطابقاً لتصرفهم لا يحيد عنه أو يخالفه حتي لا نؤخذ عليه، نقتدي بهم ونجتهد مثلهم لا نعيش على اجتهادهم، هم رجال زمانهم، والمفترض فينا أن نكون رجال زماننا.

سلفية واحدة أم عدة سلفيات

النظرة المدققة لموضوع السلفية يؤكد أننا لسنا أمام كيان واحد متجانس يمكن تعميم النظرة إليه وكذلك الاستنتاجات بل الأكثر دقة أننا أمام عدة كيانات، ويجب أن نضع في اعتبارنا أنَّ هناك حالة كونية سلفية، فالسلفية لديها رؤية أقل تركيبية ورؤية بسيطة للعالم والحياة ،فهي أكثر قدرة على جذب الناس والتأثير فيهم من كل التيارات الإسلامية[1].

وبدايةً نشير إلى أن منهج السلف الصالح أصابته عند كثير من هذه التيارات ضبابية، هنالك سلفية جهادية تبنت خطأً في مجال التكفير أو التفجير أو غير ذلك، هنالك سلفية إحيائية اجتهادية زاوجت بين المقاصد والنصوص بين الأصل والعصر، هنالك سلفية اعتبرت نفسها امتداداً لمدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ركزت على محاربة الشرك الشعائري، وما رأته من الاختلال في قضايا البدع، هنالك

(١) الحركات الإسلامية في الوطن العربي، ملحق خاص من إصدارات جريدة العرب، ع / 7588 بتاريخ 22 مارس 2009 ص24.

سلفية أرادت أن تزاوج بين هذا وذاك، إذاً هنالك سلفية ما تسمى اليوم بالسلفية العلمية .. ولذلك أصبح من الضروري أن نُحرر مفهوم الانتماء إلى السلف الصالح تحريرًا يُعطيه السعة والشمول والغنى حتى نقوم بإخراجه من هذه الدوائر الضيقة التي حصرته في هذه الأبواب. فهنالك من جعل مجرد اختيارات الإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم وما رآه الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقط هذه المحطات الأربعة هي عنوان للانتماء إلى السلف الصالح[1].

وأمام تعدد الحركات التي اتخذت من الإسلام شعاراً ومنهاجاً، اتخذ كل منهم السلف مرشدًا وقدوة، ونسبوا أنفسهم إليهم، ودافعوا عن ذلك الانتساب، ورموا مخالفيهم بالنقائص وأصبحت كل فرقة ترى نفسها هي الفرقة الناجية، وغيرها في النار إعمالاً بالحديث النبوي، فعن معاوية بن أبي سفيان أن رسول الله ﷺ قال : **"إن أهل الكتاب افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة"**.

ونظرة سريعة على بعض تقسيمات وأشكال السلفية فيما يلي:

أولاً : السلفية العلمية[2]

أنشأ مجموعة من قادة الحركة الطلابية الإسلامية منتصف السبعينيات في عدد من جامعات مصر وكان ثقلها الرئيسي في جامعة الإسكندرية [*] حيث قادها محمد إسماعيل المقدم، وسعيد عبد العظيم، وأبو إدريس، وأحمد فريد وغيرهم، وكان من أبرز قادتها في القاهرة حينئذ عبد الفتاح الزيني، وقد **رفضوا الانضمام إلى الإخوان**

(١) د. عصام البشير، قناة الجزيرة ، برنامج الشريعة والحياة ، بتاريخ ٩/ ٨/ ٢٠٠٩.

(٢) سنعتمد في هذا الجزء بشكل كبير على كتاب أ.عبد المنعم منيب، خريطة الحركات الإسلامية في مصر، ص 81 : 74 بتصرف.

(*) ولهذا يُطلق على هذه المدرسة اسم مدرسة "سلفيو الإسكندرية" والتي رفعت شعار "ننشغل بالسياسة ولا نشتغل بها".

المسلمين عام١٩٧٨م، وسموا أنفسهم "المدرسة السلفية" ورفضوا لفظ الأمير لاعتبارهم أنه يقتصر على إمارة الدولة، كما يطلق البعض على هذا التيار اسم السلفية الحركية[١].

و"الدعوة السلفية "منتشرة في كل أنحاء مصر، ولها أتباع كثيرون يقدرون بمئات الألوف، ويُطلق عليهم اختصارًا اسم" السلفيين، لكنهم ليسوا تنظيماً هرميًا متماسكاً مثل الإخوان المسلمين، بل يغلب عليهم التفرق لمجموعات، يتبع كل منها شيخ من المشايخ لكن مشايخها متعاونون بدرجة كبيرة جداً، ومن مشايخها المشهورين محمد حسان، وأبو ذر القلموني، ومحمد حسين يعقوب، ومحمد حسين العفاني، وياسر برهامي، وأبو إسحاق الحويني، ومصطفى العدوي.

وتوصف هذه السلفية بأنها "سلفية أقرب إلى الأفيونة التي تمتص حالة الاحتقان لدى الشارع المصري وتأخذ من مساحة الرضا والاستسلام[٢]".

وهذا الشكل من السلفية هو التيار الغالب هذه الفترة برموزه صاحبة التواجد الإعلامي المكثف، وأغلب هذه الرموز أصبحت شخصيات شعبية تتضاعف شعبيتهم كل يوم، وأصبحت آراؤها محل احترام مبالغ فيه يصل إلى حالة من التقديس يتماهى في هذه الحالة الخطاب مع مُنتج الخطاب.

الرؤيــة

وترى الدعوة السلفية العلمية:

١. وجوب رجوع المسلمين إلى الالتزام بتعاليم الإسلام وفقاً لمنهج السلف الصالح لكنهم أكثر حرفية والتزاماً بذلك وأقل اجتهاداً وتجديداً فيه، ويفرق بينهم وبين الإخوان المسلمين.

(١) الحركات الإسلامية في الوطن العربي، م س ، ص 24.

(٢) الحركات الإسلامية في الوطن العربي ، م س ، ص 25.

٢. رفض التصوف وآراء الأشاعرة والمعتزلة والشيعة التي ترك الإمام حسن البنا الباب مواربًا لها بهدف لم شمل المسلمين .

٣. رفض العمل الحزبي والدخول في انتخابات مجلسي الشعب والشورى، كما يفرقهم عن الجهاد والقاعدة رفضهم للعمل المسلح والتنظيمات السرية.

الموقف من السياسة

رغم السمات المشتركة بين أقطاب الدعوة السلفية العلمية، فإن أحداث حرب غزة ٢٠٠٩ شهدت انقسامًا ما بين رموزها، حيث أيد المقاومة المتمثلة في حركة حماس الشيخ محمد حسان وذلك ردًا على سخرية الشيخ محمد حسين يعقوب من المقاومة حيث أنها بتصرفاتها تعطي الفرصة لليهود للتقتيل فيهم.

وعن إمكانية التغيير من خلال الانتخابات البرلمانية يُعلق المنظر للحركة السلفية العلمية د. ياسر البرهامي على ذلك حيث يرى أن[1]:

١. التشريع حق خالص من حقوق الله عز وجل ، وهو من أهم خصائص الربوبية والألوهية، فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله تعالى، والدين ما شرعه سبحانه، قال تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ﴾ [يوسف: ٤٠].

٢. القوانين الوضيعة مخالفة للشريعة الإسلامية وكل ما يخالف الشريعة فهو باطل، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨].

٣. **الحكم بغير ما أنزل الله سبب يوجب غضب الله، وينزل مقته وعقابه .**

(١) د. ياسر برهامي، السلفية ومناهج التغيير ، مقال منشور بمجلة صوت الدعوة ص 4 : 8 بتصرف بسيط وموجود على الموقع الإلكتروني http://saaid.net/book/open.php?cat=83&book=1606

٤. النظام قسمان: إداري وشرعي: أما الإداري الذي يراد به ضبط الأمور وإتقانها على وجه غير مخالف للشرع، فهذا لا مانع منه، ولا مخالف فيه من الصحابة فمن بعدهم، أما النظام الشرعي **المخالف لتشريع خالق السماوات والأرض فتحكيمه كفر.**

٥. فارق أساسي وكبير بين الحكم الإسلامي، والحكم العلماني الديمقراطي: فتشريعات الحكم الإسلامي تُبنى على الكتاب والسنة وهو يوجب الحكم بما أنزل الله ويرى العدول عن ذلك فسقاً وظلماً وكفراً، فلا يمكن الفصل بين الدين والدولة في نظر الإسلام، أما الحكم العلماني الديمقراطي فمصدر السلطة عنده هو الشعب، وتشريعاته تنبني على إرادته وهواه، فلا بد للسلطة من الحفاظ على رغبة الشعب ومرضاته، ولا يمكن لها أن تعدل عن إرادة الشعب وهواه، حتى لو أدى ذلك إلى تحليل الزنا واللواط والخمر، فالمبادئ والتشريعات كلها عرضة للتغير والتبديل في الحكم العلماني والديمقراطي حسب ما تطلبه الأغلبية.

٦. الشورى في الإسلام تختلف عن الشورى في النظام الديمقراطي، يقول الجصاص: (والاستشارة تكون في أمور الدنيا وفي أمور الدين التي لا وحي فيها، ويستشار الصالحون القائمون على حدود الله المتقون لله من ذوي الخبرة والدراية)، **وأين هذا من استشارة الملاحدة المحاربين لدين الله ممن يشرع مع الله في النظام الديمقراطي.**

٧. **لا يجوز شرعاً عرض الشريعة الإسلامية على الأفراد ليقولوا أتطبق أم لا تطبق.**

٨. المجالس التشريعية التي تسن قوانيناً مخالفة للشرع يلزمون بها العباد، وترى أن للأغلبية أن تفرض رأيها، حتى ولو كان مخالفاً للشرع، **مجالس كفرية وهؤلاء هم** الشركاء الذين عناهم رب العزة بقوله: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١].

٩. الأحزاب التي تقوم على مبادئ العلمانية والديمقراطية والاشتراكية والشيوعية وغيرها من المبادئ الوضعية التي تخالف أصل الإيمان والإسلام من فصل الدين عن الدولة وأنظمة المجتمع والمساواة بين الملل كلها، واحترام الكفر والردة وقبولها، كتعدد الشرائع لا يفسد للود قضية كما يزعمون، كل هذا من العصبية الجاهلية والولاء للكافرين والمنافقين مما يستوجب على كل مسلم رده وهجره ومحاربته والتبرؤ منه.

١٠. هناك فرق بين النوع والمعين، وبين الحكم والفتوى، فقد يكون الفعل كفر والقول كفر وفاعله وقائله ليس بكافر، وذلك بأن يكون الفاعل أو القائل جاهلاً أو مُتأولاً أو مكرهاً أو حديث عهد بالإسلام، وليس لنا أن نُكفر **الشخص المعين إلا بعد قيام الحجة الرسالية عليه على يد عالم أو ذي سلطان** مطاع حتى تنتفي الشبهات وتُدرأ المعاذير ويَحيىَ من حي عن بينة ويَهلك من هلك عن بينة.

١١. العبودية لله وحده، والبراءة من عبادة الطاغوت، والتحاكم إليه، من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.

١٢. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة، تتحقق تارة بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، وتارة بالقدوة الصالحة، وتارة بتغيير المنكر باليد، أو اللسان، أو القلب تبعاً للاستطاعة، وبها يحقق المصلحة، ويستدفع المضرة والمفسدة.

ويرى مُنظر الدعوة **عدم المشاركة في هذه المجالس المُسماة بالتشريعية سواء بالترشيح أو الانتخاب أو المساعدة لأي من الاتجاهات المشاركة فيها وذلك لغلبة الظن بحصول مفاسد أكبر بناء على الممارسات السابقة**[١].

(١) السلفية ومناهج التغيير ، م س ، ص 9.

ويأخذ د. ياسر برهامي على الجماعات التي تركز على العمل الفردي في الدعوة والتربية أنها[1]:

١. تترك الإنكار على المنكرات التي تتبناها الحكومات، وتنشرها بين الناس، كقضية الحكم بغير ما أنزل الله، ومسائل الولاء والبراء ونشر الغزو الفكري والتعبية للمبادئ الوضعية للغرب.

٢. المبالغة في تضخيم سيئات الجماعات الإسلامية والإجحاف بمنافعها ومحاسنها، فجعلت علاج المريض قتله أو إيقاف قلبه.

مبادرة السلفية لإصلاح المجتمع

وبتاريخ ٣٠/ ١٠/ ٢٠٠٩ نشر موقع (أنا سلفي) خطبة للشيخ سعيد عبد العظيم بعنوان "مبادرة السلفية لإصلاح المجتمع"[2]، كإسهام من الحركات السلفية وتقديم مبادرة غير متوقعة منه في ظل الاتهامات الموجهة إليها بأنها لا تشارك في الحياة السياسية، ولنر.. ماذا قدمت المبادرة :

البداية يبدأ فيها الشيخ سعيد عبد العظيم تهكمه من كل مُبادرات الإصلاح التي يطلقها الكثيرون من وقت إلى آخر، يتهكم من الدولة المدنية ومجلس الأمناء اللذين يطالب بهما البعض، ويشكك في نية كل هؤلاء بشكل يثير الريبة ويرميهم بالعمالة للغرب وبأنهم يريدون أن يعيشون في المدينة الفاضلة ألا وهي من وجهة نظره "أوروبا" ويتهكم من مفهوم الوطنية التي يقدمها البعض ويقدم نصيحته لإخوته المسلمين للنجاة من هذا الصخب بالعودة الصادقة إلى كتاب الله وسنة رسوله.

---

(١) السلفية ومناهج التغيير ، م س ، ص 17.

(٢) http://www.anasalafy.com/play.php?catsmktba=12649 ولأمانة النقل سنقدم اقتباساتنا كما هي بالنص الصوتي.

التكفير والتخوين للنخب:

"ولا بد لنا من الثبات لكيلا يكون شأننا كشأن العميان عندما يحيدون عن دين ربهم.

وفي تخوين صريح يتكلم على أسمائهم قائلاً "وغالبية هؤلاء المتحدثين والمتكلمين والذين **يقدمون مبادرات الإصلاح ستجد اسم محمد وعلى، هذه** أسماؤهم **فكيف تنكّروا** لدين ربهم، **كيف خالفوا شريعة الله جل وعلا**، بل هم يحظرون التكلم بدولة دين وإسلام يأخذون حذرهم من الوقوع في فخ الدولة الدينية، لا بد من دولة مدنية، مصطلحات كبيرة تتردد على ألسنه من يقال عليهم النخبة، **وهذه النخبة عبارة عن مثقفين من الملحدين والعلمانيين، عبارة عن أدباء، وفنانين عبارة عن صحافيين وأدباء، هذه هي النخبة التي لا بد وأن تتقدم الجماهير** العريضة مطالبة بالإصلاح ومطالبة بالتغيير، **ولو عدنا بالكلمة إلى أصلها لوجدت أن النخبة هي (الملأ) كان يتقدم القوم فيما مضى في كفرهم وفي الباطل والضلال كملأ فرعون.. فكان هذا هو شأنهم..** صلبها الديمقراطية التي أخذت من النظام اليوناني القديم!.. أنتم أصحاب منهج ظلامي تتناسون دين ربهم وترضعون الديمقراطية أخذتموها من النظام اليوناني القديم.

.. يقال لهم أتستبعدون الذي هو أدنى بالذي هو خير كيف عميت الأفئدة ؟ !!

دعوات هي **أقرب إلى الغوغائية، ومُبادرات ملؤها السطحية**، وعندما تبح الأصوات على قضية التوريث تارة وعلى تقليل مُدة الرئاسة لدورتين أو أكثر أو أقل كل هذا لا يساوي بح الأصوات بها!! وإلا فما المانع أن يحكم الحاكم مدة حياته طالما أنه يحسن في حكمهم قادراً على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله، فرغوا القضايا من محتواها وكلهم ناس أو متناس لدينهم حتى بعض الدُعاة إلى الله ممن خرجوا في سلك العملية السياسية كما يقولون نسوا إسلامهم ودينهم، غيروا جلودهم صارت دعوتهم عبارة عن ديمقراطية وما هي إلا وثن يعبد من دون الله، **دين كفري ضلالي**

لا يصح لمسلم أن يتكلم عن ديمقراطية وأن يتخوف على ضياعها متى تخوفوا على إسلامهم، كان أجدر بهم أن يتخوفوا على ضياع الإسلام وعلى غيابه من الحياة الخاصة والعامة...

وعن توريث الحكم والدعوات المناهضة له يقول الشيخ :

"تناسوا الحكم بما أنزل الله وصار الكلام عن منع التوريث، وعن الدورة والدورتين. **يحكم طيلة حياته** ولكن يحكم بكتاب الله وبسنة رسول الله هذا مربط الفرس الذي لا يتكلم به واحد من أصحاب المبادرات .. فالأمة المحبة لدين الله تريد أن تحكم بشرع الله إن الحكم إلا لله .. **ما المانع من ولاية العهد! فهي حسم لموارد نزاع أن يعهد السابق للاحق حتى إذا ما مات كانت المسألة بهذه السلاسة**..

لماذا المحاورات والمبادرات على مثل هذا النحو وكلها إبعاد الذات والعباد عن دين الله، .. يقولون احذروا من الوقوع في فخ الدولة الدينية لا بد من دولة مدنية، ويتكلمون عن المواطنة وغيرها..

وعن أن يكون الحاكم مسلماً يقول الشيخ :

"ونطالع لسبل الاختيار فنجد أن الحاكم لا بد أن يكون مسلماً، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً، الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، فاليهودي والنصراني والكافر لا يتولى، ولا يصح أن يتولى امرأة المسلمين، لا بد أن يكون رجلاً **وما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة صارت البديهيات محلاً للكلام والتنازع** ..

الخطر كل الخطر والشر والفساد كامن في البعد عن دين الله.. ننزل على حكم البشر ونرفض حكم رب البشر.

هذا هو واقعهم لا يمتون إلى الحق بصلة، حتى وان ارتفعت أصواتهم في وسائل الإعلام وغيرها لا بد من الحذر.. الإصلاح كامن في العودة إلى منهج الأنبياء والمرسلين.

وهؤلاء الداعون مثل ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

[البقرة: ١١، ١٢].

جاهل وساذج وواهم من ظن أن المبادرات وأن إصلاح البلاد والعباد كامن في مناهج من هذه المناهج في جمهورية رئاسية، جمهورية برلمانية، وتعبيرات ومصطلحات كثيرة، ركز على ما هو أهم وأجدى ركز على ما فيه نفع للبلاد والعباد لا داعي إلى الزوغان والتوهان، ركز على ما أمرنا به على ما ركزت عليه الشريعة، ما من نبي إلا وقال لقومه اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولقد بعثنا في كل أمه رسولاً، أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت **شريعة شاملة للحاكم وكيف نختاره وإذا ما مات فكيف يتولى غيره على مادة الحكم ومجلس الشورى وغير كل لم يهمل لم يترك في كتاب** الله .. فكيف نصنع مع قوم تباعدوا عن منهج ربهم.. جهال يحتاجون أن يتعلموا العلم النافع ويتابعونه بعمل صالح ويكونوا على بصيرة من أمرهم وأمر الناس فإن أبوا إلا المخالفة قلنا لهم فليكفر بنا هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً يتابعون الغرب الماجن!، ما القيمة أن تتحضر وتتقدم وتتطور بزعم وتصير مثل الغرب تصنع حضارة مزعومة! كحضارة قوم نوح وعاد وثمود.. ما قيمة ذلك إذا ما كنت كافراً بخالق الأرض والسموات،... نحن دعاة تطور وتقدم وتحضر حقيقي، نقيم حضارة على منهاج النبوة نقيم حضارة على أساس منهج العبودية الذي نادى به الأنبياء والمرسلون، دين يأمرنا بأن نأخذ أسباب القوة كائنة ما كانت، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.. نركب الصاروخ ونصنع الطائرة ونحن نطلق اللحى ونقصر الثوب ولا نجد معارضة في هذا.. فلا فصل بين الدين والدولة وأحسن طريق إلى الكفر هو فصل الدين عن السياسة، فالسياسة لا بد أن تكون شرعية .. لا نصادر لله حكماً .. أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً؟

البعد عن السلف سبب ما نحن فيه

"الأمة لربما انهزمت بسبب التخلف عن سنة كسنة السواك فكيف لو تركت دينها وراءها.

كل خير في اتباع من سلف وكل شر في اتباع من خلف .. ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وإن كان الملاحدة والزنادقة، إن كانت النخبة والمثقفون يستعرون من النطق بكلمة الإسلام انطقوا بها أنتم، ارفعوا بها أصواتكم عالية، ليس عندنا ما نتوارى به خجلاً، هذا هو دين الله. انتهت الخطبة.

والخطبة واضحة لا لبس فيها، وتؤكد عدم النضج الفكري لبعض أعضاء هذه التيارات والتي يستخدمها الساسة لأغراضهم وبسبب عدم النضج الفكري واللاواعي الذي يعيش فيه البعض، تأتي مثل هذه المبادرات وينقاد تحت سطوة الشيخ والعمامة واللحية الكثيرون من البسطاء المُغيبين عن الدنيا بسبب تصرفات البعض والذين ألقت به الظروف في المقدمة وبدلاً من أن يقوم بتنوير أفراد مجتمعه يُزيد من تغييبهم عن واقعهم فكيف بإنسان مغيب أصلاً عن الواقع ومنفصل عن الدنيا أن يقوم بدور تنويري في مجتمعه؟

ثانياً : السلفية الحركية

وتزامنت في نشأتها مع الحركة السلفية العلمية في منتصف السبعينيات من القرن العشرين بقيادة عدد من الدعاة الشباب حينذاك وكان أبرزهم في ذلك الوقت الدكتور سيد العربي، والدكتور محمد عبد المقصود، والشيخ نشأت إبراهيم، ولم يختلف هذا الرافد السلفي عن السلفية العلمية إلا في شيء واحد وهو :**الإعلان عن كفر الحاكم الذي لا يحكم بالشريعة الإسلامية باسمه أياً كان اسمه، و قد انتشر هذا التيار مع الوقت وصار له أنصار وأتباع يقدرون بعشرات الآلاف لا سيما بعدما برزت شعبيّة بعض الدعاة الإسلاميين من هذا التيار مثل الداعية ذائع الصيت فوزي**

السعيد، وقد أطلق بعض أتباع هذا التيار على أنفسهم اسم السلفية الحركية، ولكن المشايخ الكبار من هذا التيار لا يطلقون على أنفسهم أي اسم.

وقد تعرض هذا التيار لحصار أمني شديد منذ عام ٢٠٠١ م بسبب قيام عدد من رموزه بالإفتاء لعدد من الشباب بجواز جمع التبرعات وتهريبها إلى الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، وجواز الانتقال إلى هذه الأراضي للمشاركة في المقاومة المسلحة هناك، وإثر ذلك قام هؤلاء الشباب بجمع عدة ملايين من الجنيهات كتبرعات وهربوها إلى غزة كما حاولوا التدرب على السلاح بهدف الانتقال إلى غزة عبر سيناء للمشاركة في أعمال المقاومة المسلحة، وقد تم اعتقالهم جميعاً كما اعتقل معهم اثنان من أبرز رموز هذا التيار وهما الشيخ نشأت إبراهيم والشيخ فوزي السعيد، وتم تقديمهم جميعاً إلى محاكمة عسكرية بالقاهرة، وصدرت ضدهم أحكام متفاوتة لكن المحكمة برأت ساحة كل من الشيخين نشأت إبراهيم وفوزي السعيد، وتم الإفراج عنهما بعد عدة سنوات من الاعتقال. ولكن ما زال رموز هذا التيار ودعاته ممنوعين من التعبير عن آرائهم في أي مكان بسبب مجاهرة هذا التيار بمعارضة الحاكم الذي لا يحكم بالشريعة تصريحاً في خطابهم الدعوي وتصريحهم بكفره، هذا رغم موقفهم الواضح برفض العمل المسلح أو إنشاء منظمات إسلامية سرية.

ثالثاً : السلفية الجهادية

في أوائل التسعينيات رغب عدد من الجهاديين العرب البارزين أمثال أبو محمد المقدسي، وأبو قتادة الفلسطيني في دفع تهمة طالما أثارها بعض الإسلاميين السلفيين تجاه التيار الجهادي وهي أنهم يهتمون بالجهاد فقط بينما لا يهتمون بالعلم فأطلق هؤلاء اسم السلفية الجهادية على التيار الجهادي.

وانتشر هذا الاسم في دول الخليج والشام ، لكن اسم "السلفية الجهادية" أصبح اسماً ذائع الصيت بعد عدد من العمليات المسلحة في الخليج والشام ، وبدأ بعض المتعاطفين مع القاعدة في مصر وغيرها يستحسنون التسمي بهذا الاسم لا سيما وأنه

أقل إثارة للشبهات الأمنية من اسم القاعدة، مع أن فكرهم الحقيقي هو فكر منظمة القاعدة.

وبذلك يتبين لنا أن اسم السلفية الجهادية لا علاقة له بالسلفية العلمية أو الحركية الموجودتين في مصر وفي أغلب الدول العربية، والذين يطلق عليهم اللفظ الدارج والمشهور "السلفيين".

ومُصطلح السلفية الجهادية هو أحد المسميات التي يتمسك بها حاملو فكر الجماعات الإسلامية الحديثة مثل القاعدة وغيرها ومناصريهم للتعرف على نفسهم أو على مدرستهم الفكرية العقائدية. الاسم يشير صراحة إلى رغبة هؤلاء الأشخاص في نسبة أنفسهم إلى السلف، باعتبار السلف هم خير قدوة ومدرسة يجب أن تُحتذى، لكن في نفس الوقت يركزون على موضوع الجهاد الذي يعتبرون أن باقي من ينتسب إلى السلفية متقاعسون عنه[١].

ويُميز السلفيون الجهاديون أنفسهم عن الساحة السلفية الإسلامية الواسعة بإيمانهم بجدوى استخدام العنف[٢]. والفكر السلفي الجهادي / المتشدد لا يقتصر على دولة واحدة ولكنه أصبح سمة عامة تشترك فيها عدة دول.

فقد اتهمت الجزائر السعودية بتصدير الفكر السلفي المحرض على العنف، والمغرب أصبح مكاناً مُستهدفاً لنشر الفكر السلفي المتشدد ومحطة للعنف وقد وقعت فيه عدة حوادث عنف عام ٢٠٠٦م وتم استغلال مؤسسات المجتمع المدني والحرية النسبية والفقر والحاجة في تكوين حلقات تنظيمية يتم تأهيلها لاحقاً للقيام بعمليات عسكرية بالمغرب. وقامت الأجهزة الأمنية بسلطنة عمان بملاحقة بعض العناصر المشتبه بأنها على صلة بالجماعات السلفية المتشددة عام ٢٠٠٤م.

---

(١) موسوعة ويكيبيديا.

(٢) د. بشير موسى نافع، الإسلاميون، (مركز الجزيرة للدراسات، ط ١ - 2010م)، ص 215.

واكتشفت في البحرين خلية سرية في أحد البيوتات رغم أن هناك نفوراً عاماً داخل البحرين من الخطاب السلفي السعودي على المستوى الشعبي والرسمي، كما كانت الإمارات ما بين أعوام ٢٠٠٤ و٢٠٠٦ تتأهب لمواجهة اختراق التيار السلفي العنفي بعد استخدام أفراد تنظيم القاعدة أراضيها لأغراض لوجستية.(١)

وقد نجحت السلفية الجهادية في الدمج بين التوحيد بمعناه الحنبلي الجديد كما أسسه ابن تيمية وفصله ابن عبد الوهاب والمدرسة السلفية، وحاكمية قطب ذات الطبيعة الفكروية، كما أنها نجحت في الدمج بين تجربة الجهاد الأفغاني في جهاد العدو البعيد، وجهاد الأنظمة القطرية العدو القريب حسب تصنيفاتها(٢).

وعن الموقف من السلفية التقليدية نلاحظ أنه قد تطور موقف السلفية الجهادية من التبجيل والتوقير وأخذ مقام المتعلم، إلى المنافحة والمناصحة ثم إلى التخطئة والاتهام والرفض لهم وبخاصة فيما يتعلق بمسائل الجهاد والحاكمية والتكفير وهو ما كان مخاضه بالأساس حرب الخليج سنة ١٩٩٠م. فقد خاطب بن لادن الشيخ ابن باز عام ١٩٩٤م بقوله: "أيها الشيخ، لقد تقدمت بكم السن، وقد كانت لكم أياد بيضاء في خدمة الإسلام سابقاً ، فاتقوا الله وابتعدوا عن هؤلاء الطواغيت والظلمة الذين أعلنوا الحرب على الله ورسوله.."(٣)

ورغم مراجعات منظر الجهاد والسلفية الجهادية السابق سيد إمام الشريف المعروف بدكتور فضل فإن هذه المراجعات تحتاج إلى وقت طويل لكي تفعل بين معتنقي الفكر السلفي الجهادي في العالم أجمع وسوف تتأثر بأشكال العلاقة بين

---

(١) فؤاد إبراهيم، السلفية الجهادية في السعودية، (دار الساقي ط ١ - 2009م)، ص 139 : 141.

(٢) هاني نسيره، القاعدة والسلفية الجهادية، الروافد الفكرية وحدود المراجعات، دراسات استراتيجية، عدد 188 - يونيو 2008م، مركز الأهرام للدراسات، ص 8.

(٣) القاعدة والسلفية الجهادية ، م س ، ص 26.

الدول العربية والإسلامية وبين عنف الولايات المتحدة "الشيطان الأكبر" كما تصفها أدبيات السلفية الجهادية، حيث سيتخذ من أفعالها العنيفة في المنطقة ومن خلفها إسرائيل كوسيلة للاستمرار ولمزيد من تجنيد الأتباع، أي أن العلاقة تلازمية بين وجود تنظيمات السلفية الجهادية وعلى رأسها تنظيم القاعدة، وعنف الولايات المتحدة المباشر بدعمها لإسرائيل وحروبها في أفغانستان والعراق وأيضاً بشكل غير مباشر بسبب دعمها للأنظمة العربية الكافرة حسب رؤيتهم.

* * *

الفصل الثاني

الوهابيـــــة

الحركة الوهابية

ملامح الفكر الوهابي

مر على ظهور النبي الكريم بدعوته أكثر من أربعة عشر قرناً، حدث فيها الكثير من التغير والتطور، والتبدل، واستحداث مشكلات جديدة يترتب عليها أحكام شرعية وبطبيعة الحال كان لا بد أن يجد الإنسان ضالته عن تلك المستجدات من الفقهاء وعلماء الدين، فهم بطبيعة الأمر يجب أن يُسايروا التطور، ويجدوا إجابات على أسئلة الناس، فالدين في حياة المسلم شيء أساسي وهو أمر فطري، ولذاك كانت هناك الكثير من الاجتهادات في الأمر الواحد – هذا في الفقه – رغم أن الأصول التي يُستمد منها تلك الآراء واحدة وهي القرآن والسنة، ولكن اختلفت الآراء باختلاف الزمان والمكان وطبيعة كل من الشخص الذي يَسأل أو يُسأل، ولذا برزت اجتهادات عديدة لعبد الله بن مسعود وعمر بن الخطاب وأبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل والليث بن سعد والكثير والكثير من الأسماء على مر التاريخ الإسلامي الطويل.

ونذكر في هذا السياق آيات القرآن الكريم التي تؤكد الاختلاف وديمومته، حيث قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود:١١٨]، وأيضاً أحاديث المصطفى ﷺ منها "اختلاف أمتى رحمة"، وهذا إن دل فإنما يدل على أن الاختلاف سُنة الحياة، وهو أمر حَيوي وصحي وضروري، وإلا

فقد كان الله عز وجل يستطيع أن يوحد الأمة، ولكن لحكمته لم يفعل، فقد أراد أن يُؤكد أن الاختلاف أمر صحي وضروري، وعلى هذا الأمر استمر طوال التاريخ الإسلامي ظهور فقهاء وآراء تختلف من حين إلى آخر، وقضايا تُستحدث فيُستحدث لها إجابات، ولم يحجر أحد على اجتهاد، حتى قفل باب الاجتهاد في إحدى أشد الفترات تخلفاً وظلاماً، واقتصر الأمر على المذاهب الأربعة وبعد ظهور محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية، وتأسيسًا على أفكار ابن تيمية وابن حنبل وبدعم من الأمير سعود، بدأت المسيرة لنشر فكره، بحماية سيف بن سعود واستمر الأمر بعد ذلك في ذريتهما إلى الآن.

وفي حقيقة الأمر فإن العقلية الوهابية تتمسك بحرفية النصوص الدينية كما وردت في القرآن والحديث ومن نعتمدهم من فقهاء الحنابلة ومن ثم فهي عقلية جامدة ليس فيها مجال لاجتهاد وإعمال العقل بل تقف عند ظاهر النص وحدود العقل(1).

فالوهابيون على إيغالهم في الاعتصام بالفروض الدينية وقواعد الآداب، كانوا على ضعف شديد في المدارك، وبُعد في التعصب(2) كما يذهب البعض.

وأمام ذلك فكل رأي وفكر مخالف لاجتهادات هؤلاء الفقهاء المعتمدون لديهم يُعد مُخالفاً للإسلام .. والمدقق يلاحظ التشدد الشديد في الأحكام الفقهية التي أحدثوها، ومخاصمتها للحضارة، وسنن التطور، تَشدد يميل إلى التطرف، وذلك "انعكاس طبيعي لحياة البادية الصحراوية القاسية وحياة البدو الجافة والفقيرة

(1) د. محمد أبو الإسعاد، السعودية والإخوان المسلمون، (مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان)، ص٢٠.

(2) محمود أبو رية، جمال الدين الأفغاني: رسالته، ومبادئه، (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٦٦م)، ص ٥٥.

والخشنة ومرحلة البداوة والتوحش التي يعيشها هؤلاء البدو والتي تخلو من كل مباهج الحياة الحضارية"[1].

فهذه المجتمعات تعيش في عزلة حضارية، ضربت سياجاً كثيفاً على إمكانيات العقل، والاجتهاد، والإبداع(*)، ومن ثم الإحساس بالعجز عن إمكانية تطوير الواقع إلى الأفضل، وبالتالي فقدان الأمل في المستقبل والانصراف إلى الماضي[2].

وهذا الحنين يلاحظ دائماً عند الحديث عن العصر الإسلامي الأول والصحابة الكرام وإسباغ كل الصفات والتبجيل لهم - وهذا واجب علينا - بشكل مبالغ فيه، فجميع من عاش في تلك الفترة من الكرام الأبرار، وهم أقرب إلى الملائكة منهم إلى البشر، وهذا الأمر مبالغ فيه ومخالف للحقيقة، فقد كان في تلك الفترة - سنوات الإسلام الأولى - منافقون دخلوا الإسلام، ونعرات جاهلية طبقية لم يتخلصوا منها، وقصة أن الرسول مات وقد أخبر الصحابي حُذيفة بأسماء المنافقين في المدينة مُتداولة، وقال فيهم الله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة:١٠١].

فقد كانت هناك بعض التجاذبات بين الصحابة وبعضهم البعض فقد تجاذب اثنين من الصحابة رضي الله عنهما وهما: أبو ذر الغفاري وبلال بن رباح رضي الله

(١) السعودية والإخوان المسلمون، م س، ص ٢١.

(*) فقد أدت العزلة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية إلى عدم تعرض البلاد للاستعمار الأجنبي بشكل مباشر مثلما حدث لمصر والشام ودول المغرب العربي، حيث لم يقتربوا أبداً من أجناس غير الجنس العربي، لم يعتادوا التعامل مع دين مُخالف، وبشرة مُخالفة، لم يعرفوا أن هناك أفكاراً غير أفكارهم وعادات غير عاداتهم وتقاليد غير تقاليدهم وعلى هذا فكل مُخالف لما اعتادوا عليه فهو خروج عن الدين والعرف ويمثل بدعة ولهذه الأسباب أنتجت هذه البلاد فقهاً جافاً غير مرن مع المتغيرات الحادثة، حيث أن الثبات هو ما يميز حياة البادية.

(٢) السعودية والإخوان المسلمون، م س، ص ٢٠.

عنهما وقال أبو ذر لبلال: يا ابن السوداء فذهب بلال رضي الله عنه يشتكي أبا ذر رضي الله عنه للرسول ﷺ فقال النبي لأبي ذر: **(يا أبا ذر أعيّرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية**، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليُلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم) أخرجه البخاري.

أي أن النظرة الحالمة إلى السلف ليست صحيحة، فهم بشر يقع بينهم ما بين البشر في جميع الأزمان والأماكن، وليس هدفنا من الحادثة السابقة الإساءة إلى أيّ من أطرافها أو التقليل من شأنهم، ولكن لنزيل اللبس ونرى الأمور كما كانت عليه دون تجميل أو تزوير.

والأمر ينسحب كذلك على أبرز الفقهاء في التاريخ الإسلامي، وتلك الهالة التي تحيط بهم عند ذكر سيرهم والتقدير الدائم لاجتهاداتهم قد تحول إلى تقديس، فمن يجرُؤ على مُخالفة رأي لأيٍّ منهم.. ومن يستطيع الجهر بذلك، يُرمى بالتحقير والتَسفيه والتقليل من شأنه.

هذا الحنين والتقديس الذي يوجد دائماً أينما حَلت سيرة ذلك العصر، يُقابله تحطيم للذات وتأكيد على استحالة أن نكون مثلهم فكيف نحن منهم هذا التحقير الذاتي للأجيال الحالية والتالية سلوك مرضي مخالف لقول الرسول الكريم عنا إننا إخوته - فقبل وفاة الرسول ﷺ بـ ٩ أيام نزلت آخر آية من القرآن ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٨١] وبدأ الوجع يظهر على الرسول ﷺ فقال: أريد أن أزور شهداء أحد، فذهب إلى شهداء أحد، ووقف على قبور الشهداء وقال: السلام عليكم يا شُهداء أحد، أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وإني إن شاء الله بكم لاحق .

وفي أثناء رجوعه من الزياره بكى رسول الله ﷺ قالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: اشتقت إلى إخواني، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: **لا أنتم أصحابي، أما إخواني فقوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني.**

مما يُؤكد أنه ﷺ لم يُقلل من شأن الأجيال اللاحقة عليه والذين آمنوا به ولم يروه أو يعاصروه لخير مثال على سَقم أفكار التحقير للذات وجلدها والتقليل من شأنها.

وأيضاً فمن أهم المآخذ التي أخذها البعض على الإخوان الوهابيين الفصيل العقائدي المسلح الذي جمعه آل سعود من بدو نجد الرحل عام ١٩١٢ اعتبروا **"أنهم وحدهم هم المسلمون ومن ثم فهم يتميزون على غيرهم من كفار المسلمين أو كفار الأديان الأخرى .. نظروا إلى الغير بتعصب واستعلاء أشد وعاملوا الآخر بعداء وقسوة وتطرف**[1] لهو تصرف ليس للإخوان الوهابيين ذنب فيه بل هو تقليد أرساه منذ زمن بعيد الإمام محمد عبد الوهاب خلال غزواته وحروبه ،أي أن الأمر ليس ذماً في الإخوان بل هو أساسًا في نقد الفكر المؤسس والمحرك لهؤلاء البدو الرحل.

لمحات تاريخية

مقــدمة :

لمعرفة أبعاد أية ظاهرة لا يجب البناء على الصورة النهائية - شبه النهائية أية نتائج أو استنتاجات دون الرجوع قليلاً إلى الخلف والتاريخ يمدنا بتلك المعرفة، وبالغوص قليلاً بين كتب التاريخ نلاحظ الكثير من التفاسير لأمور يصعب فهمها .. وموضوع مثل السلفية يتطلب منا انتهاج هذا النهج بالخصوص للإلمام بأصل الدعوة - الشيخ محمد بن عبد الوهاب - ومعرفة لمحات عن البيئة التي تربت فيها أفكاره وتكونت شخصيته فيها وعوامل انتعاش أفكاره، وكتاب مثل: "عنوان المجد

(١) السعودية والإخوان المسلمون، م س، ص ٢١.

في تاريخ نجد" للمؤرخ الشيخ "عثمـان بن عبد الله بن بشر[١] " يعطينا الملامح المطلوب معرفتها.

وبجانب كتاب ابن بشر نجد أيضاً كتاب "**مشاهير علماء نجد وغيرهم**، تأليف عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ من أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأيضاً كتـاب "**لمع الشـهاب في تاريخ محمد بن عبـد الوهاب**" بتحقيق د. أحمد أبو حاكمة، وهناك مَلمح مهم ألا وهو أن جميع هذه المطبوعات كانت من (**مطبوعات دار الملك عبد العزيز**) أي أنها رسمية لا يتطرق إلى سلامتها وصحتها شك، أو أن تكون مدسوسة، أو تكون وقائعها غير حقيقية ومختلقة، فهي تمس السلطة السياسية بشكل مباشر في مرحلة تأسيسها وبالتأكيد تمت مراجعة متن الكتاب أكثر من مرة وقد يكون قد حذف منه أو خففت وقائع[٢].

كما أن مُحققي بعض هذه الكتب من أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب أي أنه لا يستقيم عقلاً ومنطقاً أن تكون هناك أحداث قد تُسيء إلى الجد أو غير صحيحة ويتركها الحفيد!

---

(١) وتأتي أهمية هذا الكتاب لعدة اعتبارات تتلخص فيما يلي:

أ - الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر عالم فاضل يتحرى الصدق فيما ينقله من خبر أو رواية غير متهم في دينه أو خلقه.

ب- الكتاب سجل دقيق للمواقع والحروب والحوادث والأخبار .

جـ- أدق النسخ وأوفاها .

(٢) نُلاحظ وجود الكثير من الوقائع التي يتغير طريقة عرضها من طبعة لأخرى وتخفف حدتها مثل واقعة مقتل عثمان ابن معمر فقد اختلف سياق الرواية بين الطبعة الرابعة والتي اعتمدنا عليها والطبعة الثانية والتي اعتمد عليها صاحب كتاب "هؤلاء هم الخوارج" لمؤلفه عبد الله القحطاني - وهو كتاب متداول على الشبكة العنكبوتية - ويشير فيه مؤلفه إلى الكثير من الوقائع التي تم فيها تزوير كتب التراث لكي تتلائم مع الفكر الوهابي، ونرى في هذا الأمر أنه مهما كان في كتب التراث من تجاوزات أو حدة، فيجب على من يتولى تحقيق أي كتاب منها أن يتركه كما هو ولا يقوم بحذف أو تغيير ما قد يراه غير مناسب - من وجهة نظره - فالتاريخ أمانة في أيدينا وحق للأجيال القادمة أن يصلها كاملاً مثلما وصلنا، لذا وجب التوضيح.

وعليه فإن الوقائع التي سيرد ذكرها محل حفاوة من أسرة الشيخ - ممثلة في الحفيد المحقق - والنظام الحاكم - باعتبار الكتاب طبع في دار الملك عبد العزيز الرسمية - وفي الأمر إشارة إلى أن تلك الأطراف لم تر أن هناك تناقضاً بين التاريخ والحاضر، أو أدنى تعارض؛ فالرضا عن التاريخ يظهر بالسماح بطبعه ونشره، فالتناغم موجود بين ما كان وما قد يكون.

محمد بن عبد الوهاب

" ١١١٥ - ١٢٠٦ هـ/ ١٧٠٣ - ١٧٩٢م "

من خلال كتاب "**عنوان المجد في تاريخ نجد**" نلاحظ الإصرار على تصوير "نجـد" وأهلها بما كان عليه أهل مكة زمن الجاهلية الأولى جاهلية ما قبل الإسلام والتى أرسل الله عز وجل محمداً رسولاً لهم، والإشارة إلى أن محمد بن عبد الوهاب كان حامل الرسالة المحمدية. فبالتدقيق في الألفاظ والصفات المستخدمة في وصف الشيخ ستكون النتيجة في غير صالحه بلا شك، فعند ربط جاهلية قريش بجاهلية نجد ستكون المقارنة والقياس بين سيدنا محمد ﷺ وما حدث له والشيخ محمد بن عبد الوهاب وما لاقاه، وهذا ما حدث بالفعل في أكثر من موضع وهذا لا يجوز إطلاقاً ولا يصح حتى مجرد التلميح إليه، وأي قارئ للكتاب المذكور يلاحظ الكثير من تلك الإيحاءات التي لا يُصححها ولا يُجدي معها أي تأويل مهما حاول محقق هذه الأحداث.

مرحلة التكوين والبدايات

نشأ في العيينة، عند أبيه **عبد الوهاب بن سليمان القاضي**، وقرأ على أبيه الفقه.. وشرح الله صدره في معرفة التوحيد وحقيقته، ومعرفة نواقضه المُضلة عن طريقه.. ولما تحقق للشيخ رحمه الله معرفة التوحيد، ومعرفة نواقضه.. صار ينكر هذه الأشياء،

واستحسن الناس ما يقول، لكن لم ينهوا عما فعل **الجاهلون**، ولم يُزيلوا ما أحدثة المبتدعون..[1].

وبعد عدة تنقلات ما بين بيت الله الحرام، والبصرة، والإحساء، وحريملاء.. وكان قد كثر منه الإنكار لذلك حتى **وقع بينه وبين أبيه كلام وكذلك وقع بينه وبين أناس في البلد، فأقام على ذلك مدة سنين حتى توفي أبوه عبد الوهاب في سنة ١١٥٣ ثم أعلن بالدعوة والإنكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**[2] وآزره محمد بن سعود كما آزره من بعده ابنه عبد العزيز ثم سعود بن عبد العزيز وقاتلوا من خالفه.. **وكانت دعوته وقد جهر بها!!** سنه ١١٤٦هـ[3].

بعد أن أراد الشيخ منع العبيد من الفساد همّوا بأن يَفتكوا بالشيخ، وبعد أن هرب منهم من حريملاء إلى العيينة، وإكرام رئيسها **عُثمان بن حمد بن معمر**، وتزوج بعدها الجوهرة بنت عبد الله بن معمر **وعرض دعوته** على عثمان قائلاً: **"إني أرجوا إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهرك الله وتملك نجداً وأعرابها"**[4].

ميكافيلية تامة كان شرط الشيخ.. الدعم السياسي والحماية للدعوة مقابل ترك الحكم كاملاً كان هو أساس تفكير محمد بن عبد الوهاب مع أي حاكم سواء أكان عثمان بن حمد بن معمر أم غيره.

يقول ابن بشر: **"إنّ هذا الدين الذي منّ الله به في آخر هذا الزمان على أهل نجد بعدما كثر فيهم الجهل والضلال والظلم والجور والقتال، فجمعهم الله بعد فرقة وأعزهم بعد الذلة، وأغناهم بعد العيلة، فجعلهم إخوانًا فآمنت السبل، وحَييت السُنن، ومَاتت البدع، واستنار التوحيد بعدما خفا ودرس وزال الشرك بعدما رسى**

(١) عنوان المجد، م س، ص ٣٣.

(٢) عنوان المجد، م س، ص ٣٥ : ٣٧ بتصرف.

(٣) خير الدين الزركلي، الاعلام جـ٦، (ط ٥ دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٠)، ص ٢٥٧.

(٤) عنوان المجد، م س، ص ٣٨ بتصرف.

في البلاد، وطغت نيران الظلم والفتن، ورفعت مواد الفساد والمحن ،ونشرت راية الجهاد على أهل الجور والعناد.. وذلك بسبب من عمّت بركة علمه العباد، وشيد منار الشريعة في البلاد، قدوة الموحدين وبقية العلماء المجتهدين وناصر دين سيد المرسلين شيخ مشايخنا المتقدمين الشيخ الأجل والكهف الأظل محمد بن عبد الوهاب أحله الله فسيح جناته وتغمده برحمته.. من جعل عز الإسلام على يديه وجاد بنفسه وما لديه!"[1].

وكان الشرك إذ ذاك قد تفشى وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور والبناء عليها والتبرك بها والنذر لها والاستعانة بالجن والنذر لهم[2].

فكيف يستقيم وجود حالة الجاهلية تلك والإيحاء بعدم وجود إسلام صحيح؟ وهل يخلو زمان ما أو مكان ما من مُسلم موحد مؤمن بالله ؟ أم أنه لا بد من التبرير وخلق المبررات، وتهيئة مسرح الأحداث لتقبل ظهور الشيخ ودعوته فيما بعد!!..

عُلمـاء العصـر

في البدء هناك عدة أسئلة تلح على الذهن ونحن ننظر في السطور السابقة ألا وهي:

هل كانت نجد فعلاً كذلك كما تُظهرها سطور المؤرخين ؟

وهل خلت الجزيرة العربية من موحدين وفقهاء ؟

وهل خلا هذا العصر من علماء أو فقهاء إلاّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؟

الجواب :

بالتأكيد لا ..

(١) عنوان المجد، م س ، ص ٢٧.

(٢) عنوان المجد، م س ، ص ٣٣، ٣٤.

فوالده الشيخ عبد الوهاب هو مفتي تلك البلاد وقاضيها وجده الشيخ سليمان ابن علي هو مفتي جميع الديار النجدية آثاره وتصانيفه وفتاواه تدل على غزارة علمه وفقهه فهو مرجع أهل نجد في زمنه في الفتاوي وكان معاصراً للشيخ منصور بن يونس البهوتي الحنبلي اجتمع به في مكة المشرفة[1]. فنجد لم تكن تخلو من علماء يعرفون التوحيد ويدافعون عنه في كتاباتهم ويستنكرون فعل العامة ومن سايرهم من العلماء والأمراء.

وقد ذكر الشيخ أنه استفاد من دراسة عالم الإحساء في التوحيد، وعندما بدأ الشيخ دعوته لاقى استجابة من بعضهم ودخل في جَدل مع البعض الآخر يدل على سعة معرفة هؤلاء[2]، مثلما حدث مع الشيخ محمد المجموعي البصري، حيث أخذ الشيخ يدعو إلى توحيد الله عز وجل، ونبذ الإشراك، وهجر البدع، وقد استحسن شيخه المجموعي ذلك فأخذ الشيخ محمد يقرر له توحيد العبادة[3].

والشيخ سافر إلى الحجاز في طلب العلم، وأخذ يتردد على علماء مكة المشرفة والمدينة المنورة وأقام بها مُدة، يقرأ فيها على الشيخ عبد الله بن إبراهيم سيف النجدي، ثم المدني، وعلى العالم الشهير **محمد حياة السندي المدني** صاحب الحاشية المشهورة على صحيح الإمام البخاري .. ثم لازم بعد ذلك في البصرة عالماً من علمائها الأجلاء وهو الشيخ محمد المجموعي البصري[4].

والشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه كان يقرأ على يد رجل اسمه الشيخ **عبد الرحمن ابن أحمد** من أهل بريدة هاجر من بلده إليها **ولازم صحبته ستة عشر**

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، دار اليمامة، ط ٢ / ١٣٩٤ هـ ص ٢١.

(٢) محمد جلال كشك، السعوديون والحل الإسلامي، ط ٣ / ١٩٨٢، ص١٠٨.

(٣) مشاهيرعلماء نجد ، م س ، ص ٢٢.

(٤) مشاهيرعلماء نجد ، م س ، ص ٢٢.

عاماً حتى أدرك منه علوم الآلات من العربية ، كالنحو والصرف والمعاني والبيان وعلم البديع وقرأ عليه الحديث النبوي من كتب البخاري مسلم ومسند أحمد بن حنبل رضي الله عنهم، ثم بعد ذلك اتبع الشيخ حسان التميمي في بلاد القصيم، وتتلمذ على يده في علم الفقه والتفسير سبع سنين(١).

أثر كلام وأفكار ابن عبد الوهاب

يشير كتاب لمع الشهاب لريبة الناس الذين عرفوا الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وسمعوا كلامه حتى قيل لأهل البصرة "**فتحذروا من أن يحدث في بلدكم شيئاً**"(٢)، وإن ذُكر بعدها أن ذلك لأنه أخفى نفسه عن بعض الذين عرفوه!!.

وفي قصة لقائه مع القاضي حسين الإسلام -- والذي تولى قضاء البصرة بعده -- ما يستحق أن يُذكر ونفكر فيه كثيرًا فقد ذُكر اللقاء كالتالي :

" فقال له القاضي : أيها الشيخ بلغني عنك أنك تحدث الناس بأحاديث لم تعهد في كتاب العلماء، وتفسر القرآن بوجوه لم ينزلها رب السماء، أتريد أن تحدث أمراً في الدين، أم اشتبهت عليك طريقة المسلمين؟ فإن لم تمتنع تلك الشبهات الواهية وإلا فيهدر دمك ويهتك حرمك ؛ فتعذر هو من القاضي ...

وبعد أن خرج محمد بن عبد الوهاب من البصرة إلى بغداد قال عنه القاضي حسين بعد أن وصله نبأه :

أعوذ بالله من شر هذا الرجل وما هو فيه من الرأي كاد أن يهدم الشريعة لولا أن خاف على نفسه وستعلمون منه بعد ذلك"(٣).

---

(١) لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب، مؤلف مجهول، تحقيق د. أحمد أبو حاكمة، (بيروت ١٩٦٧م)، ص ١٥.

(٢) لمع الشهاب ، م س ، ص ١٦.

(٣) لمع الشهاب ، م س ، ص ١٧، ١٨.

وعندما نورد ما سبق بما ذكره ابن بشر حينما قال: حتى وقع بينه وبين أبيه كلام(١)، ووقع بينه وبين أهل بلده حريملاء جدال وخصام ولكنه لم يصدع بالدعوة!! ويُصرح بإنكار الشرك إلا بعد وفاة والده الشيخ عبد الوهاب سنة ألف ومائة وثلاث وخمسين من الهجرة(٢)!!.

كل هذا ألا يستحق أن نتسائل عن أية هذه دعوة كانت، وسمات صاحبها، وتصرفاته، وأعجب العجب أن تكون أحد أهم مآخذ الفكر الوهابي، ورأس الحربة في الصراع الوهابي الشيعي، هو موضوع التقية، والتي تكون الشماعة التي يرمي بها الوهابيون الشيعة بأقذع التهم والتخوين بسبب ذلك المبدأ ويكون هو نفسه ما اتبعه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حياته وذلك في حديثه مع القاضي حسين حيث قال:

" فتعذر هو من القاضي وحلف بالله بأنه ما قال شيئاً مما نُقل إليه - أي إلى القاضي - وأخذ يُظهر الإخلاص، ويُبدي العجز والانكسار، ويقول رجل غريب طالب علم حل بأرضكم إن رفقتم به فمثلكم من يكرم الضيف، وإن أسأتموه فلا ضرر ولا حيف(٣).

كما أنه كان يُغير اسمه في كل بلد، قيل سمى نفسه في البصرة بعبد الله، وفي بغداد بأحمد وفي الكرد بمحمد، وفي همذان بيوسف وهكذا لم يزل يتخذ التورية والإبهام(٤).

كل ما سبق يجعلنا نقول أية مصداقية في تلك الدعوة وهذا الرجل الذي اعتاد تغيير مواقفه واسمه وإخفاء دعوته والتي يراها حقاً بمجرد أن رغب والده في ذلك وامتثاله لرغبة والده حتى توفي وبعد ذلك صدع بالدعوة.

(١) عنوان المجد، م س، ص ٢٣.

(٢) مشاهير علماء نجد، م س، ص ٢٢.

(٣) لمع الشهاب، م س، ص ١٧.

(٤) لمع الشهاب، م س، ص١٩.

الحدود بين الديني والسياسي

أيجب أن يغطى الموقف السياسي برداء ديني.. فالطابع السياسي للحركة الوهابية متوفر لمجرد انتمائها إلى الفكر الإسلامي الصحيح ودعوتها إلى التوحيد.. مع أن الفكر التوحيدي ورفض الأولياء أو التمسح بالقبور آراء موجودة في الفكر الإسلامي، وأشار إليها ودافع عنها أكثر من عالم في كل قرن وفي أكثر من بلد[1].

وهناك ملمح تأخذنا إليه القراءة في هذه الكتب هي **محاولة كتاب تلك الفترة التاريخية إسباغ القداسة والعصمة النبوية على حياة ومواقف الشيخ** ، وتأخذنا المقارنة- وهي إطلاقاً في غير محلها - شئنا أم أبينا، ولا التى تُفهم من سياق النص في كتب المؤرخين، فنجد أن الشيخ **قد جهر بدعوته**[2]، وآزره محمد بن سعود، كما آزره من بعده ابنه عبد العزيز، ثم سعود بن عبد العزيز **وقاتلوا من خالفه**[3].

وهناك الكثير من النصوص الواردة في استشهاداتنا تعطي هذا الانطباع، وتراجع قصة العهد بين محمد بن عبد الوهاب وعثمان بن معمر، وكذلك مع محمد ابن سعود لكي نتأكد من شُبهة العمد سواء في أسلوب الرواة وتَلبّس محمد بن عبد الوهاب روح النبي ﷺ في كثير من مواقفه وتصرفه بناء على ذلك للتأثير على محيطيه - كما نراه واضحاً بلا لبس في سطور ابن بشر - ونأتي بعد ذلك إلى موضوع إقامته للحدود ونورد القصة كما هي:

أتت امرأة إلى الشيخ واعترفت عنده بما يوجب الرجم وتكرر منها الاعتراف والإقرار فسأل عنها فوجدها صحيحة القوى كاملة العقل، **فلقنها الشيخ الإكراه فأقرت واعترفت فأمر بها فرجمت**[4]!.

(١) السعوديون والحل الإسلامي، م س، ص ٩٤.
(٢) الإعلام جـ٦ ، م س، ص ٢٥٧.
(٣) الإعلام / جـ٦، م س، ص ٢٥٧.
(٤) عنوان المجد، م س، ص ٢٥.

والسؤال يطرح نفسه :

كيف يقوم شخص مَهم علا شَأنه أو علمه بإقامة حد من حدود الله وهو الأمر المفترض تنفيذه من ولى الأمر وتكون القصة مصدر فخر للشيخ ورواة سيرته ومسيرته ؟

ولو أقدم المتطرفون الآن على هذه الفعلة بحذافير الرواية، كيف سيكون رد فعل شيوخ الوهابية اليوم؟.. بالتأكيد ستكون الردود واصفة هؤلاء بأنهم خارجون عن السمع والطاعة، يفرقون الناس، ويفرقون الجماعة.

أما لو جاءت سيرة الشيخ الآن وهذه القصة لأطلق مُتفيقهو العصر حُماة الدين حُراس العقيدة – كما يصفون أنفسهم وبعضهم البعض - المبررات والتخريجات والتي تَصب في نهايتها في تجميل وجه الشيخ رحمه الله وتصرفه كالمعتاد من هؤلاء دائماً.

وبعدما انتشرت القصة وهوجم الشيخ لفعلته يُكمل ابن بشر القصة قائلاً :

" فلما حصل ذلك وشاع وتناقلته الأخبار انزعج ولاة السوء من المترفين وعلماء الضلال! هالهم محو ما ألفوه من المعابد والأوثان وإقامة ما عطلوه من الحدود الشرعية، فشنعوا على الشيخ ورمُوه بالزور والبهتان، ففند أقوالهم وأدحض حججهم بأدلة قاطعة من السنة والقرآن"[1](*).

(١) عنوان المجد، م س ، ص ٢٥ – ٢٦.

(*) قد يشير الترتيب إلى اهتمام هذا التيار الشديد بالحديث الشريف وأسبقية الاستشهاد به لتأكيد آرائهم ووجهات نظرهم حتى ولو تعارضت مع القرآن، والاستماتة في الدفاع عن حديث ما دام انطبقت عليه شروط صحة الحديث وإن خالف المنطق والعقل.. بل والعمد إلى محاولة التوفيق أو التلفيق في سفسطات لغوية لا تثمن ولا تغني من جوع.. للتوسع: انظر السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث..، هموم داعية للشيخ محمد الغزالي.

وبتعاظم سلطان الشيخ محمد بن عبد الوهاب الروحي، أو ما يمكن أن نُطلق عليه القوة الناعمة، وهو ما تُوضحه واقعة رجم الزانية، وتخوف أصحاب السلطة من نفوذه المتزايد، خشية على سلطانهم، وبالضغوط المتتالية على عثمان بن معمر من المحيطين به، فضلاً عن الكتاب الذي وصله من سليمان بن محمد بن عريعر الحميدي حاكم الإحساءة والقطيف، والذي يأمره فيه بإخراج الشيخ محمد بن عبد الوهاب من بلدته (العيينة) ويُهدده فيه عند عدم الامتثال بغزوه وقطع مرتبه الشهري، فأمر عثمان بن معمر بإخراج الشيخ بعد أن كان مقرباً منه ومتزوجاً من الجوهرة بنت عبد الله بن معمر"[1].

اللقاء ابن عبد الوهاب وابن سعود

وقد رحل الشيخ من العيينة إلى حيث يقيم الأمير السعودي في شمال الرياض بقرية "الدرعية" وهناك تعاهد مع ممثل البيت السعودي الأمير محمد بن سعود في سنة ١٧٤٤م، على أن يبقى في مقر الأسرة السعودية أينما كانت، وفي مقابل ذلك يناصر الأمير بقوة سلطانه[2].

وكان اللقاء والعهد بين ابن عبد الوهاب وابن سعود كما أوردته الروايات كالتالي :

"فلما علم بقدمه أمير الدرعية محمد بن سعود بن محمد بن مقرن أسرع بالمسير إليه ودخل عليه في دار الشيخ حمد بن سويلم وقابله بالبشر والحفاوة العظيمة والإكرام، وقال له بعد السلام: **أبشر أيها الشيخ بالنصر والمنعة وهذه كلمة لا إله إلاّ الله من تمسك بها ونصرها غنم الدنيا وربح الآخرة وهي كلمة التوحيد"** واستمر النقاش بين الرجلين كما يستطرد فيه ابن بشر حتى انتهى كما أورد ابن بشر كالتالي:

(١) مشاهير علماء نجد، م س، ص ٢٥ ،٢٦ بتصرف بسيط.

(٢) محمد البهي، الفكر الإسلامي في تطوره ، مكتبة وهبة ، ط ٢ / ١٩٨١م، ص ٧١-٧٢.

"قال له ابن سعود يا شيخ لا شك عندي أن ما دعوت إليه أنه دين الله الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، وأن ما كان عليه اليوم أهل نجد من هذه العبادات الباطلة هو كما ذكرت .. فابشر بنصرك، وحمايتك، والقيام بدعوتك، ولكن أريد أن أشترط عليك شرطين:

الأول : نحن إذا قمنا بنصرتك، وجاهدنا معك، ودان أهل نجد بالإسلام، وقبلوا دعوة التوحيد، أخاف أن ترتحل عنا، وتستبدل بنا غيرنا.

والثاني : أن لي على أهل الدرعية قانوناً آخذه منهم وقت حصاد الثمار، وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئًا، فقال الشيخ : أما الشرط الأول : **فابسط يدك أُعاهدك الدم بالدم والهدم بالهدم، وأما الثاني فلعل الله أن يفتح عليك الفتوحات فيعوضك من الغنائم والزكوات ما هو خير منه"**[1].

وقال أيضاً لابن سعود: "أنت كبيرهم وشريفهم أريد منك عهدًا على أن نجاهد في هذا الدين والرياسة والإمامة فيك وفي ذريتك بعدك **وأن المشيخة والخلافة في الدين فيَّ وفي آلي من بعدي بحيث لا ينعقد أمراً ولا يقع صُلحًا ولا حَربًا إلا ما نراه . كذلك فإن قبلت هذا أخبرك أن الله يُطلعك على أمور لم يدركها أحد من عظماء الملوك والسلاطين، وتكون عاقبة أمرك محمودة عند الله لأنك اتبعت الدين ونصرته! ولم تقصر رتبك عن رتب الصحابة والخلفاء الذين نصروا رسول الله ﷺ وأية منزلة أعلى من هذه؟ فقال محمد بن سعود قبلت وبايعتك على ذلك"**[2] وهذه الرواية لا تبعد كثيراً عن رواية ابن بشر[3].

(١) مشاهير علماء نجد ، م س ، ص ٢٨، ٢٩.

(٢) لمع الشهاب ، ص ٣٠-٣١.

(٣) عنوان المجد ، ج ١ ، ص ٤١.

ويُلاحظ في هذا الموقف أنه يُشبه في مضمونه، اللقاء والعهد على النصرة والذي تم بين ابن عبد الوهاب، وعثمان بن حمد بن معمر صاحب العيينة عندما قال له في ترغيبه: "**إني أرجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهرك الله وتملك نجدًا وأعرابها**"[(١)].

أي أن المعنى والرسالة واضحة، فمن قام بتأييد دعوة محمد بن عبد الوهاب فسوف ينصره الله ويفتح الله بين يديه وسوف يملك ويسيد ويسود وتتوسع أرجاء حكمه، فدعم الشيخ لأي حاكم سيعود دوماً بالنفع على الحاكم، وطاعة الشيخ واتباع دعوته، طاعة لله وطاعة لأوامره.

الطابع المصلحي بين كل الأطراف ظهر من بين الأسطر بوضوح، مهما غُلِّفَ الحوار بكلام من نوعية إظهار دين الله، وتلك القداسة التي يسبغها ابن عبد الوهاب على ابن سعود، وتبشيره له في حالة تأييد دعوته. وكأنه يجب أن يلتزم الآخرون بآرائهم لكي يكونوا على دين الله، وكذلك الجهاد في سبيل الله وسوف نستطرد في هذه النقطة لاحقًا.

أصبح الطموح السياسي وراء التأييد لدعوة ابن عبد الوهاب سواء أكان لعثمان ابن معمر ومن بعده لمحمد بن سعود الطموح في التوسع في مُلكه – والطموح مشروع – بحاجة إلى إطار ديني، يستطيع أن يُقدم نفسه ومشروعه خلاله .. والشيخ ابن عبد الوهاب في أمس الحاجة إلى الأمن والحماية والاستقرار، وحُرية الدعوة وقد وجد في ابن سعود ضالته، وتلاقت الرغبتان بين الرجلين، وبدأت المسيرة في الدرعية قاعدة تأسيس وانتشار الدولة السعودية والمذهب الوهابي أو السلفي كما يؤكد مريدو الشيخ بأنهم سلفيون وليس وهابيين.

(١) عنوان المجد ، ج١ ،ص ٣٨

ما بعد البيعة والعهد

استقر الأمر لمحمد بن عبد الوهاب وبأمان ورعاية محمد بن سعود له بدأ في التوسع في الدعوة تحت ظلال كتاب التوحيد.

وتفاصيل تلك الفترة من حياته توضح الكثير من السمات العامة لفكره، وهي التي استمرت حتى هذا اليوم، فالصلاة مثلاً واجبة - بلا خلاف - ولكن عندما ترعاها السلطة، وتفرضها على الناس تحت أي اسم هُنا يجب أن نتسائل عن كيفية أن يكون لبشر فرض هذا الأمر على بشر آخر، بل ويعاقبه إذا خالف ذلك، أليس هذا خاص بالله عز وجل فقط؟

أم نشرك به - نحن كبشر - ونُشاركه حقه ونعاقب مثله يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٧].

أي أن مَرد صلاتنا إلى الله تعالى، يقبلها أو يرفضها، ولولى الأمر أن يدعو إلى الصلاة ويصطبر عليها، يقول تعالى ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه : ١٣٢].

ويُلاحظ اهتمام ابن عبد الوهاب المبكر بالصلاة، فقد أمر بإنشاء مسجد **"ليحضر جميع رجال القرية فيه عند كل صلاة فإن الدين لا يسع غير هذا"**[(١)]، وبعد الفراغ من البناء قال: **ينبغي أن لا يفرش في هذا المسجد إلا الحصيات لأن مسجد الرسول كان كذلك**، فأخذ يأمر الناس بالذهاب إلى المسجد لأجل الصلاة فيه جماعة وكان يقول ابتداء: **كل من لا يحضر الجماعة مع قدرته عليها عزرناه**[(٢)]، مع ملاحظة أن الأمر إلى الآن قائم في المملكة العربية السعودية حيث تُفرض الصلاة في وقتها

(١) لمع الشهاب، م س، ص ٣١.

(٢) لمع الشهاب، م س، ص ٣٢.

على الناس وتُغلق المحال والمصالح وأهمية الصلاة لا جدال فيها وفي وجوبها ولكن النقطة المثارة الآن هي مدى إمكانية فرض ركن من أركان الإسلام من قبل السلطة أياً كان شكلها ومدى شرعية هذا الأمر والتي يبدو أن الشيخ ابن عبد الوهاب قد وضعها موضع التنفيذ في حياته واستمر في اتباعها أبناؤه من بعده.

فضلاً عما سبق فإن الشيخ كان راغباً في حياته في حضور جميع أهل الوادي لدروسه في المسجد وعندما كان أحد الرجال يرفض الحضور إلى درسه أمر بإحضاره قائلاً: " لم لا تحضر الجماعة للدرس ؟ فأخذ الرجل يتعذر ، فقال محمد بن عبد الوهاب: لا بُد لقبول توبتك من أن تحلق لحيتك !! أو تُغرم مائة ذهب !!

وهذه الواقعة إن دلَّت فإنما تدل على مدى اتساع سَطوة وسُلطان ابن عبد الوهاب بحيث كل شيء أراده محمد بن سعود أو أولاده رجعوا به إلى محمد بن عبد الوهاب ، فإن ارتضاه ارتضوه وإن أباه أبوه بلا كلام[(١)].

وهذه الواقعة تُعد الموقف التأسيسي والإرشادي لفهم العلاقة بين طرفي الحكم - الأمير والشيخ - أياً كانا ، حيث يظهر من سيرة العلاقة بين العلماء والحكام السعوديين أن ثمة تحالفاً مصيرياً غير قابل للفكاك بين الوهابية والعائلة المالكة بما يجعل التلاحم بينهما ضرورة مشتركة، إذ أن بقاء أحدهما متوقف على بقاء الآخر والعكس بالعكس، مما يجعل خيار التمسك بالوهابية من قبل العائلة المالكة خياراً استراتيجياً ومصيرياً[(٢)].

التباس المفاهيم

أخطر ما يمكن أن يُثار هو التباس المفاهيم لدى الشيخ، فما عُدنا نعرف هل هو رسول جديد أم مُجدد؟ أم أيهما على وجه التدقيق! فهو لم يُصرح بالنبوة ولم يأت بجديد كما يُردد أتباعه وما هو إلاّ من أتباع ابن حنبل، وابن تيمية، مُسايرًا ومُؤمناً

(١) لمع الشهاب ، م س ، ص ٣٥.

(٢) السلفية الجهادية في السعودية ، م س ، ص ٤١.

باجتهاداتهم، ومحاولاً إعادة بعثها من جديد في عصره وتصرفاته واتفاقاته تؤكد العكس، فهو يبشر محمد بن سعود بأن الله يُطلعه على أمور لم يدركها أحد من عظماء الملوك والسلاطين، وتكون عاقبة أمره محمودة عند الله، لأنه اتبع الدين ونصره. ولم تقصر رتبه عن رتب الصحابة، والخلفاء الذين نصروا رسول الله، كما ورد في العهد بينهما أي رجل هو ذلك الرجل!

وبخلاف ذلك فالحديث الشريف يقول (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا)[1]، أي أن الحديث واضح وصَريح دون مُواربة، ولا توجد أية محاولة للي عُنق الحديث، فالهجرة كانت من مكة وقت اشتداد التضييق على الرسول ﷺ، وانقطعت بفتح مكة، أي أن المصطلح بمعنى أن نُهاجر من مكان إلى آخر مؤقت بعلّة.

ولكن من المعروف أيضاً أن باب الهجرة لم ينقطع، ولكن أية هجرة؟.. أهجرة مكان إلى مكان؟

لا ..

فالحديث الشريف يُخبرنا أنه "لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ثلاثاً ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها"

فباشتداد أذى قريش للنبي ﷺ وصَحبه الأوائل، أذن الله للصحابة بالهجرة إلى الحبشة، وبعد ذلك هاجر النبي وأبو بكر إلى المدينة بناء على أمر من الله تعالى، وبداية لمرحلة جديدة للتاريخ الإسلامي ولدولة الإسلام، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدأ التفكير في وضع تقويم خاص للمسلمين واختلفوا في اختيار ميقات التقويم، ولم يستمروا طويلاً في اختلافهم حتى اتفقوا على اختيار عام هجرة الرسول كبداية للتقويم.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير.

وبعد ذلك اتُخذ هذا المفهوم السابق توضيح خُصوصيته من محمد بن عبد الوهاب وأتباعه كواجهة للتدليل على دعوته، وتأريخاً للمرحلة، وانتهج ابن بشر تلك السياسة في تاريخه في أكثر من موضع، وشايعه الكثير من المؤرخين لتلك الفترة فذكر أن ".. **وأن الدرعية صارت دار هجرة عندما شرح الله صدره لذلك**"[1]، **ولما كثر المهاجرون عند الشيخ ضاق بهم العيش..، وكان الشيخ رحمه الله تعالى لما هاجر إليه المهاجرون يتحمل الكثير في ذمته لمؤنتهم**".[2]

وحين فتح الرياض وفي ذمته أربعون ألف محمدية فقضاها من غنائمها وكان لا يمسك على درهم ولا دينار وما أتى إليه من الأخماس !! والزكاة ..[3]، **وبايع عثمان بن معمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الإسلام!!**، والجهاد في سبيله وكذلك أهل بلد حريملاء وفدوا على الشيخ **وبايعوه**..[4]

فضلاً عن كل ذلك فالغموض يحيط بنا، ولا نعرف على أي أساس فرقت هذه الفرقة بين الناس، وبين المؤمنين وغير المؤمنين؟

وكيف تصنف الناس وتقول هذا مسلم وذاك غير مسلم؟

وما هي معاييرهم التي يقيسون عليها؟

وهل من يتبعهم ويسايرهم مؤمن ومسلم ومن أهل التوحيد ومن خالفهم فهو في المعسكر المقابل لا أمان ولا أمانة له؟

وبالنظر إلى أن الوهابية قد ظهرت في محيط إسلامي فجميع قبائل نجد تؤمن بالإسلام، وكذلك سكان البلاد المحيطن بهذه الهضبة في جزيرة العرب أو على

---

(١) عنوان المجد، ج ١، م س، ص ٤٣.

(٢) عنوان المجد، ج ١، م س، ص ٤٦.

(٣) عنوان المجد، ج ١، م س، ص ٤٦.

(٤) عنوان المجد، ج ١، م س، ص ٤٨.

أطرافهـا الشمـالية في العـراق والشـام يؤمنون بالإسـلام ويؤدون شـعائره ومن ثم لا يوجد مبرر ديني للغزو والسبي ولذلك لجأت الوهابية إلى اعتبار أتباعها وحدهم هم المسلمين[1].

وعلى هذا الفصل والنبذ نذكر قصة عثمان بن معمر والتي تثير فينا العجب وأسئلة أكثر من الأسئلة السابقة، فكما ورد في كتاب ابن بشر حيث يحكي قصة عثمان بن معمر: **"فلما فرغت صلاة الجمعة** وخرج سرعان الناس **قُتل في المسجد**[2] أي إسلام هذا؟! وأية دعوة تلك التي يُستباح فيها دماء رجل مهما كانت جريرته في المسجد – أو في غيره – وهل كان رجل يوصف بأنهُ " **تبين منه مُوالات أهل الباطل وإذلال من عنده من المسلمين!! وتقريبه لأعدائهم واشتهر منه الشقاق والخلاف وتحقق عند الشيخ ذلك منه!!**[3]، أن يؤدي صلاة الجمعة، ويقتل بعدها في المسجد.

وهل من الممكن اليوم لأي متطرف أو أيٍّ من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب اليوم أن يقيس بين قصة عثمان بن معمر على حاكم المملكة اليوم - أو أي يوم - ويطبق ما فعله الشيخ يومها؟! وماذا سيكون رد الفعل من أتباع الشيخ في المؤسسة الدينية تجاه هذا التصرف؟ أيعتبرونه تصرفاً أهوج أم تصرفاً حكيماً؟!

ثم كيف تحقق الشيخ من ذلك وكيف يؤلب الناس، يقول بن بشر: **"وتحقق عند الشيخ ذلك منه وجاءه أهل بلدة العيينة وشكوا إليه الخوف من غدره قال لمن قدم عليه منهم، أريد منكم البيعة على دين الله ورسوله ومُعاداة من عاداه ومُوالات من والاه ولو أنه أميركم عثمان فبايعوه على ذلك**[4]!

(١) السعودية والإخوان المسلمون، م س، ص ٢٣.

(٢) عنوان المجد، ج ١، م س، ص ٦٠.

(٣) عنوان المجد، ج ١، م س، ص ٦٠.

(٤) عنوان المجد، ج ١، م س، ص ٦٠.

هنا يصح أن نسأل هل كان ما يدعو إليه الشيخ هو الإسلام حقًا أم دين جديد كما ذكر ابن بشر في كتابه عدة مرات حيث قال "**ولما مَنَّ الله سبحانه بظهور هذه الدعوة وهذا الدين!**"[1] وقال أيضاً "**ثم إن هذا الدين الذي منَّ الله به في آخر الزمان على أهل نجد بعدما كثر فيهم الجهل والضلال والظلم والجور والقتال**"[2].

ورغم ما حاوله محقق الكتاب أن يُبرر سياق هذه الفقرة بأن هذا الأمر جديد **بالنسبة إلى أهل نجد وما كانوا فيه من الضلال وعبادة الأشجار والأحجار وقد بعدوا كل البعد عن تعاليم الدين والإسلام وترددوا في هاوية سحيقة من الشرك والضلال**[3].

كل هذا يطرح نفسه عند تلك القراءة، فالقرآن والسنة والتاريخ الفقهي على مر تاريخ المسلمين اعتنى بآداب القتال، والتيار الوهابي يؤمن ويدعو إلى عدم الخروج على الحاكم "**ما دام قد أقام الصلاة**"، فكيف يأخذ الشيخ العهد من أهل العيينة على الخروج على أميرها وهو الذي لغرابة الأمر قتل في المسجد بعد صلاة الجمعة!!

أي تناقض هذا، وهل لو تكررت هذه الواقعة الآن واستند أصحابها إلى ما حدث من الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأخذه البيعة دليل على وجوب الخروج على الحاكم الظالم، ولو أقام الصلاة ماذا سيكون ردة الفعل من خلفاء الشيخ فكريًا وفقهيًا؟

وماذا سيقولون في تبرير هذه الفعلة؟

وهل يُؤَمنون على تصرف الشيخ أم يُخالفونه؟

أسئلة وعلامات استفهام كثيرة تطرح نفسها تلقائيًا عند أية قراءة سريعة كانت أم مُتأنية للكتاب تدعونا إلى التساؤل..

(١) عنوان المجد، ج ١ ، م س ، ص ٤٨.

(٢) عنوان المجد، ج ١ ، م س ، ص ٢٦.

(٣) عنوان المجد، ج ١، م س ، ص ٢٦.

هل هذا تصرف إسلامي يأمرنا به الإسلام؟

أم هو تصرف سياسي انتهازي بلا أخلاق هدفه ليس نشر دعوة الله أو تصحيحها طبقًا لفكر معين؟

أم هو شبق السلطة الذي تلبس رجل دين - عاش طويلاً مطرودًا مُطارداً بسبب أفكاره – أمام انتهازية السياسية، ورغبته في توسيع نطاق مُلكه وما هي مُبررات طاعة وعدم طاعة حاكم أي حاكم؟

وما هي معايير استحلال دم فئة من الناس وترك فئة أخرى؟

وهل فرقة مُؤسسها وتاريخها بهذا التخبط والتناقض يصح أن تطلق على نفسها - بالتصـريح والتلميح قولاً وكتابةً - "**أهـل التوحيد وأهل السنة والجماعة**" وأيضاً يا للعجب "**الفرقة الناجية**"؟

وهل يصح أن نطلق على هذه الغارات الغجرية التي لا تهدف سوى إلى السلب والسبي والتقتيل في المسلمين والمسلمات غزوات لتبرير هذه التصرفات؟ أهذا هو الإسلام الذي بعث الله نبيه محمد ﷺ لأجله أم أي إسلام هو؟

آداب الحروب في الإسلام الوهابي

للإسلام آداب في الحروب، واشتراطات وبيان أهدافها وحثنا الله في كتابه الكريم على الجهاد وبين أجر أصحابه، يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ

ٱللَّهِۚ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ [1]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: سألت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: (الصلاة على ميقاتها). قلت: ثم أي؟ قال: (ثم بر الوالدين). قلت: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله). فسكت عن رسول الله ﷺ، ولو استزدته لزادني[2].

وكان الرسول الكريم ﷺ يودع صحابته في السرايا قائلاً : **"سيروا باسم الله، وفي سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله، ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليداً"**.[3]

وهناك الكثير والكثير في تاريخ الفقه الإسلامي، وقواعد الفقهاء واضحة جليّة في آداب الحروب، والمفترض أن يكون شخص بحجم الشيخ محمد بن عبد الوهاب على علم بها، ومن واجبه وهو المرجعية الدينية لأسرة محمد بن سعود أن يوضح هذه الآداب والتعاليم، ويحذر من تجاوزها بما له من سلطة معنوية طاغية على أسرة محمد بن سعود.

ولكن أين هذه التعاليم الربانية من تصرفات أصحاب الدعوة الوهابية في حروبهم، فابن بشر يورد لنا في تاريخه في حوادث سنة ١٢١٦ قائلاً :

"سار سعود بالجيوش المنصورة والخيل العتاق المشهورة، من جميع حاضر نجد وباديها، والجنوب والحجاز وتهامة وغير ذلك، وقصدوا أرض كربلاء ونازل أهل بلد الحسين، وذلك في ذي القعدة فحشد عليها المسلمين، وتسوَّروا جُدرانها ودخلوها عنوة، وقتلوا غالب أهلها في الأسواق والبيوت، وهدموا القبة الموضوعة بزعم من اعتقد فيها على قبر الحسين، وأخذوا ما في القبة وما حولها، وأخذوا

(١) التوبة: ١١١، ١١٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير برقم ٢٦٣٠.

(٣) فهرس ابن ماجه ، كتاب الجهاد رقم ٢٨٥٧.

النصيبة التي وضعوها على القبر، وكانت مرصوفة بالزمرد والياقوت والجواهر، وأخذوا جميع ما وجدوا في البلد من الأموال والسلاح واللباس والفرش والذهب والفضة والمصاحف الثمينة وغير ذلك مما يعجز عنه الحصر، ولم يلبثوا فيها إلاّ ضحوة وخرجوا منها قرب الظهر بجميع تلك الأموال، وقَتل من أهلها قريب ألفي رجل، ثم إن سعوداً ارتحل منها، فجمع الغنائم وعزل أخماسها، وقسم باقيها على المسلمين غنيمة للرجل سهم، وللفارس سهمان ثم ارتحل منها قافلاً إلى وطنه[1]".

وقد يقول البعض إن ما سبق لهو غلطة، وليس معياراً يمكننا أن نحكم به على الرجال المؤسسين للدعوة، وقد تكون هفوات أو زلات وليس قاعدة. وهنا نقول إن ما سبق عرضه لهو القاعدة وليس الاستثناء وتاريخ ابن بشر مليء بذلك والاحتفاء بالكتاب وكاتبه في المحافل العلمية لهو دليل على مكانة الكتاب وصدق ما فيه، ووجود اسم حفيد الشيخ على الكتاب كمحقق، يُؤكد أن الوقائع المذكورة حقيقية، وليست افتراء ومحض خيال للمؤلف.

يورد ابن بشر في تاريخه في حوادث سنة ١١٨٧ هـ كمثال آخر ونورده هنا كاملاً لتأكيد وجهة نظرنا:[2]

ثم دخلت السنة السابعة والثمانون بعد المائة والألف وفيها سار عبد العزيز إلى الرياض بجنود المسلمين! ونازل؟ أهلها أيامًا عديدة، وضيق عليهم، واستولى على بعض بروجهم وهدم أكثرها، وهدم المرقب، وحصل بينهم قتال. وقتل من أهل البلدة عدة رجال، وقتل من الغزو اثنى عشر رجلاً، منهم عقيل بن ناصر وابن خفيقان وذلك في شهر صفر[3].. وبعد هذه الوقعة دخل قلب دهام الرعب والخجل

(١) عنوان المجد، ج١ ، م س ، ص ٣٨.

(٢) عنوان المجد، ج ١ ، م س ، ص ١١٨-١٢١.

(٣) لاحظ أنه من الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال، ويكون مسموحاً به فقط في حالة الدفاع عن النفس، ومن الرواية نجد أن عبد العزيز هز من سار بالجيش.

وداخله الخوف والوجل فلم يستقر له عين، وقام يحاول الانهزام وجمع رؤساء بلده وأخبرهم بحقيقة مقصده وأنه مليء خوفاً ورعبًا فصاحوا عليه بأجمعهم، وقالوا خذ منا العهد والميثاق فقال لهم: دعوني فليس هذا البلد لي وطناً ولا أجد به أنساً ولا سكناً.. فلما انتصف ربيع الثاني سار عبد العزيز غازيًا إلى الرياض فلما قرب من بلدة عرقة عارضه البشير بأن ابن دواس خرج من الرياض هاربًا فحث عبد العزيز السير إليها، وقدمها بعد العصر، فإذا دهام قد ألقى الله في قلبه الرعب فخرج منها في النهار هو ونساؤه وعياله وأعوانه، وهذا شيء حدث، فإنه ما خاف من أهل بلده خيانة، بل كلهم صادقون معه ولا حصل عليه تضييق يلجؤه إلى ذلك. والحرب بينه وبين المسلمين له وعليه! ولكن الله سبحانه جعلها آية لمن افتكر وعبرة لمن اعتبر، قيل إنه انتفخ سحره وطاش قلبه ولبه، فقام فزعًا مرعوبًا وركب خيله وركابه. فلما ظهر من القصر قال: يا أهل الرياض، هذا لي مدة سنين أحارب ابن سعود، والآن سئمت من الحرب فمن أراد أن يتبعني فليفعل، ففر أهل الرياض في ساقته الرجال والنساء، هربوا على وجوههم إلى البر وقصدوا الخرج وهلك منهم خلق كثير عطشًا وجوعًا! ذكر لي - المقصود ابن بشر - أن الرجل من أهل الرياض يأخذ الغرب - نوع من الدلو الكبير - يجعل فيه ماء ويحمله على ظهره والغرب لا يمسك الماء والإبل عنده لا يركبها، وتركوها خاوية على عروشها، الطعام واللحم في القدور، والسواني في المناحي والأبواب لم تغلق، وفي البلد من الأموال ما يعجز عنه الحصر، فلما دخل عبد العزيز الرياض نادى فيها بالأمان، وأرسل إلى أهلها الذين انهزموا يدعوهم إلى الرجوع إليها، فرجع كثير منهم وسكنوها، وحاز عبد العزيز ما فيها من أموال الهاربين، من السلاح والطعام والأمتعة وغير ذلك، ومات ممن تبع دهام في هزيمته نحو من أربعمائة.. وقد أقام هذه الحرب سبعاً وعشرين عاماً!!، وذكر لي أن القتلى بينهم في هذه المدة نحو من أربعة آلاف رجل من أهل الرياض ألفان وثلاثمائة. ومن المسلمين!! ألف وسبعمائة.

وفيها أرسل عبد العزيز إلى زيد بن زامل رئيس بلد الدلم، بنبذ العهد ولا التفت إلى ذلك وقام يؤلب على المسلمين، فأرسل إلى رئيس نجران يستحثه ويدعوه إلى محاربة المسلمين، ويبذل له المال، فلم يجبه إلى ذلك لأنه يطلب الزيادة في العطاء، فأرسل إليه زيداً يحثه على المسير ويبذل له المال ويجعله قبل قوة ابن سعود وأتباعه، فأرسل إليه النجراني أخبرني بالمبذول فبذل له ثلاثين ألف زر – عملة ذلك الزمان – وطلب منه زيد يرسل إليه رهائن فيها حتى يسير بجنوده ويحصل له مقصوده، فأرسل إليه النجراني من رؤساء قومه رهائن.."

ونعتذر للإطالة ولكن الأمر يتطلب ذلك للتأكيد والكتاب غَني بمثل هذه التجاوزات التى تخالف الإسلام ومبادئه شكلاً وموضوعًا.

والملاحظ على القصة السابقة وغيرها من الكثير مما أورده ابن بشر والمستفاد منها عدة أمور وهي:

١ . المسلمون في نظر الشيخ وأتباعه هم أنفسهم، وغيرهم لا يعتدون بإسلامه، ففي عام عام ١٢١٧هـ أرسل سعود بن عبد العزيز لأهله بياناً حيث جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعود بن عبد العزيز

إلى كل أهل مكة والعلماء والآغوات وقاضي السلطان

السلام على من اتبع الهدى

أما بعد: فأنتم جيران الله وسكان حرمه آمنون بأمنه، إنما ندعوكم إلى دين الله ورسوله (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون "فأنتم في أمان الله ثم في أمان أمير المسلمين سعود بن عبد العزيز وأميركم عبد المعين بن مساعد، فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله والسلام"[1].

(١) عنوان المجد ، م س ، ص ٢٦١.

والخطاب لا يحتاج أدنى تعليق !!

والعنف هو نفسه ما حدث في واقعة اليتيمة سنة ١٢٦٥ هـ حيث قال ابن بشر واصفًا الفتح المبين لمغاوير الإسلام الوهابي :

" فكرَّ عليهم المسلمون كرّة واحدة كأنهم أقبلوا للسلام أو دعوة إلى مائدة فغابت عنهم الشمس قبل وقت غيوبها وأظلم بحالك الغبار شمالها وجنوبها، فوطأهم المسلمون كأنهم لا يرون ولا يسمعون، فلم يقفوا لهم حين سمعوا ضرب الهام، وحامت عليهم حوائم السام، حتى ولُّوا منهزمين ،وعلى وجوههم هاربين، وذهل الوالد منهم عن ولده، والمنهزم أشفق على السلامة فرمى ما بيده، واستمر الضرب والطعن في أقفيتهم بعد أن كان في صدورهم!!! فلم تر إلاّ رؤوسًا مقطوعة وأسلابًا منزوعة ، وأشلاء مطروحة وجلودًا مجروحة، فلم ترجع عنهم خيل المسلمين ورجالهم وأبطالهم!!!! حتى قتلوا فيهم قتلاً ذريعًا، وفتكوا فيهم فتكًا شنيعًا... فلما رأى عبد الله! أن المسلمين!!! يقتلونهم، ولا يرحمونهم، وأنهم مستسلمون للقتال دخلته الرحمة له، وكف عنهم باقي القتل وهرب رئيسهم عبد العزيز، حمله فارس من قومه وزين مع شريدتهم قصر الطعمية المعروف ، وأشار بعض المسلمين!! على عبد الله أنه يحصرهم فيه فقال: كفاهم ما وطأهم فتركهم وأخذ المسلمون جميع جيشهم وما معهم من السلاح الثمين[(١)].

وهنا ملاحظة: أي إسلام هذا الذي يحملون رايته ويقاتلون تحتها ؟؟!

إسلام النبي محمد ﷺ الذي أرسله الله عز وجل هداية ورحمة يمنع القتال في الأشهر الحرم إلاّ لو كان دفاعًا، إسلام النبي محمد ﷺ يحرم التمثيل بالقتلى والهدم والحرق، إسلام النبي محمد ﷺ يدعو إلى الرحمة حتى مع الأعداء، إسلام النبي محمد ﷺ يدعونا إلى تجنب التكفير وعدم استسهال الكلمة لخطورتها .

(١) عنوان المجد ، م س ، ص ٢٦٣، ٢٦٤.

هذا بعض ما يدعونا به الرسول الكريم ويأمرنا به الله عز وجل في كتابه الكريم وما سبق هو إسلام محمد بن عبد الوهاب وهو شيء دخيل على شرع الله ومنهج مكتمل الأركان حقيقة وليس سراباً وما الراية التى رفعها براية الإسلام المحمدي الكريم بل هو تحت راية ليست من الإسلام السوى الحنيف.. إسلام مشوه وعقيدة مهترئة تخالف الفطرة السوية ويلفظها أقل من لديه ذرة عقل ونفس سوية.

٢- الحركة الوهابية، حركة أيدلوجية فيها كل العنف الفكري. الذي هو في الحقيقة تعبير عن الرفض الشامل للواقعين الاجتماعي والسياسي، وكل الحركات الأيدلوجية ذات المضمون السياسي والاجتماعي، تبدأ بطرح قفاز الجدل وتدعو خصومها إلى مقارعة الحجة بالحجة، وهي إذ ترفض واقعهم، وتتحدى تفكيرهم الموروث، ونمط حياتهم، وتسخر من منطقهم، إنما تستفزهم للاحتكام إلى السيف، أو السلطة فتصبح المقاومة أو الثورة مشروعة.. بل ودفاعًا عن حرية الجدل[1].

ومنهج الجدل هو المنهج المستخدم دائمًا عند أية محاولة للنقاش في أي موضوع مع ملاحظة أن الجدل يختلف عن النقاش أو الحوار فيعني الجدل الاستمرار في الرأي حتى ولو تبين خطؤه بينما الحوار يقوم في أساسه على إمكانية التنازل عن الرأي الذي يعتنقه الفرد في حالة وجود دليل قوي أو حجة مقنعة .

٣- وقت الحرب لا دين ولا عقيدة تُعرف، بربرية لا تعرف أية تعاليم دينية، وللأسف أنصار هذا التيار رغم استباقهم دائمًا عند أي حديث أنهم دائماً وراء الدليل أينما كان لا الشخص فإنه عند أول بادرة للمساس بدعائم وعقائد الفكر فإنهم أول من يتخلى عن الدليل وآداب الحوار ويكون الجدل والكلام في حلقة مفرغة لا يمكن أن يصل منها أحد إلى فائدة.

(١) السعوديون والحل الإسلامي ، م س ، ص ٩٥.

٤. هناك علاقة تأسيسية ومؤسساتية بين الحركة الوهابية والعائلة المالكة حيث **أن بقاء أحدهما متوقف على بقاء الآخر والعكس بالعكس**[١].

عوامل انتشار الحركة الوهابية

هناك من العوامل ما ساعد على التمدد العسكري والانتصار السياسي للوهابية في أعقاب التحالف بين الشيخ والأمير:[٢]

ويمكن إجمال تلك العوامل فيما يلي :

١. الانقسام بين حكام نجد الذي مكن الوهابيين من إنزال الهزيمة بهم .

٢. الصراع الداخلي بين العائلات الحاكمة الذي ساهم في إضعاف قدراتها على مقاومة التحديات الخارجية، ومكّن القُوى الخارجية من استغلال الانفصاليين لأغراضها الخاصة.

٣. هجرة عدد من القبائل النجدية إلى العراق نتيجة تزايد الضغط السعودي الوهابي، والتأثيرات المتوقعة للتغيرات الطقسية والموسمية، مما شكل عاملاً إضافياً لنجاح مشروع الجهاد الوهابي السعودي .

٤. اعتناق بعض الفئات الاجتماعية المذهب الوهابي بصورة سلمية، مما ساهم في توفير دعم هام للتوسع، وانتشار الوهابية في الجزيرة العربية .

ما يؤخذ على الدعوة الوهابية "السلفية":

لكل صاحب فكر أو دعوة مُؤيديه ومُعارضيه والمُعارضة قد تكون من أجل المعارضة وقد تكون لأسباب موضوعية مع العلم أن كل قول يؤخذ منه ويرد ولا عصمة لبشر في قول أو فعل بعد النبي ﷺ والدعوة الوهابية على امتداد تاريخها

(١) السلفية الجهادية في السعودية ، ص ٤١.

(٢) السلفية الجهادية في السعودية، م س، ص ١٥،١٤.

كانت مرمى لسهام الكثير من الفقهاء نقدًا لها ولكن أن ترى أية دعوة أنها الفرقة الوحيدة التي على حق وغيرها على باطل فهذا أمر لا يمكن قبوله، أن تنفي فرقة غيرها فكريًا ومعنويًا فهنا يكون مكمن الخطورة، أن تتمسك فرقة من المسلمين بقائمة من الآراء وتعتبرها هي الإسلام ومن يخالف فهو ليس من المسلمين فهذا مخالف لجوهر الإسلام وروحه، تعدد أوجه الانتقادات لدعوة محمد بن عبد الوهاب الذي عدّه أحمد أمين من المجددين في الإسلام، **ويمكن إجمال بعض أوجه الانتقادات فيما يلي:**

١. **توسعها في أمر البدع حتى أنهم توهموا أمورًا لا صلة لها بالعبادات بدعًا.**

٢. **غلوهم في استئصال المخالفين**، واعتقادهم رأيهم هو الصواب ورأي مخالفيهم خطأ لا يقبل التصويب.

٣. **الحملات القاسية والعنيفة على التصوف وإنكار أن له صلة بالإسلام .**

٤. أن الدعوة الوهابية **لم تقدم النموذج العملي للمجتمع المسلم** ولم تتصد لمشكلات المسلمين الاقتصادية والاجتماعية وأعطت ظهرها للمخترعات العلمية الأوروبية[(١)]. فعندما تكون السلطة المرجعية واقعة خارج الواقع وتقدم نفسها كأصل – نموذج السلف – فإن الفعالية الفكرية تكتسي شكلاً قياسياً فقهياً قياس الفرع على الأصل أو الغائب على الشاهد، والشاهد هنا هو ما يقدمه "النموذج السلف" أما الغائب فهو القضايا المستجدة ..قضايا الواقع الحي[(٢)].

٥. **الشعائرية والشكلية والمظهرية والفرعية**، والدخول في معارك تم كسبها من قبل والمسلمون فيها منتصرون وترك معارك ما زالت قائمة والمسلمون فيها

(١) محمد عبد العزيز داوود، الجمعيات الإسلامية في مصر ودورها في نشر الدعوة الإسلامية، الزهراء للإعلام العربي ١٩٩٢م، ص ٤٩.

(٢) محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١/ ١٩٨٢م، ص ٢٠٢:٢٠٣.

منكسرون مثل الاحتلال والتخلف والتجزئة والسلبية وعلى هذا الأساس يتم فهم الشريعة وتطبيق الحدود مع أن أحكام الشرع وضعية كما يقول الشاطبي تقوم على معرفة السبب والشرط والمنع فالحدود واجبة بعد الحقوق[1].

٦. **يشيع التقليد ويغلق باب الاجتهاد،** فلا يواكب الفكر الديني متغيرات العصر، ويظل علماؤه أسرى أفكار الأسلاف، لا يملكون سوى أن ينظروا إلى متغيرات عصرهم بعدسات عصور قديمة، والنتيجة هي الجمود الذي يرادف التعصب والتطرف والنظر إلى كل جديد بمنظور قديم إلا إذا أمكن قياسه على قديم سبق[2].

٧. أفضى التحالف الديني السياسي إلى قيام العرش السعودي، وكان لا بد للسياسي أن يرسم مسار الديني في حركة الدولة، **فقبول علماء الوهابية بالتحول إلى طبقة إكليروس داعمة للدولة السعودية قد خفضهم تبعاً لقوة الدولة في فرض سلطانها.** على أن الدولة حفظت لهذه الطبقة جزءاً من المكتسبات الدينية الضرورية، كمتطلب لاستقرار المملكة ومشروعيتها وهيمنتها[3].

(١) حسن حنفي، الإحياء الديني كيف يخدم التقدم؟ ورد في مصر في القرن ٢١ تحرير د.أسامة الباز، ص ١٦٨.

(٢) الفضل للمتقدم، جابر عصفور، جريدة الأهرام، الإثنين ٢١ سبتمبر ٢٠٠٩م، العدد ٤٤٨٤٩.

(٣) السلفية الجهادية في السعودية، م س ، ص٦٩ .

صورة من شكل الحياة المرجُوّة

من وحي فتاوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل باز

يرسمها لحياتنا المعاصرة وفقاً لضوابط الإسلام كما يراه (١)

لنر معاً كيف ستكون حياتنا موافقة للإسلام حسب آراء "الإمام الصالح الورع الزاهد أحد الثلة المتقدمين بالعلم الشرعي، ومرجع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، في الفتوى والعلم، وبقية السلف الصالح في لزوم الحق والهدي المستقيم، واتباع السنة الغراء الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آلِ باز" يرحمه الله" – كما كُتب في موقعِهِ(٢) تعريفاً به – كيف ستكون.

العلاقة بين المسلم وغير المسلم

* العلاقة لكي توجد في الأصل يجب أن تكون بغرض الدعوة إلى الإسلام فقط لا من أجل أي شيء آخر. وتجوز معاملتهم بالبيع والشراء فالرسول ﷺ "اشترى من الكفار عباد الأوثان واشترى من اليهود" ولا نبدؤهم بالسلام، ولا نشاركهم في احتفالاتهم أو نُهنيهم ويجوز لنا أن نعزيهم في ميتهم بضوابط حيث "لا ندعو للميت- الكافر - بل ندعو للحي بالهداية" بل يجب ترك ذلك؛ لأن من تشبه بقوم فهو منهم، ولا تجوز لهما المساعدة في ذلك بأي شيء، لأنها أعياد مخالفة للشرع. فلا يجوز الاشتراك فيها ولا التعاون مع أهلها ولا مساعدتهم بأي شيء لا بالشاي ولا بالقهوة ولا بغير ذلك كالأواني وغيرها فالمشاركة مع الكفرة في أعيادهم نوع من التعاون على الإثم والعدوان. ولا بأس أن يقول لك غيرك: أعظم الله أجرك فيه، وأحسن عزاءك فيه؛ لأنه قد يكون له مصلحة في حياته، وقد يكون في حياته يحسن إليك وينفعك، فلا بأس لكن لا يدعى له، ولا يستغفر له، ولا يتصدق عنه إذا مات كافراً.

(١) النصوص الكاملة للفتاوى في ملحق (٤).

(٢) http://ibnbaz.org/mat/21205

* تبادل الزيارات يكون لقصد الدعوة إلى الله وتعليم الخير والإرشاد إلى الخير أما الزيارة من أجل الدنيا أو اللعب أو الأحاديث الفارغة أو الأكل أو نحو ذلك - فهذه الزيارة لا تجوز للكافرات من النصارى أو غيرهن؛ لأن هذا قد يجر الزائرة إلى فساد دينها وأخلاقها؛ لأن الكفار أعداء لنا وبغضاء لنا، فلا ينبغي أن نتخذهم بطانة ولا أصحاباً فليس الكافر.. يهودياً أو نصرانياً أو وثنياً أو مجوسياً أو شيوعياً أو غيرهم.. أخاً للمسلم، ولا يجوز اتخاذه صاحباً وصديقاً، لكن إذا أكل معه بعض الأحيان من غير أن يتخذه صاحباً أو صديقاً إنما قد يقع ذلك في وليمة عامة أو وليمة عارضة فلا حرج في ذلك، أما اتخاذه صاحباً وجليساً وأكيلاً فلا يجوز، لأن الله قطع بين المسلمين والكفار الموالاة والمحبة وعليه فلا يجوز أن ندعوهم - نحن المسلمون - إلى الطعام من أجل الصداقة والمؤانسة لأن بيننا وبينهم عداوة وبغضاء.

* وإذا تواجد عاملان أحدهما مسلم والثاني كافر، وهما متكافئان في العمل فالواجب عليه العدل بينهما، **ولكن يجب إبعاد الكافر ولو كان أنشط** (*)؛ لأن المسلم **أبرك، ولو كان أقل كفاءة.**

* ولا يجوز أن يقال للكافر: يا سيد. مثل أن يكتب بالفاتورة أو غيرها: السيد فلان، وهو يعلم أنه كافر، أو في أثناء الحديث معه بالإنجليزية مثلاً مستر فلان؟ لأن هذا وصف عظيم لا يليق بالكافر والفاسق.

* وأما موضوع الشراكة التي قد تحدث بين مسلم وغير مسلم فلم تسقط من فكر الشيخ فقال إنه الأولى به السلامة من هذه الشركة وإلى ترك ما أوجب الله حرمت هذه الشركة لما تفضي إليه من الفساد والأولى بالمؤمن بكل حال أن يبتعد عن هذه الخلطة حفظاً لدينه وحفظاً لعرضه وحفظاً لماله، وحذراً من خيانة عدوه في

(*) هنا تناقض بين وجوبية العدل ووجوبية إبعاد الكافر ولو كان أنشط فكيف يكون العدل وكيف تكون المصلحة وكيف يكون هذا من أخلاقيات الإسلام السمح وتصرفه الرسول ﷺ باستعانته بأحد مشركي قريش دليلاً في هجرته.

الدين إلا عند الضرورة والحاجة التي قد تدعو إلى ذلك فإنه لا حرج عليه بشرط السلامة كما تقدم بشرط أن لا يكون في ذلك مضرة على دينه أو عرضه أو ماله، وبشرط أن يتولى ذلك فإنه أحوط له، لا يتولاها الكافر بل يتولى الشركة والعمل فيها المسلم، أو مسلم ينوب عنهما جميعاً.

* يجوز التبرع بنقل دم لمريض أوشك على الهلاك وهو على غير دين الإسلام **فإذا اضطررنا إلى ذلك فلا بأس بالصدقة عليه من الدم، كما لو اضطر إلى الميتة، لأنه** لا حرج عليك أن تسعف من اضطر إلى الصدقة.

* الواجب على المسلمين الحذر من السفر إلى بلاد أهل الشرك إلا عند الضرورة القصوى، إلا إذا كان المسافر ذا علم وبصيرة ويريد الدعوة إلى الله والتوجيه إليه فهذا أمر مستثنى، وهذا فيه خير عظيم؛ لأنه يدعو المشركين إلى توحيد الله ويعلمهم شريعة الله.

* **ورغم ذلك فيجوز لنا أن نأخذ من أموال النصارى إذا أرادوا التبرع في بناء المسجد** إذا كان لا يوجد شرط يخالف الشرع فالنبي ﷺ قبل كثيراً من هدايا المشركين.

الولاء للوطن

ولم ينس فضيلته الحديث في الولاء للأوطان فهو يرى أن كلمة الولاء للوطن من الوثنيين في بلد إسلامي فالولاء لله ولرسوله بمعنى أن يوالي العبد في الله ويعادي في الله وقد يكون وطنه ليس بإسلامي فكيف يوالي وطنه، أما إن كان وطنه إسلامياً فعليه أن يحب له الخير ويسعى إليه، لكن الولاء لله؛ لأن من كان من المسلمين مطيعاً لله فهو وليه، ومن كان مخالفاً لدين الله فهو عدوه وإن كان من أهل وطنه وإن كان أخاه أو عمه أو أباه أو نحو ذلك، فالموالاة في الله والمعاداة في الله، أما الوطن فيجب إن يكون إسلامياً.

* وعن العيش في بلاد لا تطبق الشريعة يرى أنه إذا أمكن من يعيش في تلك البلاد أن يهاجر إلى بلاد تطبق الشريعة وجب عليه الهجرة إذا استطاع ذلك، فإن لم يستطع فلا حرج عليه في الإقامة، ويتقي الله ما استطاع وينصح العباد، ويدعو إلى تحكيم الشريعة حسب طاقته.

* وإذا كان هناك قدرة على الإلزام بالحق ومنع باطل لكونه رئيساً أو شيخ قبيلة أو أمير قرية فمثل هذا يستطيع فعل هذه الأشياء إذا علم الله منه الصدق أعانه فهو يفعل ما يستطيع من تحكيم الشريعة حسب طاقته، كأن يكون شيخ قبيلة فيحكم الشريعة فيهم إذا كان يعلم وعنده معلومات في دينه.

* أما إن قدر أنه يهاجر وينتقل إلى بلاد تحكم الشريعة فهذا واجب عليه، إلا إذا كان عالماً ذا علم وبصيرة وهدى، ويرى أن إقامته في هذه البلد فيها دعوة إلى الله وفيها توجيه الناس إلى الخير وفيها إرشادهم إلى توحيد الله وإخراجهم من الظلمات إلى النور هذا له أجر في ذلك من أجل الدعوة، من أجل التوجيه إلى الخير، ومن أجل إنقاذ الناس مما هم فيه من الباطل، فهو على خير عظيم ولا تلزمه الهجرة في هذه الحال؛ لأنه ينشر دينه، ولأن عنده علماً في دينه لا يخشى على نفسه من شبهاتهم فلا بأس.

أما علاقة المرأة للرجل ومشاركتها إياه في العمل فهو يرى أنها أشد الشرور.

* * *

الباب الثاني
ملامح الوضع الديني

الفصل الأول

المبحث الأول : الدين

- التعريف والوظيفة والأنماط
- أنماط التدين
- وظائف الدين

المبحث الثاني : حالة المعرفة الدينية

- مصادر الخطاب الديني
- أنواع الخطاب الديني
- توأم التفكير والتكفير

الفصل الثاني

- الدين الحالي في مصر ..
- ملامح المتدينين الجدد
- من مظاهر التدين المعاصر
  - هوس الأسلمة
  - أسلمة الاقتصاد والمال
  - أسلمة العلوم والمعرفة
- السنة النبوية

الفصل الأول

المبحث الأول

الديـن

التعريف والوظيفة والأنماط

يُعد وضع تعريف مُحدد للدين أمراً شاقاً نظراً إلى اختلافه لدى كل من المجتمعات البدائية والمجتمعات التى تعتنق الديانات السماوية ولاختلاف طبيعته من شخص إلى آخر ولارتباطه بأعمق العواطف والمعتقدات التي تدفع الإنسان نحو الكمال[1].

فما بين تعريف الدين بأنه "الاعتقاد في كائنات روحية" أو "نسق من المعتقدات والممارسات التى بواسطتها يُكافح جماعة من الأفراد المشكلات المطلقة للحياة الإنسانية"، أو أن الدين "نسق من الرموز تتفاعل لتقدم فهمًا عن العالم هذه الرموز تمدناً بنموذج عن العالم يساعد الأفراد على فهم هذا العالم"[2].

فكذلك يعرف أيضاً بأنه "هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية سامية" وأيضاً "مجموعة متماسكة من العقائد والعبادات المتصلة بالعالم المقدس

---

(١) عبد الله الخريجي، علم الاجتماع الديني، (سلسلة دراسات في المجتمع العربي السعودي، الكتاب التاسع، ط٢/ ١٩٩٠م)، ص ٢٧.

(٢) التعريفات وردت في: د. سامية مصطفى الخشاب ، دراسات في الاجتماع الديني ، (دار المعارف) ، ط ٢، ص ٢٣ : ٢٨.

والتي تنظم سلوك الإنسان حيال هذا العالم بحيث تُؤلف هذه المجموعة وحدة دينية تنظم كل من يُؤمنون بها""(١).

وكذلك "هو وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إيّاه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل، وهذا يشتمل العقائد والأعمال، **ويُطلق على ملة كل نبي. وقد يخص بالإسلام** كما قال الله تعالى **"إن الدين عند الله الإسلام"**"(٢).

وهذا التنوع في التعريفات ناتج عن تنوع الخلفيات الثقافية والفكرية والمجتمعية للأفراد والقدرات الفردية ويُلازمه أيضاً تنوع في حالة التدين، فالتدين ليس نمطاً واحداً يكون أصحابه على نفس المنهج والطريقة، ولكنه عدة أنماط يختلف فيها الأفراد من حيث طبيعة رُؤيتهم للدين وإحساسهم بمدى دوره في حياتهم، وتتباين تلك الرؤى تبعاً لعدة أسباب منها، على سبيل المثال المستوى الاجتماعي والثقافي والمادي والحالة النفسية، كما قد تزيد حالة التدين وتنقص من وقت إلى آخر ومن مرحلة عمرية إلى أخرى، فليس هناك مستوى ثابت من التدين يكون عليه الفرد طوال حياته، بل الأمر يرجع إلى ظروفه المعيشية وحالاته النفسية المتقلبة من وقت لآخر، ففي أوقات الشدة والكرب مثلاً وعندما يَدُب اليأس وينعدم وجود أي أمل، يلجأ الفرد تلقائياً إلى الدين فيكون هو ملاذه، حيث يبقى دائماً أمله في انتظار مساعدة من الله عز وجل والذي لا يعجزه شيء، وقد يبتعد المرء قليلاً أو كثيرًا عند انفراج همومه وذلك تبعًا لمستوى تدينه وهل الحالة الدينية لديه أمر طبيعي مستمر أم أمر طارئ لظرف طارئ؟

وهنا توجد ملاحظة هامة ألا وهي أن إطلاق كلمة "الدين" لا تعني "الدين الحق" وحده بل تعني ما يدين به الناس ويعتقدونه، حقاً كان أم باطلاً.. والكلام بغير هذا الفهم يخالف صراحة ما جاء في القرآن فالقرآن يعتبر أن هناك أديانًا أخرى غير الإسلام، وإن كنا نعتبرها أدياناً باطلة ولكنها أديان يدين بها أصحابها فالله تعالى

(١) علم الاجتماع الديني، م س، ص ٢٨، ٣٣.

(٢) التهانوي، كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، ج١، (ط لبنان، ط ١، ١٩٩٦م)، ص ٨١٤.

قال ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ [النساء : ١٧١]، ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون : ٦] [(١)].

وفي هذا السياق نقول: هناك أمر قرآني جليل لنا بألا نَسُبَّ المُخالف لديننا فيسب الله جاهلاً، في قاعدة تغيب عن بال الكثيرين ممن يَعمدون إلى السخرية والاستهزاء والتقريظ للمخالفين لهم في الدين، يقول الله تعالى ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام١٠٨] [(•)] .

كما يجب أن نعلم أن مفهوم كلمة الدين ليس هو الإسلام، ويمكن أن يكونا شيئاً واحدًا إذا أضفنا الدين إلى الإسلام أو إلى الله فنقول "دين الله" أو "دين الإسلام".. ولكن إذا ذكرت كلمة دين مجردة من الإضافة أو الوصف، فهي أضيق مفهوماً من كلمة الإسلام لأن الدين في الحقيقة إنما هو جزء من الإسلام[(٢)].

وهُنا ملاحظة في غاية الأهمية حيث أن الحقيقة التي أجمع عليها مُؤرخو الأديان هي أنه ليست هناك جماعة إنسانية ظهرت وعاشت ثم مضت دون أن تُفكر في مبدأ الإنسان ومصيره، وفي تعليل ظواهر الكون وأحداثه ودون أن تتخذ لها في هذه المسائل رأياً معيناً حقاً أو باطلاً، يقيناً أو ظناً، تصور به القوة التي تخضع لها هذه الظواهر في نشأتها، والمآل الذي تصير إليه الكائنات بعد تحولها[(٣)] وهذا يؤكد أهمية الدين في النفس الإنسانية.

---

(١) د. يوسف القرضاوي، الدين والسياسة، (ط المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، ٢٠٠٦م)، ص ١٥ بتصرف بسيط.

(•) قال ابن عباس: قالت كفار قريش لأبي طالب إما أن تنهى محمداً وأصحابه عن سب آلهتنا والغض منها وإما أن نسب إلهه ونهجوه؛ فنزلت الآية. كما ذكر القرطبي في تفسيره الآية.

(٢) الدين والسياسة، م س، ص ١٦ بتصرف.

(٣) د. محمد عبد الله دراز، الدين، (ط دار القلم)، ص ٣٨، ٣٩.

أنماط التدين

وبتنوع تعريفات الدين ويتبعها كذلك في التنوع تعريف التدين يمكننا تعريف "التدين" بأنه تطبيق الفرد للفهم البشري للفقهاء في أمور الدين وكذلك السلوك الديني لدى معتنق أي دين وطريقة تعامُلِهِ في حَياته اليومية كل في إطار مرجعيته الفقهية واختياراته الدينية والدنيوية.

وتؤثر عدة عوامل على الفرد عندما يختار اتجاه فكري أو رأي فقهي في تشكيل وعيه الديني ومن ثم سلوكه التديني **ومن هذه العوامل وأهمها:**

١ . **طبيعته الشخصية** من ميل إلى التشديد في كل أموره كي يتجنب أي طريق أو سلوك يؤدي به إلى الخطأ.

٢. **مستواه الاجتماعي والثقافي حيث تتأثر اختياراته طبقاً لمدى وعيه وفهمه** وخبراته المعرفية، فتدين الفقير غالباً يختلف عن تدين الغني حيث أنه تحت وطأه الفقر يعتبر الفقير أن ذلك ابتلاء من الله وعليه أن يصبر ويستغنى قدر الإمكان عن أبسط حاجاته الأساسية تحت اسم الزهد، ويُغذي هذه الحالة خطاب الزهد والتقشف الذي يتبناه بعضٌ الوعّاظ الذين يبشرون الفقير بالجزاء في الآخرة، وبأن المال قد يورد للنار فالفقراء أحباب الله. أما الغني فهو يد الله التي تساعد الفقراء، وقد ابتلاه الله بالمال ليرى كيف يكون تصرفه، ويؤكد بعض الوعاظ في خطبهم أن الإسلام والتدين الصحيح لا يختلف مع المال ولا يحرمه ما دام يؤدي صاحب المال حق الله فيه لعباده ويسرد خطابهم قصص كبار الصحابة الأغنياء كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهما وغيرهما – مبينين فضلهم عن غيرهم من الناس وأسبقيتهم. **وبذلك يكون للفقراء خطابهم الوعظي وكذلك يكون للأغنياء خطابهم أيضاً.**

أمّا تدين المتعلم فيختلف عن تدين غير المتعلم حيث تقل – عند أغلبه – الأفكار الخرافية الممزوجة بالدين والتي يعتبرها الكثير من غير المتعلمين جزءاً من الدين ولا

تتعارض معه كالكثير من البدع والانحرافات والإيمان بالولي وكراماته وقد يطلق على هذه الحالة الدين الشعبي[(١)].

٣. **طبيعة العصر والسلوكيات المنتشرة والمناخ السياسي** حيث أنه في عصور الشدة والقهر السياسي قد يؤدي إلى انتشار تيارات عنف سواء أكانت هذه التيارات حركية أي تعتمد على استخدام العنف كسبيل وحيد للتغيير حيث أنه من وجهة نظر هذا الاتجاه أن العنف لا يقابله إلا العنف وقد تتجه بعض التيارات إلى العنف والإرهاب الفكري ضد المخالف - من وجهة نظرهم - لهم سواء أكان على نفس الدين أو المذهب والرأي أم مخالفاً. وفي كلتا الحالتين فإن العنف هو الخيار الحتمي والنهائي لهذه الآراء المتشددة.

وهنا لا يُمكننا إلاّ أن نُوضح **بعض أنماط التدين** الموجودة بيننا ويستطيع الفرد منا أن يلاحظها بدقة من خلال معاملاته في المجتمع، وهذه الأنماط نجملها فيما يلي[(٢)]:

١. **التدين المعرفي (الفكري)**: وهنا ينحصر التدين في دائرة المعرفة حيث نجد الشخص يعرف الكثير من أحكام الدين ومفاهيمه ولكن هذه المعرفة تتوقف عند الجانب العقلاني الفكري ولا تتعداه إلى دائرة العاطفة أو السلوك.

٢. **التدين العاطفي (الحماسي)**: وفي هذه الحالة نجد أن الشخص يبدي عاطفة جارفة وحماساً كبيراً نحو الدين، ولكن هذا لا يواكبه معرفة جيدة بأحكام الدين ولا سلوكاً ملتزماً بقواعده، وهذا النوع ينتشر في الشباب خصوصاً حديثي التدين. وهي مرحلة يجب إكمالها بالجانب المعرفي والجانب السلوكي حتى لا تطيش أو تتطرف أو تنمحي.

---

(١) للتوسع في هذا المفهوم انظر: زهية جويرو، الإسلام الشعبي، دار الطليعة، ط ١ – ٢٠٠٧م.

(٢) د. محمد المهدي، أنماط التدين من منظور نفسي إسلامي.
http://www.maganin.com/Articles/articlesview.asp?key=48،
بتاريخ: ٩/ ٢/ ٢٠٠٤ م بتصرف بسيط.

٣. **التدين السلوكي (تدين العبادة)**: حيث نجد أن الشخص يقوم بأداء العبادات والطقوس الدينية ولكن بدون معرفة كافية بحكمتها وأحكامها وبدون عاطفة دينية تعطي لهذه العبادات معناها الروحي، ولكن فقط يؤدي هذه العبادات كعادة اجتماعية تعودها وهذا النوع يمكن أن يكتمل ويرشد بإضافة الجانب المعرفي وإيقاظ الجانب الروحي.

٤. **التدين النفعي (المصلحي)**: في هذه الحالة نجد أن الشخص يلتزم بالكثير من مظاهر الدين الخارجية للوصول إلى مكانة اجتماعية خاصة أو تحقيق أهداف دنيوية شخصية.. والشخص في هذه الحالة يسخر الدين لخدمته وليس العكس، وتجده دائماً حيث توجد المكاسب والمصالح الدنيوية الشخصية وتفتقده في المحن والشدائد.

٥. **التدين التفاعلي (تدين رد الفعل)**: نجد هذا النوع من التدين في الأشخاص الذين قضوا حياتهم بعيداً عن الدين يلهون ويمرحون ويأخذون من متع الدنيا وملذاتها بصرف النظر عن الحلال والحرام، وفجأة نتيجة تعرض شخص من هؤلاء لموقف معين أو حادث معين، نجده قد تغير من النقيض إلى النقيض، فيبدأ في الالتزام بالكثير من مظاهر الدين، ويتسم تدينه بالعاطفة القوية والحماس الزائد، ولكن مع هذا يبقى تدينه سطحياً تنقصه الجوانب المعرفية والروحية العميقة، وفي بعض الأحيان يتطرف هذا الشخص في التمسك بمظاهر الدين حفاظاً على توازنه النفسي والاجتماعي وتخفيفاً للشعور بالذنب الذي يلهب ظهره وهذا النوع لا بأس به إذا وجد المجتمع المتقبل والمرشد لهذا الشخص التائب المتحمس ليكمل طريقه ويصعد مدارج السالكين برفق وروية.

٦. **التدين الدفاعي (العصابي)**: قد يكون الدين دفاعاً ضد الخوف أو القلق أو الشعور بالذنب أو تأنيب الضمير أو دفاعاً ضد القهر والإحباط، وفي هذه الحالة يلجأ الفرد إلى التدين ليخفف من هذه المشاعر ويتخلص منها، فنجد الشخص من هؤلاء قد أهمل دراسته أو عمله أو مسؤولياته وتفرغ لممارسة بعض الشعائر الدينية

التي لا تتطلب جهداً أو مشقة وهدفه (غير المعلن) من ذلك هو تغطية قصوره وعجزه والهرب من المواجهة الحقيقية مع الواقع.

٧. **التدين المرضي (الذهاني)**: ويظهر مع بعض المرضى مع بدايات الذهان (المرض العقلي) حيث يلجأ المريض إلى التدين في محاولة منه لتخفيف حدة التدهور والتناثر المرضي ولكن الوقت يكون قد فات فتظهر أعراض المرض العقلي مصطبغة ببعض المفاهيم شبه الدينية الخاطئة، فيعتقد المريض ويعلن أنه ولي من أولياء الله أو أنه نبي بعث لهداية الناس، أو أنه المهدي المنتظر ويتصرف على هذا الأساس وعلى الرغم من فشل هذه المحاولة المرضية إلا أنها دليل على دور الدين في المحافظة على الشخصية في مواجهة التدهور والتناثر وبمعنى آخر نقول: إن التدين دفاع نفسي صحي ولكن بشرط أن يكون في الوقت المناسب وبطريقة منهجية مناسبة.

٨. **التطرف**: وهو يعني الغلو في جانب من جوانب الدين بما يخرج الشخص عن الحدود المقبولة التي يقرها الشرع ويجمع عليها علماء الدين ويمكن تقسيم التطرف إلى أنواع:

(١) **التطرف الفكري**: حيث يصعب النقاش مع هذا الشخص حول ما توصل إليه من أفكار وينغلق على فكره.

(٢) **التطرف العاطفي**: حيث تصبح عواطف الشخص كلها متركزة على الجوانب الدينية ويصبح شديد الحساسية من هذه الناحية شديد المبالغة في الانفعال بها.

(٣) **التطرف السلوكي**: وهنا نجد الشخص يبالغ مبالغة شديدة في أداء الشعائر الدينية الظاهرية بما يُخرجه عن الحدود المقبولة شرعاً، وكأن هذه الشعائر هدف في حد ذاتها لذلك نجد أن هذه الشعائر تخلو من معناها الروحي بل إن التطرف في مجال الفعل قد لا ينتهي عند حدود تصرفاته الشخصية، بل يتجاوز ذلك إلى مجتمعه، فيقوم بإلزام الآخرين لكي يسلكوا مثله وإذا أبا ذلك ربما يقوم بالاعتداء عليهم .

٩- **التصوف** : وهو تجربة ذاتية شديدة الخصوصية يمر بها قليل من الناس لهم تركيب اجتماعي وروحي خاص ولذلك فليس من السهل التعبير عنها بالألفاظ المعتادة لأنها تحدث خارج حدود الألفاظ .. حيث يمر الشخص بفترة معاناة شديدة بين كثير من المتناقضات ثم فجأة يحس أن هناك شيئاً هائلاً قد حدث وكأنه ولد من جديد فأصبح يرى نفسه ويرى الكون بشكل مختلف تماماً ويحس أن كثيراً من صراعاته قد هدأ وقد توحد مع الكون ورغم عمق التجربة إلا أنها تبقى خبرة شخصية غير صالحة للتعميم وهي فوق ذلك خبرة خطرة غير مأمونة حيث تختلط فيها الإلهامات بالوساوس.

١٠- **التدين الأصيل**: وهذا هو النوع الأمثل من الخبرة الدينية حيث يتغلغل الدين الصحيح في دائرة المعرفة ودائرة العاطفة ودائرة السلوك فنجد الشخص يملك معرفة دينية كافية وعميقة وعاطفة دينية تجعله يحب دينه ويخلص له مع سلوك يوافق كل هذا وهنا يكون الدين هو الفكرة المركزية المُحركة والمُوجهة لكل نشاطات هذا الشخص (الخارجية والداخلية) ونجد قوله متفقاً مع عمله وظاهره متفقاً مع باطنه في انسجام تام وهذا الشخص المتدين تديناً أصيلاً نجده يسخر نفسه لخدمة دينه وليس العكس وإذا شعر بالأمن والطمأنينة والسكينة وصل إلى درجة من التوازن النفسي تجعله يقابل المحن والشدائد بصبر ورضى وإذا قابلت هذا الشخص وجدته هادئاً سمحاً راضياً متزناً في أقواله وأفعاله ووجدت نفسك تتواصل معه في سهولة ويسر وأمان.

ويُقسم **الدكتور أحمد زايد** "التدين" إلى عدة أنماط كالتالي[1]:

١ .**النمط الأصلي (المنشئ) للتدين archetype**: وهو النمط الذي عرفه المجتمع المصري لفترات طويلة، ويوجد لدى قطاعات من السكان الأقل اتصالاً بالثقافة

(١) د. أحمد زايد ، تناقضات الحداثة في مصر ، (ط ٢ مكتبة الأسرة ٢٠٠٦) ، ص ٨٨: ٨٥ بتصرف.

الحديثة، حيث يقوم السلوك الديني على أداء الواجبات الأساسية وينخرط الفرد في مشكلات الحياة ومن ثم فإن أداء فريضة الصلاة يخضع لظروف العمل، والتدين هنا مسألة فردية لا يفرض فيه الأب سلوكاً دينياً معيناً، وتختلط المعتقدات الدينية بالمعتقدات الشعبية ولا تظهر أية مُبالغات في الممارسات الدينية أو الرموز الدينية، وليس هناك أدنى اهتمام بإظهار التدين للآخرين .

٢.النمط الطقوسي**ritualist** : حيث يتحول الدين إلى مصدر أساسي للأخلاق ولا ينعكس التدين في الحرص الشديد على أداء الفرائض الدينية بل في السعي الدائم نحو التعليم الديني الذاتي، ويكون رب الأسرة هو مصدر هذه الرؤية ويتحول سلوك باقي الأسرة – غالباً – إلى نسخة كربونية منه، ويتحول أسلوب الحياة إلى أسلوب طقوسي ويكون هؤلاء الأفراد حريصين على ترك الانطباع بأنهم متدينون وأخلاقيون.

٣. النمط الشكلاني **formalistic** : حيث تكون المشاعر الدينية غير حقيقية، ويهتم فيه الفرد بطريقة أدائه للفروض الدينية أمام الناس أكثر من علاقته بذاته، ويكون التدين ليس له علاقة بالنظام الأخلاقي للفرد رغم تأكيد هذا الفرد للأهمية الأخلاقية والدينية في خطابه اليومي.

٤ . النمط النشط سياسيًا **activist**: وهنا يكتسب التدين طابعًا سياسيًا، في محاولة لتجاوز العالم المُعاش من أجل تغييره، ويصطبغ بالصبغة السياسية التي تتمرد على الواقع، فهناك من يرفض عالم الحداثة تماماً ويسترجع أنماطاً سلوكية سابقة على الحداثة، مثل ارتداء الثوب القصير، وهجر المنازل إلى المساجد، في محاولة لاسترجاع النمط الأصلي المثالي الذي تحقق في صدر الإسلام ولا يكتفي فيه الفرد بتحقيق هذا النمط على نفسه بل يحاول فرضه بالقوة على المجتمع، وهناك من هو أكثر اعتدالاً ويكتفي بفرض هذه السلوكيات على نفسه، ونشرها في المجتمع بأسلوب أقل عنفاً.

٥. النمط الأبوي patrimonial : ويحتفظ هذا النمط بكل رموز التدين الشكلاني ولكنه يبالغ في الإحسان والزكاة وبناء المساجد وغالباً ما يصاحب هذه الممارسات قدر من الإعلان الشخصي من خلال الأحاديث وثرثرة الحياة اليومية، أو من خلال وسائل الاتصال الجماهيرية، وتزداد هذه الممارسات بشكل ملحوظ في مناسبات بعينها كأيام الانتخابات.

وظائف الدين

يلعب الدين عدة وظائف حيوية في حياة الفرد حيث يملأ الفراغ الروحي له ويعطيه الكثير من التفسيرات لأمور عجز عقله عن استيعابها، ويجعله قادراً على مقاومة الضغوط التي يواجهها، ويُساعده على تجاوزها. وبسبب أن وظائف الدين تختلف تبعًا للبناء الاجتماعي وثقافة المجتمع وخصائص الدين نفسه ويمكن أن نحدد هذه الوظائف فيما يلي:

أ. الوظائف الفردية: وظائف المعنى: حيث يَمد الدين الأفراد بنظرة معينة إلى العالم والكون والتي بواسطتها يَنظر إلى عدم العدالة ، والمعاناة والموت على أنها مَعانٍ مطلقة، كذلك فالشعور بالانتماء الديني دائماً يؤثر على فهم الفرد "من هو وماذا يكون" فإحساس الفرد بأنه ينتمي إلى دين ما يجعله يمتنع عن القيام ببعض السلوكيات مثل امتناع المسلم عن شرب الخمر في بعض المجالس التى تقدم فيها وذلك نظرًا إلى إحساسه بذاتيته كمسلم وانتمائه إلى الدين الإسلامي.

ب. الوظائف المجتمعية: فالدين يقوي ذاتية الجماعة، حيث يقدم تفسيرًا لمعنى الجماعة وسط العالم المحيط به.

ج. وظيفة الدين في الأخلاق الاجتماعية : حيث أن درجة اهتمام الدين بقيم وأخلاقيات الحياة اليومية يختلف من دين لآخر، حيث يرى البعض أن العلاقة التأثيرية

للدين في الأخلاق الاجتماعية غير محددة وغير محسومة، ويرى آخرون أن الدين وأخلاق الحياة اليومية ترتبط بشدة في معظم الديانات في كثير من المجتمعات(١).

ولما كان الدين فطرة متأصلة في النفوس فإن الناس قديماً وحديثاً يتقبلون ما يأتيهم من جهة الدين ولذا يزداد التمسح بالدين والقيم الدينية من قبل النظم السياسية كلما اشتد التأزم الذي تواجهه ومن ثم يكون التركيز على وتر الدين بغية التأثير على السواد الأعظم من الجماهير ومحدودي الثقافة الدينية(٢).

والتاريخ السياسي يشير إلى الكثير من الوقائع المماثلة والتي لعب الدين فيها دورًا حيويًا وفاصلاً وحاسمًا في استقطاب الجماهير والسيطرة عليها وتسييرها أنّى شاء الحاكم. ففي واقعنا المعاصر سواء نظرنا إلى العالم العربي أو الإسلامي سوف نكتشف أن الدين استُخدم مراراً كعامل استقطاب واجتذاب للجماهير أو لمقاومة السلطات أو للتصدي لعمليات الغزو والاحتلال، لا سيما في العصور الحديثة(٣).

فجميع الحركات والنظم السياسية تلجأ إلى الدين لترويج أهدافها، وتثبيت أركانها، وحماية سلطانها. فعلها معاوية أيام الصراع مع الإمام علي، والعز ابن عبد السلام زمن التتار حشد الناس بخطبه التي تحث على الجهاد تحت راية قطز، ولجأ إلى الدين جمال عبد الناصر عقب هزيمة يونيه ١٩٦٧م، وصدام حسين أوقات الأزمات التي واجهت حكمه سواء في أثناء الحرب الإيرانية أو ما قبل وفي أثناء وبعد الغزو الأمريكي وإضافة لفظة "الله أكبر" على العلم العراقي في يناير ١٩٩١م لاستكمال الصورة الدينية المرجوة له ودغدغة المشاعر الإسلامية للمسلمين(•).

---

(١) د. سامية مصطفى الخشاب، دراسات في الاجتماع الديني، م س، ص ص ٩٤ : ٨٤ بتصرف.

(٢) د. محمود يوسف، محاضرات في الدعاية الدولية، (دار الإيمان، ٢٠٠٥م)، ص ٣٧.

(٣) خليل علي حيدر، التصور السياسي لدولة الحركات الإسلامية، (سلسلة محاضرات الإمارات ط ١/ ١٩٩٧م)، ص ٢.

(•) للتوسع في هذه النقطة انظر: د. محمود يوسف، محاضرات في الدعاية الدولية، (دار الإيمان، ٢٠٠٥م)، ص ٣٧ : ٤٤.

المبحث الثاني
حالة المعرفة الدينية

المعرفة تعني وجود معلومات ونعني بحالة المعرفة الدينية الثقافة الدينية لدى الأفراد وبالطبع تختلف الثقافة من فرد لآخر تبعاً لُمتغيرات عديدة منها السن والحالة الاجتماعية والمستوى التعليمي. وتتكون تلك المعرفة غالبًا من المسجد والمدرسة والبرامج التليفزيونية التى تبثها الفضائيات الدينية على مدار اليوم، والمعرفة الدينية تصل إلينا في شكل خطاب من مجموعة من الكلمات الدالة مترابطة المعنى كما أن الخطاب الديني يمكن تعريفه بأنه الأقوال والنصوص المكتوبة التي تصدر عن المؤسسات الدينية أو عن رجال الدين أو التي تصدر عن موقف أيدلوجي ذي صبغة دينية أو عقائدية.. وتظهر في شكل كتب أو خطب أو مقالات صحافية أو نشرات[(١)].

وهو البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين وغير مسلمين لدعوتهم إلى الإسلام أو تعليمه لهم.. أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم[(٢)].

مصادر المعرفة الدينية

تتشكل مصادر المعرفة والوعي الديني للفرد بمختلف مراحله عن طريق:

١. الأسرة وأساليب التنشئة الاجتماعية.
٢. التعليم مناهجه وطرائقه.
٣. وسائل الإعلام.
٤. المسجد.
٥. جماعة الرفاق.

---

(١) د. أحمد زايد، صور من الخطاب الديني المعاصر، (الهيئة العامة للكتاب)، ص ١٧.
(٢) د. يوسف القرضاوي، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، (دار الشروق، ط ١ / ٢٠٠٤)، ص ١٥.

٦. الأحزاب السياسية[١].

٧. الشارع.

٨. الجمعيات الدينية.

أولاً: الأسرة وأساليب التنشئة الاجتماعية

فالأسرة هي المَهد الأول للمعرفة عمومًا، والبذرة الأولى لتدين الطفل، وهي الأساس في غرس مبادئ الدين – أي دين – والأخلاق العامة في نفس الطفل من أمانة وحسن تعامل وصدق ويحاكي الطفل - في صغره - في سلوكياته الأب والأم ويُقارِن بين ما يُقال له / يُؤمر به وتصرفات الوالدين الفعلية ويتشكل وعيه من سلوكياتهم المَلموسة وغير الملموسة - هذا في نطاق الأسرة الضيق - وتتفاعل سلوكياته بعد مرحلة أخرى من النمو مع أقرانه سواء في محيط العائلة أو الأصدقاء أو المدرسة ويتأثر دائما بالمُحاكاة معهم وقد يحدث التصادم في وقت ما بين ما نشأ عليه نظرياً في البيت والواقع الفعلى العملي خارج البيت ويتوقف الصراع داخله حسب مرونة الأسرة في استيعابه وهذا بدوره يتوقف على مدى تفهم الأسرة ومرونتها في التعامل مع الطفل / الشاب بعد ذلك.

وبحسب الحالة الاقتصادية للأسرة يتوقف المحتوى الديني الذي تلقنه لطفلها. فمع الضغوط الحياتية / المادية وسعى الأب والأم إلى سد احتياجاتها الأساسية واستنزاف ذلك للوقت والجهد، يقل الوقت المتاح لتعليم الطفل وتقتصر الجرعة الدينية على العموميات والعادات الدينية المتوارثة جيلاً بعد جيل ولا يهم هنا مدى صحتها من عدمه وغالبًا يتأثر الأب والأم بالحالة السوداوية من المجتمع وإحباطاتهم ويأسهم وإيمانهم بعدم وجود جدوى من أي شيء يحدث إسقاط في أقوالهم وأفعالهم إرادياً أو لا إرادياً على الابن.

(١) عبير أمين، تزييف وعي الشباب، (الهيئة العامة للكتاب)، ص ٤١ : ٥١.

وكلما تحسن الوضع الاقتصادي تحسنت الرؤية والأسلوب في التعليم، ووُجدت مساحة للحوار بين أفراد الأسرة مما يساعد على تنمية العقل على الحوار ووجود وتقبل رأي آخر مخالف لرأيه وإمكانية التعايش معه.

ومن ثمّ فلا يُمكن النظر إلى الأسرة باعتبارها أحد مصادر تشكيل الوعي الديني بمعزل عن موقعها الطبقى، أو مستواها الاقتصادي والاجتماعي أو أصولها الريفية أو الحضرية وغير ذلك من متغيرات تشكل فروقاً في وعيها الديني ومن ثم وعي أبنائها[1].

ثانيًا : التعليم : مناهجه وطرائقه

ويتشارك مع الأسرة في تشكيل الوعي المدرسة والنظام التعليمي بأكمله سواء الحكومي أو الخاص وبعد ذلك نوع التعليم الجامعي. **ويختلف أسلوب التفكير في حالة الكليات العلمية عنه في النظرية حيث يميل دارسي الكليات العلمية إلى الحسم واليقين عكس الكليات النظرية - حيث يحتمل أصحابها عدم اليقين - والتمسك بالرأي الواحد في المسألة الواحدة، وعدم الاعتراف بوجود عدة بدائل للمسألة الواحدة.**

ويشرح د. قدري حفني (أستاذ علم النفس السياسي) أسباب ذلك قائلاً: "..لأن من يدخل كلية علمية طوال عمره لم يدرس مقرراً فلسفياً ولكنه تأسس على اليقينية، وأن العلم حقائق مطلقة ثم إذا انتقل إلى الدين ينتقل إلى اليقين المطلق، عكس الدارس بالأزهر الذي يدرس كل التفسيرات والمذاهب الدينية.. وفي النهاية يتربى على الله أعلم. أي أنه لا توجد حقيقة مطلقة لأن هناك تفسيرات متعددة وليس تفسيراً واحدًا فيتربى على وجود رؤى مختلفة[2].

(١) تزييف وعي الشباب، م س، ص ٤٤.

(٢) قدري حنفي، جريدة الدستور المصرية، عدد ٢٥٤ بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ٢٠١٠م.

وهُنا يجب الإشارة إلى أنه في حالة تنظيم الجهاد المصري - وهو أشرس التنظيمات المسلحة التي قامت في مصر – وُجد أن أقل بقليل من ثلث المتهمين في قضية الجهاد كانوا من طلاب الكليات النخبوية أي الطب والهندسة[(١)(•)].

وقد كان من أبرز طلاب الجماعة الإسلامية في الجنوب: ناجح إبراهيم، وكرم زهدي، وعصام دربالة، وعاصم عبد الماجد، وأسامة حافظ، وقد كان أغلبهم من طلاب الكليات العلمية[(٢)(••)] كذلك.

وفي هذا إشارة إلى الدور الذي قد يلعبه نوع التعليم في الدفع بصاحبه إلى دائرة التطرف أو على أقل تقدير قد يكون مادة خام لأصحاب الاتجاهات المتطرفة.

وأمام محتويات الدراسة التى تعتمد على الحفظ والتلقين وامتلاء المقررات بالحشـــو والمط والتطويل وميل المدرس إلى حسم المعلومة وضيقه غالباً من المناقشة حتى لا يستنفد طاقته ووقته ومجهوده[(•••)]. وينطبق الأمر على جميع المواد ومنها المواد الدينية حيث يصبح الطالب متلقياً سلبياً لكل ما يقدم له من معارف دينية ويمتثل وعيه للسلطة الأبوية المتمثلة في مدرس الدين ، فيقبل ما يُقدمه له مدرسوه من معارف

(١) جيلز كيبل، النبي والفرعون، (مكتبة مدبولي، ط ١٩٨٨م)، ص ٢٢٥.

(•) ومن أبرز الأسماء في تنظيم القاعدة: سيد إمام وأيمن الظواهري ومصطفى يسري (بكالريوس طب وجراحة)، أبو حفص المصري (صبحي أبو ستيتة) مهندس زراعي، أبو خباب المصري (مدحت مرسي السيد عمر) مهندس كيميائي علوم الإسكندرية، عبد المنعم منيب، التنظيم والتنظير، مدبولي، ط ١ / ٢٠١٠م ص: ٥١، ٥٦، ٥٩.

(٢) د. بشير موسى نافع، الإسلاميون، (مركز الجزيرة للدراسات، ط ١ ٢٠١٠–)، ص ١٥٦.

(••) يلاحظ أن من أبرز المؤسسين للجماعة الإسلامية كانت مؤهلاتهم العملية كما يلي: كرم محمد زهدي (بكالوريوس الزراعة والتعاون الزراعي)، ناجح إبراهيم عبد الله (بكالوريوس الطب والجراحة)، عصام دربالة (ليسانس الآداب) عاصم عبد الماجد (بكالوريوس الهندسة الميكانيكية) أسامة إبراهيم حافظ (ليسانس الآداب) حمدي عبد الرحمن (بكالوريوس الهندسة الميكانيكية) – المصدر: موقع الجماعة الإسلامية http://www.egyig.com

(•••) حيث يعمد إلى ذلك لتوفير طاقاته للدروس الخصوصية التى يلجأ إليها لتحسين وضعه المادي ومن ثم الاجتماعي.

دينية وبالكيفية التي يُؤولون بها تلك المعارف دون أدنى محاولة للحوار .. يضاف إلى هذا أن المدرس - وهو نتاج للتنشئة الدينية المصرية- إنما يعكس تأويله للنص الديني وفق رُؤيته الخاصة النابعة من معارفه وطبقته .. وموروثه الثقافي الديني[1].

فالمدرس ومُنتجه ما هو إلاّ انعكاس لمجتمعه وثقافته باعتباره ابنًا له ومشاركًا . بدرجة أو بأخرى في النظام التعليمي واضعًا أو شارحًا أو متلقيًا بدرجات متفاوته.

وتركيز الطالب / المدرس / المواطن العادي على قشور الدين وتوليتها جلَّ اهتماماته ويتعصب لها وفي المقابل يُهمل دنياه لصالح آخرته ويتعامل مع الدنيا على أنها عقاب وسجن للمؤمن بديلاً عن السعي والاجتهاد رغم الأمر الإلهي ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ ﴾ [النمل : ٦٩] في أكثرمن موضع في القرآن الكريم، ورغم الحديث الشريف القائل "**إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليزرعها**" وهذا أمر طبيعي حيث أن الفهم المنقوص للدين هو حصاد تربية إسلامية قاصرة، لقد صرنا بإزاء عقل إسلامي أخروي انشغل بصلاح الدين وأدار الظهر لصلاح الدنيا بحيث بات هم عامة المسلمين هو إجادة فنون الآخرة وعلومها عناية بالمعاد دون المعاش الأمر الذي أهان التدين من حيث أنه ألحق به وصمة التخلف[2].

وهذا الانسحاب يشمل فئات كثيرة من المجتمع بكل طوائفه وثقافته ووضعها الاجتماعي وذلك بسبب هذا الخطاب الانسحابي الذي يلقاه أمامه ويسمعه في كل مكان سواء في المسجد / تلفاز / شرائط كاست.

ويجب ألاَّ نغفل أنه "عقب أحداث ١١ سبتمبر، اتجهت السياسات الحكومية في الوطن العربي بصفة خاصة، في ظل فشل الخطاب الديني الرسمي على كسب ثقة الجماهير، وعدم قدرة هذه الدول على تحقيق نجاح قومي أو وطني، وزيادة الإقبال لدى الناس على التدين، وتصدر عدد من العلماء والدعاة بخطاب علمي مؤصل

(١) تزييف وعي الشباب، م س، ص ٤٤، ٤٥.

(٢) فهمي هويدي ، التدين المنقوص ، (دار الشروق ، ط ١)، ص ٢٦.

وفقه للواقع وتقديم رؤية شاملة للإصلاح السياسي والاجتماعي تقوم على أساس من الدين الإسلامي.. الأمر الذي هددَّ مستقبل هذه النظم العلمانية في هذه البلدان، وخروج الطاقات الشبابية عن سيطرتها وسيطرة العلماء.. اتجهت إلى صياغة بديل قادر على جرف مسار هذا التيار القادم والعارم - كما يبدو - وليس بالضرورة لديها أن يكون رسمياً، لكنه مسيطر عليه أو في أقل الأحوال "غير متمرد"!!

وهذا البديل يشمل المناهج التعليمية والخطاب الدعوي والمؤسسات والقيادات الفاعلة في الأوساط الاجتماعية والشبابية. وربما تتم صياغته بالاتفاق مع أكثر من جهة تتصل مصالحها مع قيام "بديل" بهذا النوع والحجم"[1]

وينبهنا استشاري الطب النفسي **دكتور محمد المهدي** إلى وجود تَحول في وسائل وأساليب التربية حيث أنه "لما ضعف الدور التربوي للمدارس أو اختفى تقريباً في بعض المراحل الهامة (وبالأخص المرحلة الثانوية)، لذلك انتقلت عملية التربية إلى الغرف المغلقة والمساجد النائية والكنائس المغلقة، وأصبح غير معروف ما يُقال في هذه الأماكن للشباب، ولكن من الواضح أن هنا عمليات تسخين وتحفيز تجرى على الجانبين نرى آثارها حين تظهر أية مشكلة في صورة شباب غاضب وناقم ومتحفز ومستقطب[2]. وأصبح من أهم وأخطر ما يمكن أن يُثار هو التطرق إلى التعليم ومناهجه وبخاصة التعليم الديني حيث "الغياب الواضح للمتخصصين الأكاديميين في مجال التربية ورجال الدين"[*][3].

---

(١) أنور قاسم الخضري، التدين الجديد وأثره في تمرير ثقافة التغريب في مجتمعاتنا http://www.dorar.net/art/62

(٢) http://www.maganin.com/news/articlesview.asp?key=524

(*) الأدق علماء الدين فليس في الإسلام طبقة يُطلق عليها رجال الدين كالمسيحية مثالاً.

(٣) د. أحلام السعدي فرهود، تجديد الخطاب الديني في مقررات التعليم في مصر، ورد في "حال تجديد الخطاب الديني في مصر"، تحرير : نادية مصطفى – إبراهيم غانم، (ط مكتبة الشروق الدولية) – مجلد ٢ ص ٦٥٩.

وهنا تصبح الخطورة حيث أنه من السهل تقديم رأي ما لأحد المستشارين أو اتجاه ما له على أنه هو الدين الصحيح، بالتالي غيره على خطأ ويكون مخالفاً لجوهر الدين، وبالتالي يحدث بلبلة لدى المتلقى للمادة – وبخاصة مع تواضع مستواه وقدراته ومعلوماته وتجاربه – عندما يرى في الواقع أو في مراحل دراسية متقدمة غير ذلك.

ثالثًا : وسائل الإعلام

ويتأثر الجميع بدرجات متفاوتة أيضاً بوسائل الإعلام وبما تقدمه من محتوى سواء أكان غثّـًا أو ثمينًا. ومن وسائل الإعلام:

أ- القنوات الفضائية

فالقنوات الفضائية الدينية أصبحت المرجع (الأوحد) لشريحة كبيرة لا يستهان بها، كما أصبحت بمثابة مشروع مادي رابح يلجأ إليه رجال الأعمال وبمنطق المكسب والخسارة يكون المشروع، وبنفس المنطق يكون المشروع المربح قناة فضائية دينية.

ورغم تزايد هذه الفضائيات – طبقاً لحسابات السوق – حيث أن المكسب والخسارة في المقام الأول والأخير هو الفيصل رغم الشعارات الدينية التي تُرددها القناة وأصحابها عن أهدافها وغاياتها رغم أن عددها دائماً في تزايد يوماً بعد يوم.

وعند الكلام عن المحتوى فأغلبها الأعم محتوى سَلفي صِرف وتتشارك فيه كل القنوات رغم تعدد الأسماء، فالسلفية في الفضائيات هي سلفية محتوى وخطاب ومنهجية تفكير أكثر منها توجه أيديولوجي محدد، فضلاً عن أن تكون ممثلة لتنظيمات أو حركات سلفية محددة، على الأقل بالنظر إلى طبيعة وسيط الفضائيات في المنطقة العربية[1].

(١) حسام تمام.. الفضائيات السلفية هل تقاوم السلفية علمنة الفضائيات للتدين، http://islamyoon.islamonline.net

وبالنظر إلى حال إحدى هذه القنوات ألا وهي **قناة الناس**، والتي كانت في بدئها قد حددت وجهتها كقناة ترفيهية متنوعة تقدم برامج الغناء، وتفسير الأحلام، وعلاج الجن واكتشاف المواهب، وبث حفلات الزفاف، وطلبات الزواج والدعاية! في تلك المرحلة كان شعارها (**قناة الناس لكل الناس**)، قبل أن تتحول بداية من يناير ٢٠٠٦ إلى قناة دينية سلفية بالكامل، وتنتقل إلى شعارها الجديد الذي يناسب المرحلة (**قناة الناس.. شاشة تأخذك إلى الجنة**)![١] وذلك بعد أن بدأ يُلاحظ التوجه السلفي الظاهر في الشارع المصري حيث أنه طبقاً لأعداد السكان والجغرافيا والتاريخ هو الجمهور الأكبر والمستهدف لأية قناة.

وكان نجوم هذه القناة بعد تحولها من المجال الترفيهي والعام إلى الديني نجوم الدعوة في الشارع المصري من أمثال الشيوخ محمد حسان ومحمد حسين يعقوب وأبو إسحاق الحويني ومحمود المصري وهذه المجموعة هي الأبرز على الساحة وصاحبة جماهيرية مرتفعة، وصاحب وجودهم اختفاء كامل للمرأة / المذيعة من القناة ومن أجل الاستمرار والتمويل أصبحت قناة "الناس" الراعي للطابع الاستهلاكي الفج .. والتي صارت أشبه بسوبر ماركت؛ حيث لا يتوقف سيل الإعلانات التي تستحضر- بسبب من غياب المهنية- منطق السوق الشعبية، ثم الرسائل الاجتماعية والإنسانية والعاطفية أحياناً التي تملأ الشاشة وتكلف صاحبها مقابلاً يذهب للقناة، وكذلك الأولوية المطلقة للإعلان وتقديمه على المادة الدعوية إلى حد تخصيص فقرات طويلة بالساعات[٢].

واستمر هؤلاء النجوم / الدعاة في القناة حتى حدث خلاف مع الإدارة بسبب استضافة عمرو خالد ود. أحمد عبده عوض وانصرفوا عن القناة إلى قناة الرحمة[٣]

(١) الفضائيات السلفية ، م س .

(٢) الفضائيات السلفية ، م س .

(٣) انظر ملحق رقم(١) لعرض الأزمة التي تعرضت لها القناة في مايو ٢٠١٠م.

والتي أسسها الشيخ محمد حسان. ولم يقتصر الأمر على هذه الفضائية وأخواتها بل امتد إلى وجود قناة متخصصة في العلاج بالقرآن والأعشاب وفك السحر إلى آخر تلك القائمة وهذه القناة – تُسمى "الحقيقة"! – تبُث على مدار الأربع وعشرين ساعة بلا انقطاع ، فضلاً عن قنوات خاصة بالقرآن الكريم لأكثر من دولة وكذلك قنوات للحديث الشريف، والعدد يومياً في تزايد .

ومع تزايد الأعداد وارتفاع نسبة المشاهدة أصبحت برامج الفضائيات تشكل أكبر رافد لتكوين أفكار "**المتدينين الجدد**" وقطاع الشباب وثقافتهم الدينية، وبحكم سنهم وانفتاحهم على الإنترنت والفضائيات أصبحوا يتلقون المفاهيم والتصورات والآراء والاستشارات والسلوكيات منها[1] خصوصاً بعد اقتصار الكثيرين منهم على الفضائيات كمصدر وحيد للمعرفة والتثقيف لنسبة لا يستهان بها من البسطاء والمتعلمين بمختلف الدرجات التعليمية أيضاً.

ويتعدد أسماء تلك القنوات ما بين اقرأ والرسالة مرورًا بالناس وليس آخرًا الرحمة وتعددت الأسماء والنجوم في الفضاء الإعلامي الديني ومع ذلك فالمحتوى واحد مهما تعددت صور وأشكال تقديمه وتبعًا لسيطرة رأس المال والممول لهذه القنوات يكون المحتوى، وبما أن السيطرة الكبرى والرئيسية لرأس المال السعودي فإن المحتوى، سلفي وهّابي بالدرجة الأولى والأخيرة مهما كانت الأُطر التي تُغلف المضمون.

- **ملاحظات حول القنوات الفضائية :**

فبالنظر إلى القاعدة الجماهيرية الواسعة للقنوات الدينية نرى أنه أصبح لها آثارٌ سلبية على القطاعات الجماهيرية المتابعة لها، وحول أداء تلك القنوات وتأثيراتها توجد عدة ملاحظات مثل:

(١) التدين الجديد وأثره في تمرير ثقافة التغريب في مجتمعاتنا، م س.

١. ساعدت على تزايد النزعة التعبوية لمستهلكي المادة الإعلامية الدينية، وترويج أبعادها السياسية والعقائدية والنزاعية بين أبناء الأديان والمذاهب بعضهم لبعض تحت مظلات ذات الدين أو المذاهب أو المدرسة الفقهية.

٢. اتساع النزعات السجالية والازدراء الديني ومن ثم نمو الكراهية على أساس ديني والمساهمة في تنميط المعرفة والوعي الديني شبه الجماعي.

٣. ازدياد الذم ونشر الكراهية وعدم التسامح[١].

٤. اعتماد جمهورها على الثقافة السمعية فقط واعتبار خطابها مصدق دائمًا وغيره خطأ. كما أنها تتبع سياسة الرأي الواحد الأوحد ولا مجال فيها لرأي آخر أو اجتهاد آخر ولا وجود فعلي لحديث الرسول الكريم "اختلاف أمتي رحمة" إلاّ على ألسنتهم أمام الكاميرات فقط!

٥. الابتعاد عن القضايا السياسية وإن اضطر أحد الشيوخ إلى التعليق فإنه يحاول دائماً ألاّ يخرج عن صف السلطة سواء أكانت على حق أو باطل ويُسفه أصحاب الرأي الآخر[٢].

٦. بعض هذه الفضائيات اتخذت من الدين ستاراً للصراعات السياسية في إطار تعدد الثقافات وتناقضات مواقع القوى الإسلامية فأدى ذلك إلى مزيد من التشدد وعنف الخطاب.

٧. قائمة أولويات الخطاب الديني لبعض هذه الفضائيات الدينية الدولية – وعظاً وإرشاداً وفتاوى وفقهاً – لا تعكس واقع الحال في كثير من الدول الإسلامية وبخاصة في عالمنا العربي.

(١) صفية فاروق، الفضائيات الدينية .. صراع الحق والباطل، م س.

(٢) راجع تعليقات الحويني على موقع you tube بشأن الدعوات للمظاهرات لنصرة غزة وتسفيهه من أصحابها.

٨. غالبية الخطاب الديني لهذه القنوات – على اختلاف مذاهبها واتجاهاتها – بأنماطه وتقسيماته الوعظية والفكرية له إشكالية في اللغة[1]، حيث تقديس اجتهادات القدماء وآرائهم ومواقفهم وفتاواهم وكأن العصر هو العصر لا اختلاف وجعلها عند البعض في مثل قداسة القرآن الكريم لا يجوز الكلام في مدى صحتها وسلامتها ومناسبتها للعصر الحالي.

٩. تحول الدعوة إلى بيزنس والدعاة إلى نجوم بعقود احتكار فلا يستطيع أحد الدعاة الظهور على قناة أخرى غير المتعاقد عليها وتقاضيهم لأرقام خيالية نظير ذلك.

ب- الجرائد والمجلات :

وتأتي في المرحلة الثانية في التأثير حيث انصراف الغالبية العظمى عن القراءة، وأغلبه متشابه وموضوعاته مكررة. ويكاد المتابع لهذه الصفحات يتنبأ بالأسئلة والأجوبة التي تنشر في المناسبات الدينية، نفس الأسئلة ونفس الأجوبة، لا جديد أو إبداع وكأن الحياة كما هي ومشكلات الناس كما هي بلا أي تغيير وحتى الإجابات واحدة. وبما أن الخطاب الديني في الصفحات الدينية بالصحف والمجلات لا يخرج عمّا يُقال في الفضائيات لأسباب عدة منها: الضغوط من قبل الدولة على مالكي الصحف فضلاً عن صحفها فأصبحت مثل الفضائيات تدور في نفس الفلك، فضلاً عن بعض الإصدارات الدينية مثل اللواء الإسلامي، مجلة الأزهر، مجلة التوحيد وغيرها.

جـ – الإذاعات الدينية

حيث أنه مع التطور الحادث في مجال الإعلام فإن الإذاعة ما تزال تلعب دوراً هاماً في توجيه الناس وتثقيفهم، وتُعد إذاعة القرآن الكريم هي الرائدة في المجال

(١) د. حسن علي محمد، الخطاب الديني في الفضائيات الإسلامية، جريدة الأهرام، الخميس ٢٥/٣/٢٠١٠م.

الإذاعي الديني منذ إنشائها في ٢٥/ ٣/ ١٩٦٤م؛ حيث تهدف إلى "المحافظة على كتاب الله عز وجل وتقديمه مرتلاً برواياته الصحيحة، إلى جانب علوم القرآن التي تساعد على تيسير فهمه، وتقديم صحيحِ السنة النبوية المشرفة، وسيرة الرسول العطرة، وكذلك علوم السنة".

وفي ضوء هذا الهدف وحيث أن شبكة القرآن الكريم تمثل "المصدر الثاني للتثقيف الإسلامي للشباب الجامعي بعد الكتب الجامعية"، لذا فقد التزمت الإذاعة بعدة ضوابط من أجل الحفاظ على مستوى الخطاب الديني الإسلامي الذي تقدمه بشكل متوازن وعلمي مثل: "ألاّ يُستضاف ولا يستكتب أحد لبرامج الإذاعة إلاّ أن يكون أحد أعضاء هيئة التدريس من جامعة الأزهر، وكلية دار العلوم، وأقسام الدراسات الإسلامية، ليس هذا فقط بل أن يكون من درجة أستاذ".

وهذه الاشتراطات تمثل وعياً لدى القائمين على الإذاعة بأهمية ودور شبكة القرآن الكريم في تشكيل الوعي الإسلامي الصحيح البعيد عن التطرف، لتنشئة أجيال واعية مصادر معرفتها الدينية مأخوذة من علماء ثقات خبروا الحياة ومشكلاتها وتكون لديهم مستوى مرتفع من المعرفة الدينية المُتأنية، البعيدة عن الغلو والتطرف.

التحديات أمام الخطاب الإذاعي :

وأمام التطور الحادث، وما جد في وسائل الاتصال من تقدم وتطور واستحداث أشكال جديدة مثل الفضائيات والإنترنت، هناك عدة أمور تفرض نفسها على الخطاب الإذاعي الحالي تتطلب مراجعة شاملة ومواكبة للتقدم الحادث، ومن هذه الأمور :

١. ضرورة مُتابعة ما يُبث على صفحات ومواقع الإنترنت والقنوات الفضائية من حملات مضادة للإسلام والمسلمين، بحيث تصنع خطاباً للرد، وتفنيد هذه الادعاءات، وكشف دوافعها.

٢. تفعيل الصلاحية اللائحية لشبكة القرآن الكريم ببث ساعة يومية باللغة الإنجليزية حول معاني القرآن الكريم، والاستفادة بذلك في رد الشبهات عن الإسلام.

٣. البرامج التي تهتم بقضايا ومشكلات الواقع تصل إلى ٥ ٪ من نسبة العدد الإجمالي للبرامج مما يتطلب تدعيم معرفتها بالأبحاث والتقارير الصادرة من مراكز البحوث ومناقشة هذه العناصر بفقه الواقع وفقه النصوص.

٤. الجمع في مناقشة الظواهر والقضايا الاجتماعية بين المُتخصصين في الدراسات المتصلة بهذه الظواهر، وعلماء الإسلام أصحاب الاجتهادات العلمية من الناحية الإسلامية القريبة من الظاهرة موضع النقاش(١).

د- الإنترنت

الشريحة الأساسية له هي الشباب وبسبب تزايد استخدامهم للإنترنت سواء في البيت أو مقاهي الإنترنت المنتشرة أصبحوا مجالاً خصباً - وبخاصة المتدينين بطبيعتهم - للمواقع السلفية المنتشرة بكثافة وبسبب التمويل المكثف الداعم لتلك المواقع حيث أن تعدد مصادر التلقي ووسائل الإعلام المتنوعة قدمت للشباب الراغبين للالتحاق بالصحوة قَدْرًا وافرًا من الاختيارات البديلة؛ وهو ما أدخل عناصر أخرى ساهمت في توجيههم وتشكيلهم، وغيرت مسار توجههم على خلاف الحقيقة أحياناً كثيرة(٢).

ولنا أن ندرك أثر الفكر السلفي على الشباب النشء الذي لم يتعمق أو يعرف شيئاً بعد عن أمور دينه حيث يجد نفسه مُحاصرًا بسيل من الفتاوى فيها الغث والثمين

(١) د . فوزي خليل، تجديد الخطاب الإذاعي في شبكة القرآن الكريم، ورد في حال تجديد الخطاب الديني في مصر، تحرير : نادية مصطفى - إبراهيم غانم، (ط مكتبة الشروق الدولية) - مجلد ٢ ص (٥٤٥)، (٥٦٤)، (٥٣٩)، (٦٠٢) بتصرف بسيط.

(٢) التدين الجديد وأثره في تمرير ثقافة التغريب في مجتمعاتنا، م س.

وكثيرها غث وأغلب الشباب ليس لديه خلفية معرفية قوية تجعله يستطيع التفرقة، وتقييم ما يُلقى على مسامعه[1]، فعلى سبيل المثال عندما يطالع فتوى عن حكم ظهور المرأة الداعية على التلفاز بحجابها الشرعي لغرض الدعوة والفتوى.[2]

فنجد أن الجواب – ونورده كاملاً في ملحق(٢) – يؤكد على أنه **"لا يجوز للمرأة أن تخرج في القنوات ولو كانت متحجبة باسم الدعوة والفتوى، ولا حاجة إلى قيامها بالدعوة والإفتاء[3] بواسطة القنوات، فإن الأصل أن يقوم بذلك الرجال ومشاركتها**

(١) انظر ملحق ٥) لبعض النماذج من الفتاوى الموجودة على أشهر المواقع السلفية، ولنا أن نُطلق العنان لخيالنا لنعرف ما هو شكل المستقبل الذي ينتظرنا من شباب تكون هذه أفكاره واعتقاداته.

(٢) http://www.dawatalhak.com/newsdetails.asp?id=606

(٣) يتناسى صاحب الفتوى أن كبار رجال الفقه في التاريخ الإسلامي أخذوا علمهم من امرأة وأعلنوا ذلك ولم يجدوا في الأمر غَضاضة وصاحب هذه الفتوى تتلمذ فكرياً على أعمالهم والرسول ﷺ قال في حديث شريف "خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء – يقصد السيدة عائشة – كما يكفي على سبيل المثال لا الحصر ما ذكره الإمام الذهبي في مُصنفه "معجم شيوخ الذهبي" ما يُجاوز مائة امرأة تتلمذَ على أيديهن مثل حبيبة بنت إبراهيم، حرمية بنت ناصر، وخديجة بنت إسحق وزاهدة بنت الرفيع، وشهدة بنت الخطيب، عائشة بنت عيسى .. إلخ، ط١، (دار الكتب العلمية ، بيروت) وللتوسع انظر ملحق (٣) ونفس الرأي أيضاً صادر عن جمعية أنصار السنة المحمدية في مصر وذلك حسب ما نشرته مجلة (روزاليوسف العدد ١٣٥٥ الجمعة – ١١ ديسمبر ٢٠٠٩م)، حيث أكدت الجماعة على رفضها أن تكون لديها دعوة نسائية خاصة تقوم بها نساء وتعمل بتفويض من مجلس الإدارة، حيث قال الشيخ أسامة سليمان مدير إدارة المشروعات وعضو مجلس الإدارة إنه لا يوجد داخل جماعة أنصار السنة داعيات نساء أو وجود دعوة سلفية نسائية تعمل باسم أنصار السنة بسبب الخوف من الفتنة لأن المرأة لا تستطيع أن تعلم إلا امرأة مثلها، ووجود داعيات نساء في ندوات يحدث به اختلاط بين النساء والرجال ما يؤدي إلى وجود فتنة، مشيراً إلى أنه كانت هناك دعوة نسائية منذ ما يقرب من ١٥ عاماً وكانت في المركز العام وكان فرع المطرية هو المسؤول عنها إلا أنها انتهت وأن الجماعة حالياً لا توجد عندها النية في إعادتها. وأضـاف: إن وجود نساء داعيات في الفضائيات لا يعتبرن ممثلات عن أنصار السنة، مشيراً إلى أن معظمهن تصدرن قبل أن يتأهلن، مما يضر بالدين وفسادهن أكثر من نفعهن. ومن جانبه أكد الشيخ عبد الكريم عبد المجيد عضو لجنة التراث بالجماعة أن هناك بالفعل دعوة نسائية ولكنها غير معلنة بسبب ظروف العمل النسائي الذي يقتضي العمل =

في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة تترتب عليها مخالفات شرعية من خروج بلا حاجة، ومخالطة للرجال، وتصوير لشخصها وإن كانت محجبة، وفي ذلك ما فيه من المفاسد التي جاءت الشريعة بسد الطرق إليها!!.

وعلى المستوى العملي "وفرت شبكة الإنترنت فرصة للتيار السلفي لتدشين مواقع شتى ما بين إخبارية وعلمية ودعوية، كما فتحت للسلفيين مجالات غير محدودة لبث النشرات وتدشين المجلات الإلكترونية وإقامة المنتديات العلمية والفكرية بدون أية عوائق تذكر، وبعيدًا عن المصادرة الحكومية لأنشطتهم المباشرة التقليدية".(١)

ورغم خطورة تغلغل الأفكار المتداولة على شبكة الإنترنت في عقول الناس – الشباب - واتخاذ البعض – وللأسف البعض الكثير – لكل ما يَرد فيها كأمر مُسَلم به إلا أن البعض قد وجد أن هذه المواقع قد أصبح لها فائدة، حيث أصبح للمواقع والمنتديات الإلكترونية الفضل في تنبيه بعض المصريين للمرة الأولى إلى أن هناك فرقاً

= مع النساء وبالتالي فهي غير معروفة لدى الكثير من الناس. وأشار إلى دور الدكتورة نعمة الصدقي في الدعوة النسائية، وأشهر مؤلفاتها كان كتاب اسمه التبرج ولكن كان نشاطها مع النساء، فكانت غير معروفة لدى الكثير وأنه منذ وفاتها لا توجد امرأة مؤهلة لكي تكمل مسيرتها. وأضاف: إن نشاط الجماعة في هذا المجال لا يتعدى دور المحفظات داخل الفروع وهو عبارة عن مجهودات فردية لأن الجماعة ولوائحها لا يوجد بها ذلك وإذا كانت هناك دروس للنساء فإن الشيخ الذي يلقي الدرس يكون مكفوفاً أو شيخاً كبيراً في السن وذلك للحفاظ على الجماعة وعدم وجود أية فتنة تضر بالدعوة لدى الجماعة. وقال الشيخ أبو العطا عبد القادر مسؤول العلاقات العامة بالجماعة: إن اللائحة الخاصة بالجماعة لا يوجد بها بند خاص بالدعوة النسائية وإن الجماعة ملتزمة بدعم الدعوة السلفية ولكن لا يشمل هذا الداعيات النساء اللاتي يتحدثن في الدين على الملأ.

(١) مصطفى شفيق علام، "سلفنة" الإنترنت: السلفية وتجليات التمدد بالفضاء الرقمي، موقع الإسلاميون، الإسلاميون تاريخ ٢٦-٩-٢٠٠٩،

http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1252188118531&pagename=Islamyoun%2FIYALayout

بين السلفيين و"الإخوان المسلمين"، بغض النظر عما إذا كان كل من انتبهوا إلى ذلك تمكنوا من إدراك طبيعة هذا الفرق وأبعاده[١].

وإذا كان الفكر السلفي يسود غالبية المواقع الإسلامية، نجد المواقع السلفية نفسها تختلف كل منها عن الآخر باختلاف الدولة التي ترعاه، فهذا يعكس الإسلام السعودي بفتاواه المعروفة، وذاك يعكس فلسفة شيوخ قطر وآخر مصدره من باكستان..[٢].

وكما يوجد خلاف على سطح الأرض وفرق وتمذهب فالأمر نفسه انتقل إلى الفضاء الإنترنتي وكما توجد حملات العداء والتحريض من كل طرف (مذهب) والأسلحة وفتاوى تكفير ومطبوعات ومنشورات في كل مناسبة فالأمر بالمثل على فضاء الإنترنت.

الإيجابيات والسلبيات

ونأتي الآن لذكر الإيجابيات والسلبيات لـ"سلفنة الإنترنت"[٣] كما أوردها بعض المتابعين للظاهرة وتمثلت فيما يلي:

- **أولاً: الإيجابيات**

١ . أدى استخدام السلفيين لآليات الإنترنت إلى إحداث تطور نسبي في حجم متلقي الخطاب السلفي وارتفع به إلى مستويات غير مسبوقة، حيث اتسع نطاق المستهلكين للخطاب السلفي باتساع قاعدة الجمهور الذي يتعامل مع الإنترنت وأغلب هؤلاء من الشباب حديث السن، قليل الخبرة، شديد الرغبة في المعرفة

---

(١) وحيد عبد المجيد، التيار السلفي والحالة الإسلامية في مصر
http://www.alarabiya.net/views/2008/06/26/52118.html

(٢) د.أحمد صالح، صدمة الإنترنت وأزمة المثقفين، كتاب الهلال،(يوليه ٢٠٠٥)، ص ١١٧، ١١٨.

(٣)- سلفنة الإنترنت، م س.

وتطوير ثقافته الدينية لإرضاء ربه. مما جعلته هذه الأسباب مادة خام لهذه المواقع والمنتديات ذات الطابع السلفي ومن ثم تصبح وسيلة جذب لجمهور جديد وانتشار للفكر السلفي ورواجه.

٢. أدى توسع التيار السلفي في استخدام التقنيات الحديثة إلى سقوط ادعاءات البعض بأن المناهج السلفية جامدة وغير قابلة للتطور، حيث أثبت السلفيون أنهم قادرون على مواكبة العصر مع احتفاظهم بثوابتهم ومرتكزاتهم - وإن كان التطور مقتصراً على التطور في المخرجات وأشكال وطرق العرض مثل المكتبات الإلكترونية الشاملة و DVD و CDs – وتوافر خاصية البحث الشامل في هذه الوسائط مما يسهل عملية البحث عن أي موضوع ويعاب عليها أن المتلقي يأخذ ما يريده دون أن يستوعب الإطار الذي كتبت فيه المعلومة ودوافع وأسباب المؤلف لكتابتها - دون أن يوازي هذا التطور تطور في المنهجيات والأفكار والحلول الجديدة لكل المشكلات الناجمة عن المستجدات في حياتنا المعاصرة أي أنّ التطور في الشكل دون المضمون.

٣. أسهمت تلك التجربة في تسويق التيار السلفي ورموزه، وذلك عبر نجاح هذه المواقع في التعريف بالدعاة والعلماء وتقديمهم لجمهور جديد يختلف عن جمهور المساجد التقليدي، إضافة إلى تسويق منهج التيار "التراثي" من خلال ما يسمى بالمكتبات الإلكترونية التي تضم مجموعات لا حصر لها من كتب التراث العلمية والشرعية، بصورة أتاحت لقرائها توثيق المعلومات وحفظها وسهولة الاطلاع والوصول إلى نتاج الدعاة وبحوث العلماء وفتاواهم والاستفادة منها.

أي أنه يمكن القول إن تلك الإيجابيات ظلت من المحدودية بمكان بحيث يمكن وصفها بأنها تحمل شعار "للسلفيين فقط"، **فلم يشهد المنهج السلفي ذاته أي تطور في المحتوى أو مفردات الخطاب، وظل التطور الذي أحدثته تجربة المواقع الإلكترونية شكليًّا يقتصر على تحديث الأدوات دون المضامين.**

- **ثانياً : السلبيات**

ومع محدودية ما سبق من إيجابيات، كمًّا وكيفًا، فإن الجوانب السلبية للتجربة تظل تحتل الجانب الأكبر والكفة الراجحة عند التقييم بميزان منصف، بل إنه ليس من المبالغة القول إن حصاد السلبيات يمثل في مُجمله المعضلات التقليدية التي تُعانيها الأمة في كل قطاعات العمل العام والمشروعات النهضوية حيث:

١. تحولت بعض المواقع السلفية إلى أدوات إعلامية للجرح والتعديل وتصفية الخلافات الشخصية والمنهاجية دون أدنى اعتبار لأدب الخلاف، وباتت بعض التجليات السلفية تتراشق الاتهامات فيما بينها وتتنابز بالألقاب مع غيرها عبر تلك المواقع.

٢. غلبة الجوانب الشخصية على إدارة بعض تلك المواقع، فأصبح الخطاب مصبوغًا بتوجهات القائمين عليها، وبات ما توررده من آراء معبرًا بالأساس عن الشيخ الممول أو المؤسس أو المدير، وغاب أو اختفى البعد المؤسسي التنظيمي ومن ثم فقد غابت المهنية أو الحرفية وحل محلها منظومة الولاءات والتوجهات، الأمر الذي أدى إلى غياب الإبداع والابتكار، فاقتصرت تلك المواقع على التقليد والقوالب النمطية الجامدة ذات التأثيرات المحدودة.

٣. قيام بعض من تلك المواقع على مبادرات فردية لا مؤسسية ، ومن ثم فقد عانى الكثير منها من غياب التخطيط الاستراتيجي وتشوش الرؤية وعدم وضوح الأهداف الأمر الذي أدى بدوره إلى استغراقها في الجزئيات والمحلية في الوقت الذي ينبغي أن يكون فيه تركيزها على الكُليات العامة والنظرة الشاملة وفقًا لعالمية الرسالة التي تعبر عنها.

رابعًا : المسجد

على مدار التاريخ الإسلامي كان المسجد هو الوسيلة الأولى والرئيسية للناس في معرفة أمور دينهم ودنياهم فقد أقبل رسول الله ﷺ بمجرد

وصوله إلى المدينة واستقراره فيها على إقامة مجتمع إسلامى متماسك راسخ، يتألف من هؤلاء المسلمين: المهاجرين والأنصار الذين جمعتهم المدينة المنورة فكان أول خطوة قام بها فى سبيل هذا الأمر، بناء المسجد.(1)

وهذا الأمر يشير إلى أهمية المسجد ودوره بالغ الأثر ولقد تنبه ذوو السُلطة إلى دور المسجد وأهميته وخطورته على سلطانهم فيستطيع رجل دين أن يسير الناس ويؤلبهم ضد السلطة، ولذا بذلوا جَل جهدهم لضمان السيطرة عليه واتبعوا كل السبل في ذلك، لأن الأفكار التي يتلقاها الإنسان عن طريق المسجد يكون لها وقع في نفسه حيث تكتسب شيئاً من القدسية لأنها نابعة من المسجد الذي هو رمز الإسلام ولأنها أيضاً صادرة عن العلماء والدعاة الذين ينظر إليهم الناس على أنهم حملة الدين وحماة العقيدة(2).

خطب الجمعة

لهذه الأهمية أصبح المسجد أحد أهم الأدوات الأساسية في يد الجماعات السياسية المختلفة للترويج لأهدافها سواء أكانت شرعية أو غير شرعية، وكانت خطبة الجمعة - باعتبارها المصدر والوسيلة الأهم والأساسية وغالباً الوحيدة لكثير من الناس للمعرفة الدينية - هدفاً للجماعات السياسية وساحة للصراعات الفكرية، وبسبب الفوضى التي تشمل كل أوجه المجتمع، وبسبب الهيمنة الفكرية الحالية للتيار الوهابي بدأنا نلاحظ ظهور واتساع آفة التشدد الفقهي والفكري عند عدد غير قليل من الخطباء والدعاة في خطب الجمعة والمواعظ الدينية في المساجد المصرية(3)، حيث الجنوح الدائم ناحية التشدد وهي تشمل في عدة نواحي منها تبني

(1) د. محمد سعيد البوطي، فقه السيرة، (ط دار الفكر)، ص ١٤٣.

(2) على الفقي، ثقافة التشدد، (المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية)، فبراير ٢٠٠٨ ص٩.

(3) ثقافة التشدد، م س، ص ٥ .

الرأي الفقهي الواحد، وإغفال الرأي الآخر الذي يُعارض الرأي الذي يقول به الخطيب أو الداعية مع أن القولين معتبران وصحيحان وكلاهما صادر عن علماء الأمة الثقات[1].

ولكي نُصلح الخلل الذي أصاب خطبة الجمعة وخروجها عن طريقها الصحيح ولأهميتها البالغة في حياة المسلمين، فضلاً عن أنها تعتبر المصدر الأول وغالبًا الوحيد في تكوين ثقافة المسلم وتوجيهه، يجب أن تكون كمحطات الإذاعة ، يلتقط كل منبر منها أخبار الجهات الأخرى ويذيعها في صيغة خطاب إلى الروح والعقل والقلب، فتكون خطبة الجمعة هي الكلمة الأسبوعية في سياسة الأسبوع أو مسألة الأسبوع، وبهذا لا يجيء الكلام على المنابر إلاّ حَيا بحياة الوقت، فيصبح الخطيب ينتظره الناس كل جمعة انتظار الشيء الجديد، ومن ثم يستطيع المنبر أن يكون بينه وبين الحياة عمل[2] وصلة ارتباط، فتكون بذلك الخطبة مصدر أمل ومبعث للحياة لا مصدر يأس وإحباط وتنمية للشعور الدائم لدى الفرد بالتقصير، وعدم جدوى ما يقوم به، لكيلا تكون خطبة الجمعة وجبة تعذيب وترهيب وعبء، على الفرد أن يقوم [illegible] آليًا بلا روح.

وهذا التشدد يخالف جوهر الإسلام وجوهر الدعوة فيقول الله تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[3].

---

(١) ثقافة التشدد، م س، ص١٦ .

(٢) د. جعفر عبد السلام، التجديد والحفاظ على الهوية الإسلامية، (كتاب الهلال، ع ٧٠٥، سبتمبر ٢٠٠٩)، ص٢٠٦.

(٣) النحل : ١٢٥.

وهذا سوء استغلال لفريضة من فرائض الإسلام حيث أن صلاة الجمعة هي "من آكد فروض الإسلام ومن أعظم مجامع المسلمين، وهي أعظم من كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضه سوى مجمع عرفة"[(١)].

فالجماهير تُقبل على عالم الدين وتفضله كمصدر للمعرفة لعدة أسباب، تتمثل في: الثقة في علمه، وكلامه المفيد والمفهوم، وقدرته على الإقناع، ووجوده في متناول المحتاجين لسؤاله[(٢)]؛ ولذلك تنبع أهمية رجل الدين بتأثيراته الفعلية في الحياة المعاصرة.

ويلاحظ على خطبة الجمعة عدة أشياء منها:

١. أنها **تميل إلى التشديد** على الناس بشكل عام وتقوم على الوعيد وتذكرة الناس بما ينتظرهم من عذاب في القبر ثم في الآخرة.
٢. **تعتمد في الترهيب على أحاديث ضعيفة** وروايات وإسرائيليات لا يقبلها العقل ولا تستقيم مع المنطق.
٣. **ضعف مستوى الخطباء في اللغة العربية**، وانتشار الأخطاء اللغوية التي لا تصح من خطيب، واستخدام اللغة العامية في أثناء الخطبة.
٤. **تناول الخطباء لموضوعات جانبية في العادة** لا تتصل بأحداث الحياة وبمشكلات المسلمين المعاصرة[(٣)] مما يؤدي إلى تغييب عقول المُصلين عن عمد أو جهل وكلاهما في غاية الخطورة.

وبناء على السلبيات وجوانب الضعف في خطبة الجمعة فإن ذلك يؤكد على الجانب السلبي في الدعاة أنفسهم **وتتمثل أهم تلك السلبيات في** :

١. الجهل بحقيقة الدين .
٢. سوء طريقة التبليغ.

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد، (ط الرسالة ، ج ١) ، ص ٣٧٦ .

(٢) د. محمود يوسف، الاتصال المباشر، (دار الإيمان، ط ٢٠٠٨)، ص ٤٤ .

(٣) التجديد والحفاظ على الهوية الإسلامية ، م س ، ص ٢٠٧ .

٣. تدني المستوى اللغوي للدعاة .
٤. تبني العديد من الدعاة خطاباً دينياً مُتشدداً.
٥. عدم مواكبة العصر والاستغراق في الماضي .
٦. عدم امتلاك الحجج العقلية التي تبرهن على صحة خطابه[(١)]، وتعويض ذلك النقص العلمي بالاعتماد على القصص الواهية والإسرائيليات والإشاعات واختلاق أدلة من العدم بلا أي أساس.

ويجب على جميع كل العاملين في المجال الديني مراعاة عدة أمور هامة حيث **الارتكاز على جوانب التلاقي في أفكار الديانات السماوية والتي تدعم جهود التنمية** ومن أهمها:

١. الأديان السماوية هدفها إسعاد الإنسان وتحقيق رقيه ورفاهيته .
٢. دعوة الدين إلى العمل الجاد والمخلص والأمين .
٣. دعوة الدين إلى حب الوطن وتعميق روح الانتماء إليه .
٤. دعوة الدين إلى التزود بأسباب القوة؛ فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .
٥. دعوة الدين إلى إقامة اقتصاد قوي تتنوع مصادره .
٦. دعوة الدين إلى تعمير الأرض وإصلاحها.
٧. محاربة الدين لكل السلوكيات المعوقة لجهود التنمية كالإسراف والتبذير وإضاعة الوقت وعدم احترام المرأة وتهميش دورها .
٨. محاربة الدين لكل صور الانحراف التي تحرم المجتمع من طاقات أبنائه، مثال ذلك تعاطي المخدرات وشرب الخمور.[(١)]

(١) نهال عمر الفاروق بدوي ، الخطاب الديني كما تعكسه البرامج الدينية الموجهه باللغة الإنجليزية في القنوات الفضائية العربية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة القاهرة كلية الإعلام، ٢٠٠٩) ، ص ١٧٤-١٧٦ .

خامسًا : جماعة الرفاق

حيث أن نسبة لا بأس بها من الوعي الديني لدى الفرد يتشكل عن طريق الأصدقاء / الزملاء / الجيران ويسود في أغلبها ثقافة سمعية حيث تتناقل المعلومة – دينية أو غير دينية إيجابية أو سلبية – شَفاهةً بين بعضهم البعض بعيدًا عن الكبار حيث ينشأ بينهم مجتمع مغلق يكونون فيه على سَجيتهم بعيدًا عن سيطرة ورقابة وأحيانًا تسلط الكبار / الوالدين / الأقارب .

وأغلب مصادر هذه المعلومات تكون شفاهية سماعية بلا أي سند علمي موثق وموثوق به وتكون أيضاً من خلال التجارب الشخصية التي يمر بها الفرد النشء ويتناقلها ذلك المجتمع المغلق بين أفراده .

سادسًا :الأحزاب السياسية

بوجود أحزاب ضعيفة غير مؤثرة في المجتمع تلجأ بسبب ضعف برامجها ، وافتقادها لأي مشروع يلتف حولها بسببه الجمهور – القاعدة الأساسية المستهدفة لأي حزب – وبسبب الوازع الديني لدى فئات لا يُستهان بها في المجتمع ، لعبت الأحزاب كلها على هذا الوتر من أجل جذب جماهيرية لها ، ولا يهم إذ كانت هذه الجماهيرية زائفة أو حقيقية ، ويتشارك في هذا الأسلوب المؤسسات الرسمية حيث أنها تروج للآراء الدينية التي تخدم مصالح النظام القائم ، فتفسح المجال لرجال الفكر الديني الذين يؤمنون بتأويلات للنص الديني تتفق وتوجهات الدولة السياسية والاقتصادية ، وتستبعد رجال الفكر الديني ذوي الآراء المخالفة لهذه التوجهات ، وأيضاً ترحب في برامجها وصحفها ومجلاتها بالعناصر الدينية المحافظة والتي تدعم النظام القائم وتقاوم التغيير الاجتماعي[٢] .

(١) الاتصال المباشر ، م س ، ص ٣٦– ٣٧.

(٢) تزييف وعي الشباب ، م س ، ص ٥٢ .

سابعًا :الشارع

ونقصد به تلك الحالة المعرفية المستمدة من الاحتكاك اليومي بالشارع سواء في وسائل المواصلات المختلفة حيث أصبح من المعتاد أن يتطوع أحد الراكبين لوعظ باقي الركاب والأمر نفسه تقوم به النساء في عربات السيدات بالمترو وكذلك استخدام بعض سائقي الميكروباص والتاكسي الكاسيت أو السي دي الإسلامي وفرضه على الراكبين – كوسيلة من جانبهم للدعوة والتقرب إلى الله – والويل لمن يعترض على هذا السلوك من حيث النظر إليه باشمئزار وريبة وأبسط قول يمكن أن يُقال "**انت مش مسلم ولاّ إيه يا أستاذ .. وحد ربك واسمع عشان نوصل بالسلامة**".

فهنا يقترن الوصول بالسلامة بالاستماع في تلازمية شرطية يراها السائق لاكتمال الإيمان والدعوة إلى الله ولا يهم إن كانت السيارة صالحة للاستخدام الآدمي بشكل كريم أم لا، أو تسير طبقاً لتعليمات المرور أم الرشاوى التي يدفعها السائق لعساكر المرور فليست من وجهة نظره رشوة بل صدقة.

أما لو كان المُعترض على هذا السلوك الدعوي بالإكراه امرأة غير محجبة فيفهم على الفور بأنها مسيحية ويبدأ الهمس واللمز حولها فضلاً عن النظرات المهينة حيث أصبح شكل المرأة وملبسها عنوانًا على دينها فطالما هي غير محجبة فهي بالتأكيد غير مسلمة !!

ونفس الأمر يتكرر في الجامعات قبل وبعد المحاضرات وكذلك في أي تجمع طلابي حيث يأخذ بعض الطلبة من ذوي الاتجاهات الدينية على عاتقهم دعوة زملائهم الضالين، العابثين الغافلين عن الله ! لكي يعودوا إلى الطريق المستقيم.

فضلاً عن ذلك الكتيبات التي تُوزع في الشوارع وفي التجمعات أو تُباع بأسعار زهيدة للغاية لا تُساوى تكلفتها والنظرة المُدققة لتلك الكتيبات يجد أنها أصبحت المرجع الرئيسي في ثقافة قطاع لا يستهان به من الشباب من الجنسين ويُلاحظ أنها

مُبسطة في غاية التبسيط والذي يكون في أغلب الأحيان تبسيط مخل في المعنى ويَلغي أية إمكانية لتأويل الكلمات، فالكلمات واضحة وضوحاً لا لبس فيه ولا إمكانية لأي قارئ – خاصة لمنعدمي الثقافة الحقة – أن يجرؤ على مناقشة تلك المعلومات / الحقائق – من وجهة نظرهم – المُتراصة أمام عينيه.

فاللحية مثلاً حلاقتها حرام لأنها مُشابهة للمشركين والمجوس ومن تشبه بقوم فهو منهم، وهي أيضاً تغيير لخلق الله ومخالف لهدي عباد الله الصالحين وتقصيرها عصيان للنبي الكريم[1] "وحلقها تفريط في الدين ويعود على صاحبه بالتفريط في أي شيء آخر فمن ليس له خير والتزام بدينه فلا يرجىٰ منه خير والتزام بوطن أو أهل أو وظيفة"[2].

وامتلأت تلك الكتيبات بموضوعات هامشية وغير أساسية في الدين، كالحجاب واللحى، واللباس، والسحر والجن، وتُردد في العادة أحاديث ضعيفة وضع أغلبها للترهيب عن المعاصي، وغالبًا لا تهتم بقضايا المسلمين الحقيقية وتسود فيها في الغالب لغة متشددة وتخلو من التسامح الذي يُعد جوهر الدين الإسلامي[3].

وليت هذه الكتابات من بنات أفكار عقل معاصر مجتهد، بل هي نتاج عقل ناقل عن آراء لشيوخ معدودين على أصابع اليد الواحدة، يُرددها الأتباع بالنص خلفهم دون مراعاة للزمان والمكان والظروف التي قيلت فيها تلك الفتاوى والآراء التي اكتسبت قداسة بمرور الزمن وأكسبت أصحابها أيضاً قداسة ومن يحاول نقدهم أو مخالفة آرائهم فهو فاسق عاصي خارج عن حدود الله، أي أصبح نقد هؤلاء المشايخ وآرائهم خروجًا عن الإسلام وتعدياً على حدود الله، وويل لمن يعصي الحدود .

(١) فتوي إبن عثيمين.

(٢) فتوى للشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر، والفتوتان في كتيب بعنوان اللحية لماذا؟ للشيخ محمود بن الجميل، (رحمة للنشر والتوزيع).

(٣)- التجديد والحفاظ على الهوية الإسلامية ، م س ، ص ٢١٢.

وإزاء ذلك التركيز المُستمر على أمور العقائد والعبادات، فقد ضَيَّق أغلب المتحدثين باسم الإسلام من دائرة التعامل مع الدنيا وأصبحت المنكرات والآثام والمعاصي مُنصرفة فقط إلى انتهاك حدود الأخلاق والفضائل أو الإخلال بالعقائد والفرائض والنوافل(١)، ولم نسمع أي صوت لهؤلاء ضد الفساد المُنظم ضد البشر والحجر، وسُوء الإدارة والاستبداد السياسي والحروب المنظمة لتجريف العقول وتغييبها وشغلها بسفائف الأمور، لم نسمع أي أحد من هؤلاء يتحدث عن حُرمانية ضعف المشاركة في الحياة السياسية وما تمثله من سلبية أو قضية الشورى وتزوير الانتخابات وفساد الكبار أو ضرورة إصلاح القوانين والتشريعات والحديث عن المستقبل.

ثامناً : الجمعيات الدينية

ونعني بها الجمعيات الأهلية والتي تعمل في المجال الديني، مثل الجمعية الشرعية، جمعية أنصار السنة المحمدية، وغيرهما الكثير من الجمعيات العاملة بين الناس وتنتج خطاباً دينياً يختلف باختلاف مستوى دُعاتها ومؤهلاتهم، وتوجهاتهم، والوسائل التي يستخدمها كل داعية أو جمعية لنشر أهدافها، والشرائح الموجه إليها الخطاب.

أنواع الخطاب الديني

بتحديدنا المقصود بالخطاب الديني فيما سبق، يتوجب علينا تحديد أنواع الخطاب الديني وهل هو خطاب واحد أم عدة خطابات. هنا يجب ملاحظة أن الخطاب الديني هو أولاً وأخيرًا منتج بشري، يتأثر بكل ما يُؤثر في قائله، ويخضع لكل ما يخضع إليه أي قول بشري، فليس له معصومية؛ فلا معصومية لمُنتج أي خطاب بشري بعد الرسول ﷺ ، وما الخطاب الديني إلا وجهة نظر وفهم الإنسان / البشر للنصوص الدينية – القرآن والسنة – في ضوء ثقافته وبيئته وظروف نشأته.

(١) فهمي هويدي، التدين المنقوص، م س، ص ١٥.

مصادر إنتاج الخطاب الديني الإسلامي :

- **المصـــــدر الأول** : الأزهر ، ووزارة الأوقاف ، ودار الإفتاء.
- **المصـــــدر الثاني** : الطرق الصوفية .
- **المصـــــدر الثالث** : الدعاة الجدد ، وشيوخ الفضائيات .
- **المصـــــدر الرابع** : الخطاب الصادر من الجمعيات الإسلامية مثل جماعة أنصار السنة المحمدية، وجماعة التبليغ، والجمعية الشرعية وغيرهم.

ويختلف الخطاب الديني ويتنوع باختلاف الموجه إليهم الخطاب، تبعًا لمستواهم الفكري، وتبعًا لموضوع الخطاب ذاته ومكانه وزمانه وتبعًا للواقع الاجتماعي المُعاش، فهناك عدة أنماط وصور للإسلام في المجتمع المصري المعاصر وهي:

- **النمــط الأول** : الإسلام الرسمي والذي يمثله الأزهر ووزارة الأوقاف.
- **النمـط الثاني** : الإسلام الصوفي ويتمثل في الطرق الصوفية .
- **النمـط الثالث** : الإسلام السياسي وهو المرتبط بالجماعات الإسلامية .
- **النمط الرابع** : الإسلام كما يقدمه الدعاة الجدد من منابر مختلفة تأتي في مقدمتها البرامج الدينية في الفضائيات .
- **النمط الخامس** : الإسلام الشعبي، وهو الإسلام كما يفهمه عوام الناس وتعكسه ممارساتهم[١].

وفيما يتعلق بأنواع الخطاب الديني فهناك عدة خطابات تتعلق بـ:

١ . الأحكام الفقهية

٢ . المنحنى السلوكي والتربوي

(١) د. نجلاء محمود المصيلحي، الخطاب الإسلامي والتنمية في المجتمع المصري، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠٠٩ ، ص ٢١، ٢٢.

٣. المنحنى الفكري

٤. العقيدة

وهناك تصنيفات أخرى للخطاب تبعًا لأسلوبه وهي:

* **خطاب الإشادة** : وهو خطاب تمجيدي استلابي، مُغرق في الذاتية، يميل إلى تغييب الأسس المنطقية العامة، فيعلن عن تمذهبه في لغته أو مرجعيته أو مصطلحاته.

* **خطاب الإدانة** : خطاب تفنيدي/ استفزازي، لُغته مناهضة، تقريعية، تهكمية.

* **خطاب المراوحة** : هذا الخطاب يقف إزاء المثير متجملاً في موقفين : إدانة – إشادة في آن واحد، وبذلك يُعلن وصايته على هذا المثير ويمارس وصايته هذه دون أن يُعوّل كثيراً على مدى أحقيته في تسلم مرتبة الوصاية عليه فهو يتملكه أولاً ثم يمضي في تشكيله وتفكيكه حسب ما يرى.

وقسّم البعض الخطاب الديني السائد في هذا العصر إلى [1] :

أولاً : خطاب التشدد والغلو

ومن معالمه :

- الأخذ بظواهر النصوص.
- الميل إلى الترهيب والتخويف .
- التركيز على المحرمات والتوسع في دائرة التحريم دون سند شرعي.
- رفض التجديد في لغة وأسلوب الخطاب الديني لاعتبار أن التجديد بدعة.

(١) الخطاب الديني كما تعكسه البرامج الدينية الموجهة باللغة الإنجليزية في القنوات الفضائية العربية ، م س ، ص ٢١٦ – ٢١٨ بتصرف بسيط .

ثانياً: خطاب الوسطية الإسلامية

ومن معالمه :

- الاعتماد على القرآن والسنة مصدراً رئيسياً للتشريع مع الإجماع والقياس والاستصحاب والمصالح المرسلة.
- الجمع بين الترغيب والترهيب.
- التوازن بين المباحات والمحرمات بالأدلة الشرعية .
- الأخذ من الجوانب المشرقة للنموذج الحضاري الغربي بما يتوافق مع روح الشريعة.

ثالثاً : خطاب الانفلات والتغريب

ومن معالمه :

- الاعتماد على النصوص الضعيفة أو عدم الاعتماد على نص فلا يتخذ الدين مرجعية في كل شيء واستبداله بالعقل البشري.
- رفض الترهيب تماماً والتوسع في الترغيب بصورة مغلوطة.
- التوسع في الإباحة دون أساس أو دليل.
- اعتماد الغرب نموذجاً وقدوة بإيجابياته وسلبياته في كل شؤون الحياة .

وهناك تقسيم آخر للخطاب الديني محصور في نوعين هما[1]:

١ . الخطاب الاستيعابي المعتدل :

حيث يشكل الخطاب الأيدلوجي والسياسي لمؤسس حركة الإخوان المسلمين ومرشدها الأول حسن البنا أساس النظرية الاستيعابية المعتدلة لمفهوم حاكمية الله ، وهذا من الوجهة الكلامية والسياسية .

---

(١) د. أحمد الموصلي، موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي إيران وتركيا، (مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ٢٠٠٤ بيروت) ص ٨٥، ١٠٦ .

٢. الخطابات الاستبعادية المتشددة :

حيث يمكن اعتبار خطاب سيد قطب في الوطن العربي الخطاب المؤسس للاستبعادية المتشددة عند الإسلاميين المعاصرين .. فقد كان سيد قطب أول رواد الاستبعادية الاستئصالية وأول ضحاياها.

ومن العرض السابق لأنواع الخطاب الديني نرى أنه يمكننا تقسيم الخطاب الديني إلى نوعين هما:

أولاً : الخطاب الغيبي التغييبي

حيث يقوم على :

١. القصص التراثية ويعتمد أساساً على الأمور الغيبية الترهيبية من عذاب القبر وأهوال يوم القيامة وقصص أهل جهنم وأهل الجنة .
٢. ومن ناحية أخرى يهتم بالعبادات من صلاة وصيام وزواج وفي مجمله ينبذ المرأة ويرى فيها أساس الشرور وأنها أكثر أهل النار وأنها أيضاً من أسباب الفتنة ومصدر الغواية للرجال.
٣. وهذا الخطاب انسحابي في مضمونه ينبذ الدنيا ويُحبذ الآخرة .
٤. ينبذ المخالف سواء أكان في الدين أو المذهب، ولا يعترف بالتعددية في أي شيء سواء في أمور الدنيا أو الفقه ويكثر من الخطاب التكفيري، متشدد في آرائه وفتاواه.
٥. وهو خطاب سلبي يجعل الفرد غير قادر على تغيير أي من أمور الدنيا فالسياسة مَهلكة ومُهلكة، ومُخالفة أُولي الأمر حرام.
٦. وشعاره : ليس في الإمكان أفضل مما كان وما نحن فيه ابتلاء من الله لذنوبنا الكثيرة ومهما فعلنا فلن نصل إلى عظمة السلف الصالح وعلينا بأنفسنا ولنحاول أن نقترب قدر الإمكان من سلفنا الصالح، ولنصبر على الدنيا فالجزاء في الآخرة.

٧. يقف عند حدود الماضي واجتهادات السلف لا يتعداها وهو بذلك منفصل عن التطورات الحادثة في الحياة وينظر إلى الماضي فقط ويحاول تطويع حلول القدماء للمشكلات المستحدثة.

ثانياً : الخطاب الواقعي التنويري

حيث يقوم على :

١. طرح مشكلات الحياة اليومية بأسلوب بسيط بلا ابتذال أو إسفاف وبلغة مفهومة خالية من التقعر اللغوي، ويحاول أن يطرح حلولاً لهذه المشكلات - قد نتفق أو نختلف مع هذه الحلول - ويربط الإنسان أكثر بواقعه ويُبصره بحقوقه وواجباته.

٢. يحترم الإنسان أياً كان جنسه أو ديانته، يحترم المرأة ويراها نصف المجتمع وشقيقة الرجل لها ما له وعليها ما عليه في الحقوق السياسية والاجتماعية ولا ميزة للرجل عليها في هذه المجالات، حيث أن الإسلام لم يفرق بين الرجل والمرأة في أوامره ونواهيه.

٣. ينبذ الكراهية والفُرقة ، ويحترم التعدد والاختلاف ويراه ميزة وحكمة ربانية أقرها الله حيث قال تعالى في كتابه الكريم ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾[1].

٤. وهذا الخطاب لا يمانع من الاشتراك في السياسة وممارستها، فالسياسة هدفها خدمة الناس والارتقاء بهم وتسهيل أمور معيشتهم.

٥. وهذا النوع من الخطاب يدعو الناس إلى الانغماس في الدنيا والعمل أيضاً من أجل الآخرة مستلهمين قول الرسول ﷺ "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً".

---

(١) هود : ١١٨.

٦. لا يمانع في الاجتهاد ولا يحجر على المجتهد لمن تتوفر فيه الشروط من علم وفقه وإلمام باللغة وأسرارها، لا ينبذ آراء القدامى بل يتعلم منها ما ينفعه ويبني عليها حلوله لمستجدات الحياة يوماً بعد يوم ويضع أمام عينيه أنه "من اجتهد وأصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر".

ومما سبق يتضح تعدد أنواع الخطاب الديني بحسب وجهة النظر التي يطرحها الباحث وحسب اتجاهاته وكذلك يتأثر طبقاً لحالة الموجه إليهم الخطاب تبعًا لمستواهم الفكري، وتبعًا لموضوع الخطاب ذاته ومكانه وزمانه.

ورغم تعدد أنواع الخطاب الديني وتشعبها فلنا عليه ملاحظات ألا وهي :

١. خطاب عشوائي : أي عدم خضوعه لأية خطة أو استراتيجية تنموية ينهض بها المجتمع المعاصر، فهو خطاب عشوائي تحت الطلب يجاري الأحداث لا يصنعها، ينتظر وقوع مشكلة أو حادثة كي يُدلي منتجي الخطاب بدلوهم بدلاً من التحذير المبكر ومحاولة منع وقوع المشكلة من جذورها.

٢. غير مستقل وانتقائي : حيث أغلب منتجي الخطاب يتحسس بوصلة السلطة – أية سلطة – واتجاهات العامة قبل أن يتحدث وفي تراثنا الفقهي الكثير والكثير من الآراء في المسألة الواحدة فيقوم هؤلاء باختيار رأي ما يتوافق ويُلائم اتجاهات السلطة أولاً والعامة ثانياً أي أن يكون الخطاب انتقائي كيلا يصطدم مُنتجه بأي من الطرفين .

٣. غير مباشر ومُراوغ : أي يمتاز منتجو هذا الخطاب بعدم المباشرة والمراوغة في طرح الإجابات على الأسئلة المطروحة عليه، بل يظل يدور حولها ويتفرع لأمور هامشية ويطول به الوقت وينتهي الخطاب وعند التأمل نجد عدم وجود إجابة عن السؤال المطروح وإن وُجدت إجابة فهي لا تسمن ولا تغني من جوع.

توأم التفكير والتكفير

يتصدر الساحة مشايخ من ذوي الثقافة الضّحلة والقشرية، أتوا بآراء قاطعة في مسائل خلافية، نذروا عُمرهم للشكليات الدينية - تقصير ثوب، لحية، نقاب.. إلخ - وركزوا عليها بدلاً من تعميق جوهر الإسلام من تسامح وتعاون وعمل. شغلوا العقول بالشكل لا الجوهر بالفروع لا بالأصول، انشغلوا بعذاب القبر وعلامات الساعة بدلاً من بث الأمل في النفوس المُنهكة والمُنتَهَكة أمام ضغوط الحياة، هيَّجوا الجماهير وقادوهم ضد رواية هنا أو فيلم هناك وعمت أبصارهم عن البطالة والعنوسة والعشوائية وقضايا التعذيب في السجون والمعتقلات ووسائل المواصلات! ومشكلات السكن.

بعضهم يخاطب الأحياء بلسان الأموات، فهو لا يعيش في عصره بالمرة ولا يحس بما تَمور به الدنيا من حوله، ثقافته كلها قديمة، وعالمه كله قديم والمشكلات التي يتحدث بها قد هجرت فهو محسوب على القرن الخامس عشر الهجري"[1].

تصيّدوا إهانات الغرب - الكافر حسب وجهة نظرهم - للإسلام والمسلمين وتجاهلوا إهانات المسلمين أنفسهم للإسلام وتجنيهم عليه، أيهم أخطر على الإسلام، رسم كاريكاتوري في مجلة ضيقة الانتشار أم مُوالسة حاكم ظالم؟

أيُّهم أكثر خطورة : إعانة المُفسد والفاسد بالسكوت على تصرفاته، أم منع دولة أجنبية للحجاب؟ أيَرضى رسول الله ﷺ لو كان بيننا الآن بما نحن فيه من فرقة وافتراق؟ أكان يرضيه اهتمامنا بفروع الدين وسفائف الأمور على حساب الأصول؟!

لم يستطع أي منهم أن يأتي برأي ما أو اجتهاد ما لمشكلة - أية مُشكلة - ولو سُئل أحدهم يوماً سؤال لغاص في بطون الكتب التراثية وبحث عن الإجابة وأطرب سمعنا بإجابته أو بمعنى أدق ما عثر عليه، وبقداسة ما تجب أن تكون لنص غير القرآن

(١) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ، م س ، ص٤٠.

الكريم أسبغها على آراء من سبقوه، " لقد خصُّوا الموتى بمهمة التفكير للأحياء حتى ولو كان تفكيرهم هذا قد ارتبط بأحكام تخلفت شروط أعمالها أو بعادات تغيَّرت أو أعراف تبدلت .. مما هو كثير في الفروع المتعلقة بالمتغيرات الدنيوية في سياسة الدول تنظيم المجتمعات وتنمية العمران[1] " كما يقول د. محمد عمارة.

ويقتات هذا الشيخ أو ذاك من هذه الأفكار، وغاية جهده الاعتماد على سلطة السلف والتراث في فرض آرائه على أتباعه، ولو تجرأ أحد على مخالفة رأيه لسلّط سيف السلف على رقبته، في تهديد مُبطّن معناه : أتجرؤ على قولك هذا ؟ .. أتترك أقوال السلف الصالح؟ أين أنت منهم .. أين أنت من صلاحهم وتقواهم ونقاء سَريرتهم ؟! عُد إلى رشدك واستغفر ربك .. وبصوت تملؤه التقوى والورع يستغفر الله وأمام ذلك المشهد لا يستطيع الكثير أن يستمر ويتمسك برأيه، فيتنازل عنه ويُؤمِن على رأي الشيخ فهو الأدرى والأعلم، ولو وُجد الشخص الذي استطاع أن يُفحم مُحدثه بأدلة وبراهين تدحض أدلة وبراهين مُحدثِهِ، فلن يَسلَم من الغوغاء الذين يُسيرهم مشايخهم كالمنومين مغناطيسياً ، فهم يأخذون كل كلماتهم ويطبقونها بلا أدنى تفكير، فإذا قال الشيخ لهم : هذا فاسق أو خارج عن الملة لصدقوه على الفور فالشيخ أعلم منهم، وإذا قال الشيخ هذا يسب الصحابة والسلف الصالح فهو صادق، وإذا قال لهم هـذا يُنكر الحديث الشريف لقامت القيامة، فهل هناك مؤمن لا يؤمن بكلام رسول الله ﷺ وويلٌ لمن يقع تحت مقصلة العامة الويل له.

ويجب هنا التنبيه على أننا لا ندعو إلى ترك كتب القدماء واجتهاداتهم حيث أن "النظر في كتب القدماء واجب بالشرع إذ كان مغزاهم في كتبهم ومقصدهم هو المقصد الذي حثنا الشرع عليه"[2]. كما أن الدعوة إلى عدم الاعتماد الكلي على تراث

(١) د . محمد عمارة، النص الإسلامي بين التاريخية والاجتهاد والجمود ، (ط . نهضة مصر)، ص ١٧.

(٢) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، ابن رشد، تحقيق د. محمد عمارة .. ط دار المعارف، ص ٢٨.

السلف في جوهرها الدعوة إلى الاجتهاد والعودة إليه من جديد لكيلا يكون هناك انفصال بين ما هو موجود في القرآن الكريم وما يستجد في العصر الحديث. فألا توجد هناك إساءة للإسلام إذا تخلف عن العصر ومستجداته؟

أليس في تحجرنا عند آراء من سبقونا منذ قرون وتقديسنا لآرائهم ومن ثَم لهم شخصيًا إساءة للإسلام ؟

ولنعلم أن "العلم عند السلف من علماء الأمة ليس هو مجرد معرفة الأحكام، وإن كان عن طريق تقليد الغير، وتبني قوله ولو لم تكن له حجة مقنعة، فهو يعرف الحق بالرجال، ويتبع الأشخاص بالأدلة. العلم عندهم هو العلم الاستقلالي، الذي يتبع فيه الحجة، ولا يبالي أوافق زيدًا أو عمرًا من الناس، فهو يسير مع الدليل حيث سار، ويدور مع الحق الذي يقتنع به حيث دار"(١).

فعند الحديث عن خطاب هؤلاء نُلاحظ أننا : صرنا نتعامل مع مدرسة كاملة في الدعوة الإسلامية تتربى وتتكلم في عُزلة عن قضايا مجتمعها الحقيقية، وهؤلاء الدعاة لا يُستفزون إلا عندما يكون هناك شك في أي مساس بأمور الاعتقاد، ولا نسمع لهم صوتًا عندما تنتهك حقوق الناس أو تنهب أموال الفقراء أو تسود المجتمع قيم التراخي والكسل والإسراف والمحسوبية ولا أحد منهم يشير إلى أن اعتماد البلد في خبزه على الاستيراد من الخارج منكرًا واجب التغيير، أو أن إهدار المال العام إثمًا(٢).

ونتغافل عن قصد وجهل أن من أهم أسس نهضة المسلمين : التعود على استعمال العقل، واستبعاد مظاهر الشعوذة، والتفسير الغيبي للأحداث، واللجوء إلى غير قوة العقل وقوة الوحي في تفسير أحداث الحياة(٣)، وأن إبعاد العقل أدى إلى الجمود

(١) في فقه الأولويات ، (مكتبة وهبة) ، م س ، ص ٧١.

(٢) تزييف وعي الشباب ، م س ، ص ٤٤ ، ٤٥.

(٣) التجديد والحفاظ على الهوية الإسلامية ، م س ، ص ٢٣٣.

الفكري وعدم التجديد والاجتهاد، وهذا مُخالف لما ورد في القرآن الكريم بمعانٍ متعددة ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾[1] وهذه دعوة صريحة لاستخدام العقل لا تركه وتعطيله كما يحدث ويُدعى إليه تصريحًا وتلميحًا اليوم.

لقد فتح الإسلام للعلماء باب الاجتهاد في الدين، فأعطى للعقل سُلطانه على دليل النقل، يستنبط منه ما شاء من أحكام الدنيا والآخرة، ويدخل فيه ما يلزم من التخصيص والتعميم، .... حتى يُهيئه للحكم الذي يؤدي إلى ما اتفقا فيه من الغاية، وهو سعادة الناس في دنياهم وأخراهم، وحتى لا يكون على الناس حرج في الدين، لأن الدين يسر لا عسر[2].

واليوم أصبح التفكير هو الاستثناء، وأصبح أية محاولة للتفكير واستخدام العقل قد تجر الهلاك على أصحابها، ويكون التكفير وما يتبعه من أحكام هو السلاح المستخدم ضد أي اجتهاد ما، أو رأي مُخالف للرأي السائد، أو أية دعوة للتجديد، ولذا كانت حالنا الراهنة هى الحالة المُثلى لمجتمع أُرهب فيه العقل باسم الحفاظ على الهوية والدين، وُئدت الحريات العلمية باسم الحفاظ على المجتمع والشباب من بلبلة الأفكار، رغم أن كل ما يَدخل في باب الحرية الفكرية في مأمن من العقاب الدنيوي، لأنه يجب فتحه على مصراعيه، إذ لا يخشى على المجتمع منه، وإنما يقصده رواد الخير للإنسانية، ليصلوا بأفكارهم إلى ما فيه سعادتها دنيا وآخرة، فإن أصابوا فبفضل من الله، وإذا وقعوا في خطأ كانوا معذورين فيه ولا يصح عقابهم بشيء عليه[3]، وبذلك التعسف ضد التفكير والعقل ساعد هؤلاء المُتفيقهين الحكام على البطش بمن

(١) النساء : ٨٢ .

(٢) عبد المتعال الصعيدي ، حرية الفكر في الإسلام ، (ط مكتبة الأسرة ٢٠٠٩) ، ص ٣٠.

(٣) حرية الفكر في الإسلام ، م س ، ص١٢ .

يخالفهم الرأي باسم المصلحة العامة، وجعلوا آراءهم هي الدين والدين هو آراءهم، منحوا صكوك البراءة والتوبة والغفران لكل من يحتذي بخطاهم والتي هي الخطى الصحيحة المطابقة للإسلام وفي الحقيقة الإسلام منهم بريء.

ومعضلة الصورة السلفية هى إيمانها بوحدانية المعنى والمغزى لكل شيء، وإلى جانب قدرتها على إبطال التجريب لما للتجريب من أثر في إيقاظ الرغبة في التغيير فتصبح الحياة فقيرة في التصورات وعنيفة على الناس، ويجعل السكان واجمين وخائفين حتى على أحلامهم وتصوراتهم الإنسانية البريئة(١).

وعلى هذا فالعقل السلفي إذن مكبوح الجماح مردود الشطط لا ينتج العلم بل هو صديق له فقط يبحث في أسرار الكون ولكن مع احترام الحقائق الثابتة " إنه " عقل الماضي، لا، بل العقل السني الذي ردع وكبح مسيرة نهضة الماضي التي شيدها عقل المعتزلة والفلاسفة والعلماء كما يذهب إليه د. عابد الجابري(٢).

يؤمن السلفيون بالنص .. حيث " حَدّ السلفيون من سلطان العقل في القضايا الدينية وهذا النهج برغم خطورته وخشية أن يؤدي إلى الجمود فقد اضطر السلفيون إلى مسايرته اضطراراً بعد الشطحات والانزلاقات الكثيرة التي تردى فيها المعتزلة نتيجة إخضاعهم كل أمور الدين للعقل(٣).

فهم لا يؤمنون بالعقل لأنه يضل ولكن يؤمنون بالنصوص وبالأدلة التي يومئ إليها النص لأنه وحي أوحي به إلى النبي ﷺ(٤).

---

(١) معالم الصراع المدني في مطلع القرن الواحد والعشرين ، م س ، ص ١٣٣ .

(٢) الخطاب العربي المعاصر، م س، ص ٤٠ .

(٣) د. مصطفى الشكعة ، إسلام بلا مذاهب ،(الدار المصرية اللبنانية ط ١٨) ، ص ٤٩٤ .

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية ، م س ، ص ١٧٩ .

والمُلاحظ وجود سمات مشتركة بين الخطاب الديني المعاصر للفقهاء والوعاظ والدعاة تتلخص فيما يلي:

١. التوحيد بين الفكر والدين وإلغاء المسافات بين الذات والموضوع.
٢. تفسير الظواهر كلها بردها إلى مبدأ أو علة، وتستوي في ذلك الظواهر الاجتماعية أو الطبيعية .
٣. الاعتماد على سلطة السلف أو التراث وذلك بعد تحويل النصوص التراثية – وبعضها نصوص ثانوية – إلى نصوص أولية تتمتع بقدر هائل من القداسة لا تقل – في كثير من الأحوال – عن النصوص الأصلية .
٤. اليقين الذهني والحسم الفكري "القطعى" ورفض أي خلاف فكري .
٥. إهدار البعد التاريخي وتجاهله(١).

أما المتدينون الجُدد وهم جمهور هؤلاء الدعاة فيمكن أن نضع بعض الملامح الفكرية المشتركة التي تجمعهم ويتشاركون فيها إجمالاً بنسب متفاوتة حسب مدى تدينهم كالتالي(٢):

أولاً: أنهم يعتقدون، باطمئنان كامل، أن الإسلام طبعة واحدة وقول واحد ورؤية واحدة للعالم.. كل ما يخالف رأيهم ليس من الإسلام فى شيء. وكل من يخالف رأيهم إما جاهل أو منحل أو متآمر على الإسلام لحساب جهات أجنبية.

ثانياً: أنهم يتوقعون منك أن توافق على حبسهم للمرأة خلف النقاب، أو على الأقل تمتنع عن الاعتراض، أما إذا اعترضت فسوف يتهمونك فوراً بالترويج للعُرى والإباحية.. إنهم يعتبرون النقاب المقابل الوحيد للانحلال..

---

(١) د.نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، (سينا للنشر)، ص ٦٧.

(٢) د. علاء الأسواني ، جريدة الشروق ، بتاريخ ٢٧ يوليو ٢٠٠٩ .

ثالثاً: إنهم يُمارسون نوعاً من التدين لا يعتمد على تجربة روحية ذاتية بقدر ما يعتمد على المقارنة والتميز.. فالطريق إلى الفضيلة الدينية عندهم لا يمر بتدريب النفس على الإحسان وكبت الشهوات وإنما يتحقق أكثر بإبراز تفوقهم الدينى على الآخرين، وهم يكتسبون من اختلافهم قوة نفسية تؤدى بهم إلى الاستعلاء والغطرسة.. فهم وحدهم المتدينون الحقيقيون، العارفون بأحكام الدين وحكمته .

رابعاً: أن ثقافتهم الدينية سمعية وليست مقروءة، يستمدونها غالباً من القنوات الفضائية، المدعومة بأموال النفط ، التى تعمل على نشر الأفكار السلفية الوهابية.

خامساً: الدين عندهم عملية إجرائية لها خطوات محددة، لا تتعدى أبداً الشكل والعبادات؛ وبالتالى فإن هؤلاء المتدينين لا يجدون أى تناقض بين إهانة الناس ونقائهم الدينى .

أخيراً، فإن أخطر ما فى هذا التدين الناقص **فصله التام للخاص عن العام**. بمعنى أن السلوك الشخصي شيء ويحاولون دائماً أن يتوافق مع الشرع أما الممارسات العامة شيء آخر أي أن هناك نوع من الازدواجية لدى هؤلاء الأشخاص.

وبتلك الملامح لهؤلاء المتدينين الجدد نستطيع أن نتخيل حجم الكارثة التي يقدم عليها مجتمع هذه هي طريقة تفكير شبابه ومراهقيه فكيف الحال عندما يصلون إلى موقع سلطة ومسؤولية وكيف الحال بذرياتهم وما هو المنتظر من عقول لا تعترف بتعدد الآراء والمشارب والاتجاهات والميول والطباع وكل ذلك من سمات الحياة يقول الله تعالى : ﴿ **وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾[1].

(١) هود : ١١٨.

كيف سيكون المستقبل ببشر لا يُؤمن بالاختلاف سواء الفكري أو الديني أو النفسي؟

كيف ستكون الحال مع بشر لا يقرأ، وثقافته سمعية، يُؤمن بالشخص لا بالفكرة والمبدأ، يُقدس شيخه ويتماهى معه، يؤله السلف وكلامهم وآراءهم واجتهاداتهم لا تقل عنده قداسة عن قداسته للنص القرآني؟

كيف تستقيم الحياة مع بشر المرأة عندهم كائن غواية ليست مصدر ثقة، لا يؤمن بوجود دور لها خارج بيتها مملكتها وحصنها وملاذها حياتها ومماتها فيه، ليس لها كيان خارج كيان زوجها، لا راد لسلطته ولو بطش وظلم وفجر، لا تمتنع عنه مهما تكبّر وطغى، لا بد أن تكون طوع يمينه في أي وقت، لا بد أن تسعى دوماً إلى إرضائه ولا تُغمض عينيها إلاّ وزوجها راضٍ عنها حتى لا تلعنها الملائكة حتى تُصبح، لا حقوق لها ولا ضمانات تحميها سوى بضع كلمات تُقال باستعطاف للزوج واستشهادات بالرسول ﷺ **"واستوصوا بالنساء خيرًا"** وكل هذا لا يقف أمام الحقوق والسلطات المطلقة والتي أعطتها مئات الآلاف من الصفحات خلّفها التراث الفقهي عبر القرون كلها تؤيد وتؤكد سلطات الزوج مهما كانت تصرفاته نحو زوجته من إهانة وقسوة وعنف وإهمال حتى في أبسط قواعد النظافة الشخصية، فقد ورد عن عبد الله بن أبي أوفى، أنه قال " قال : رسول الله ﷺ **"والذي نفس محمد بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه!!" والقتب هو ما يوضع على ظهر البعير** (رواه أحمد وابن ماجه)، وعلامات التعجب من عندي.

وتأكيدًا .. فإن إلغاء التفكير والاعتماد المطلق على تراث من سبقونا- مهما بلغت عظمته وقيمة أصحابه – يخالف توجيهات القرآن لنا فالله تعالى طلب منا في أكثر من موضع أن نتفكر، ونعقل، وننظر، ونتأمل، ولا نركن إلى التقليد، وتقديس أفكار من سبقونا مهما علا شأنهم.

وعدم النظر إلى البعد التاريخي ومحاولة بناء حكم مستقبلي على حادثة – قد تتشابه معها أو لا – وقعت منذ قرون يخالف القرآن يقول تعالى في أكثر من موضع : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾[1]،﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[2]، ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[3]، ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴾[4].

ألا نفهم من الآيات السابقة وغيرها الكثير في القرآن الكريم أمر الله لنا بإعمال العقل والتدبر بدلاً من التقليد والاتباع في كل صغيرة وكبيرة كما أن الأصل الأول للإسلام هو النظر العقلي لتحصيل الإيمان فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي..[5]، وأيضاً يعد التفكير قيمة من القيم التي حرص الإسلام على العناية بها والاهتمام بأمرها وتوفير كل الظروف الملائمة لجعلها واقعًا بين الناس[6].

والرسول الكريم ﷺ يأمرنا بأن يكون لنا شخصية مستقلة ونعمل على استخدام مَلكاتنا التي خلقنا الله بها ونعمل على استخدام عقلنا في البحث عن حلول جديدة لمشكلاتنا بدلاً من الركون إلى السابقين في حل مشكلاتنا، يقول الرسول الكريم **"لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنّا وإن ظَلموا ظَلمنا ولكن وطّنُوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تُحسنوا وإن أساءوا فلا تَظلِمُوا"**[7].

---

(١) يونس : ١٠١.

(٢) الأعراف : ١٨٥.

(٣) الذاريات : ٢١ .

(٤) الروم : ٨ .

(٥) محمد عبده ، الإسلام بين العلم والمدنية ، دار المدى، ص ٧٦.

(٦) د. محمود حمدي زقزوق ، الدين والفلسفة والتنوير ، سلسلة اقرأ ، ص ٤٠.

(٧) رواه الترمذي .. حديث رقم ٢٠٧٥ .. وعلق عليه قائلاً "هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه".

ومن نعم الإسلام على العقل المسلم أنه لم يحظر عليه الاجتهاد في ميدان يستطيع الاجتهاد فيه.. فباستثناء الغيب وما لا يستطيع العقل أن يفقه كنهه أو يستقل بإدراكه فتح الإسلام أمام العقل المسلم آفاق الاجتهاد.. ففي النصوص قطعية الدلالة والثبوت هناك اجتهاد في فهمها، وفي تقعيد(*) وتقنين أحكامها، وفي تنزيل هذه الأحكام على الواقع، وفي تقرير مدى توافر شروط إعمال هذه الأحكام.. وفي النصوص ظنية الدلالة هناك اجتهاد في دلالتها.. وفي النصوص ظنية الثبوت، هناك اجتهاد في ثبوتها.. أما ما لا نص فيه، فأبواب الاجتهاد فيه مفتوحة لقياس أحكامه على غيره مما فيه أحكام نصية وبينهما علاقات(1).

وهذا هو ما يعجز عن فهمه واستيعابه واستخلاص نتائج منه الكثير من المعاصرين تحت سطوة قداسة القديم من تراث السلف.

* * *

(*) أي تحويل النصوص العامة إلى قواعد تفصيلية.

(1) د. محمد عمارة، هل الإسلام هو الحل ؟ ، ط الشروق ، ص ٥٨.

الفصل الثاني

الدين الحالي في مصر

(١)

انتشرت مظاهر التديُّن في كل مظاهر الحياة في المجتمع المصري المعاصر بدءًا من أسماء المحلات التي أخذت أسماء دينية مثل : التقوى والإيمان والتوحيد والبركة والميضأة و .. و.. . ، ورغم فتاوى عدم تحريم الغناء لم يخل الأمر أيضاً من الغناء المباح - الديني - الذي أصبح صيحة العصر الحالى، ويجذب الكثير من الشباب كما أصبح ملجئاً لبعض المطربين الذين قرؤوا الساحة الشبابية ووجدوا أن الفرصة أمامهم لو استبدلوا الغناء العاطفي بالديني بعد أن فشلوا في إثبات أنفسهم كمطربين وتحوَل بعضهم إلى مُنشدين مواكبةً لحالة التدين الحالي. وقد كان الرائد في مجال الأغنية الدينية المطرب سامي يوسف الذي هبط كالإعطار في سوق الغناء واكتسب أرضية واسعة جعلت الكثيرين يحاولون تقليده والسير على خطاه كي ينالوا نصيباً من كعكة النجاح التي حققها في الأوساط الشبابية وغير الشبابية.

ولا نغفل ما حدث من تطور لزي المرأة حيث وُجد الزي الإسلامي - كما يُسمى - للمرأة العصرية ونعنى به الإسدال بأشكاله المختلفة، وكذلك النقاب الذي ينتشر بسرعة رهيبة بين الفتيات الجامعيات وغير الجامعيات حتى أنه بدأ بالانتشار بين فتيات المعاهد الابتدائية والإعدادية "الأزهرية" في أماكن كثيرة في البلاد. وكان للرجل أيضاً نصيبه من الزي الإسلامي والذي يتمثل في الجلباب الأبيض وقبعة الرأس البيضاء وفوقها الشال الأحمر. وليس آخراً المُلصقات والكُتيبات التي تُوزع

مجاناً أو بأسعار زهيدة للغاية في وسائل المواصلات المختلفة والتجمعات الشبابية والجامعية.

وكذلك المساجد التي أصبح لا تخلو منها أية عمارة سكنية اليوم في أي مكان .. "فمن بنى لله بيتاً بني الله له بيتاً في الجنة" كما يقول المتدينون اليوم، فأصبح الإسلام ضمان للنجاح ووسيلة للربح، والإعفاءات من العوائد في حالة تخصيص الدور الأرضي في العمارة الشاهقة كمصلى للناس ونيل الحسنيين في الدينا والآخرة[1] وأصبحت الأولوية لبناء مسجد[*] عن بناء مدرسة أو مستشفى، وكذلك البذخ في الأفراح "الإسلامية" بديلاً عن إعانة المرضى والأيتام والكثير ممن فتح الله عليه يُداوم على أداء فريضتي الحج والعمرة سنويّاً رغم تكلفتها العالية المبالغ فيها أحياناً كثيرة والبذخ المرافق للفريضة والتمايز الطبقى فيها، ولا يجد في ذلك التصرف غضاضة في مجتمع ارتفعت فيه نسبتا البطالة والعنوسة، وغاب عنا ما يسمى بفقه الأولويات وحاجة المجتمع الفعلية إلى طاقاته بدلاً من تبديدها فيما لا طائل من ورائه حيث لا يقف الإخلال بالأولويات اليوم عند جماهير المسلمين، أو المنحرفين منهم، بل الإخلال واقع من المنتسبين إلى التدين ذاته، لفقدانه الفقه الرشيد، والعلم الصحيح[2].

(١) حسن حنفي، الإحياء الديني كيف يخدم التقدم؟، ورد في مصر في القرن ٢١ تحرير د.أسامة الباز، (مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط ١٩٩٦) ص ١٦٣.

(*) تشير إحدى الدراسات إلى أنه كان يتم بناء ٣ مساجد أهلية يومية في مصر خلال الفترة من ١٩٧٠ - ١٩٨٢ .. حيث أن هذه الزيادة كانت مرتبطة في جانب منها بحجم الإعفاءات الضريبية التى يتمتع بها أصحاب العمارات إذا قاموا ببناء مسجد أسفل عماراتهم. وردت في: الدين والصراع الاجتماعي في مصر.. د. عبد الله شلبي، كتاب الأهالي، ص ٤٤، نقلاً عن محمد أحمد خلف الله (إشراف) مجلد الأنشطة الدينية .

(٢) في فقه الأولويات ، م س ، ص ١٥ .

(٢)

يجوز أن نبدأ الآن حديثنا عن ظاهرة التدين الحالية، والصحوة الدينية الحالية من بعد انتصار أكتوبر ١٩٧٣(**) والطفرة النفطية التي أعقبته في بلاد الخليج العربي وارتحال الملايين من المصريين من جميع التخصصات والمستويات الفكرية والعلمية إليه حيث كان بالنسبة إليهم الكنـز والثروة والنجاة من المشكلات الاقتصادية التي تعاني منها كل الأسر فكان الخليج هو القبلة والأمل لديهم. وكانت فترة السبعينيات هي الفترة الخصبة للتكون والتشكيل للكثيرين من المواطنين باختلاف مستوياتهم المادية والعلمية والاجتماعية في تأصيل لفترة جديدة تهتم بالشكل أكثر من الجوهر.

وبطول إقامة هؤلاء المصريين وبنزعة الإيمان والتدين الطبيعية داخلهم تشربوا رويدًا رويدًا مبادئ الفقه البدوي الوهابي، والذي ترعاه المملكة العربية السعودية – خصوصًا وهي صاحبة أكبر نسبة مصريين بها – وبدأ الاهتمام والتركيز على الشكل لا الجوهر والطقوس الدينية أصبحت هي المعيار على كمال الدين من عدمه ومعياراً للحكم على الشخص من وجهة نظر الكثيرين "وانتشر الإسلام المحافظ الشعائري العقائدي الشكلي العقابي الردعي، وأصبح أداة للضبط الاجتماعي والسيطرة السياسية. الإسلام في الظاهر، والغرائز في الباطن، التشدد على السطح والتسيب في العمق، الصرامة في الشكل والجنس في المضمون وكل ذلك باسم الشرع : تعدد الزوجات، العقود الشرعية، السنة والاقتداء، المباح والحلال. فبيعت فتيات مصر وصغار السن في القرى والنجوع لمشايخ الحجاز والخليج، دفعًا للفقر وتحت ستار الدين[1].

(**) وإن كان الإحياء الديني في المجتمعات الإسلامية المعاصرة يعود إلى مائتي عام مضت عندما وقع أول صدام ثقافي وحضاري مع الغرب وهو ظاهرة غير حديثة كما يقول البعض .. انظر د. رفعت سيد أحمد، تنظيمات الغضب الإسلامي في السبعينيات، مكتبة مدبولي ١٩٨٩ ، ص ٣٧ .

(١) د. حسن حنفي، الإحياء الديني كيف يخدم التقدم، ورد في " مصر في القرن ٢١ " تحرير د.أسامة الباز، (ط الأهرام للترجمة والنشر، ط ١٩٩٦)، ص ١٦٣-١٦٤ .

وبالدعم المادي والعيني، ورعاية من الدولة السعودية للفقه الوهابي سواء بالكتيبات الدينية، والمراكز الدعوية، وبهالة من القداسة لفقهائهم، ورموزهم الدينية، تأثر هؤلاء المُهاجرون - والكثير منهم أصحاب ثقافة محدودة - وأصبحت آراء فقهاء البلاد هي الإسلام الحق والإسلام هو آرائهم فكيفِ لا وهم رُعاة بيت الله الحرام وباقي الأماكن المقدسة.

ومع كل هذا كيف يأتيهم الباطل؟! وهنا يجب أن نُنبه هولاء الذين ينظرون بقداسة إلى النظام الحاكم في الجزيرة العربية وتنزيهه بسبب وجود الأماكن المقدسة على أرضهم – مع العلم أن هذا تشريف لهم ومنحة إلهية لا فضل لأي إنسان كان في وجودها.

وبهذه الرؤية المختلطة برهبة المكان والتاريخ حلَّ الفقهاء السعوديون محل الفقهاء المصريين بعد أن بدأت المؤسسة الدينية في التصدع من وجهة نظر الكثيرين وميلها تجاه السلطة - حسب رأي الكثيرين - وأصبحت مواقفها سياسية أكثر منها فقهية مما جعل الكثيرين ينفضوا عنها في الوقت الذي كان الكثير من علماء الدين المصريين يبحثون على فرصة للارتقاء بمستواهم الاقتصادي للبعض منهم، وآخرون يبحثون عن مكان لنشر أعمالهم. تعددت الوجهات ولكن في النهاية كانت وجهتهم واحدة، مهما تعددت النيات، وقدم البعض فروض الولاء والطاعة لأصحاب الأعمال فلم يجرؤ أحد على مخالفة فتوى صادرة عن المؤسسة الدينية السعودية، ولم نسمع يومًا صوتًا لأيٍّ منهم يُخالف الصوت الرسمي، لم يغرد أحد أبداً خارج السرب.

لذا كانت الفرصة مُهيئة أمامهم للتأثر بتلك الأفكار والتأثير بعد ذلك في غيرهم.

(٣)

وبوجود جيل كامل نشأ تحت هيمنة الفكر السعودي، أثر ذلك تلقائياً في أُسرهم والمحيطين بهم. لذا وجب علينا أولاً التدقيق في حالة ذلك المجتمع الذي أثر علينا كل هذا التأثير وساهم في اختفاء هويتنا الثقافية لصالح هوية سعودية بدوية وهّابية تهتم بالشكل بديلاً عن الجوهر .. نحتفل بالتدين المظهري، ولا نكترث بالتدين السلوكي أو حتى "أعمال القلوب".

ولنعلم أن " أخطر منطقة يبرز فيها التدين من عدمه هي حراك المجتمع وتفاعله مع بعضه حيث تبرز من خلال المعاملة والمعايشة قضاياه المسكوت عنها أو التي يُراد السكوت عنها لما يترتب عليها من آثار أخرى تحتاج إلى حلول صارمة وقوية ومتواصلة[١] " .

وبنظرة متأنية على حال مجتمع يلعب فيه الدين دوراً حيوياً في نشاطاته وتوجهاته وفتاوى شيوخه وتأثيراتها على المقيمين والوافدين نرى أن حالة التدين التى اهتمت بها السلطة وراعتها حالة شكلية وأن رعاية السُلطة للمظاهر الدينية والتركيز على التدين الشكلي والمبالغة والتشدد فيه قد أدت إلى عكس المطلوب منها وهدفها، ومع تطبيق الحدود الإسلامية في النظام القضائي السعودي والتشدد في ذلك ترى ما هي النتيجة ؟ نرى أن حوالي ٩٠٠ طفل سعودي، تتراوح أعمارهم بين ٧ و١٨ عاماً يقضون حالياً عقوبات تعزيرية في الدور الاجتماعية بسبب قضايا المخدرات.

كما بلغت حوادث العنف في إحصائيات حديثة من وزارة الداخلية ما نسبته ٨٢٪ من إجمالي الحوادث عموماً، حيث سجلت الرياض ١٤٠٦ حالات اعتداء في عام ١٤١٨هـ، قبل أن يرتفع العدد إلى ٤٠٠ ٪ خلال سبعة أعوام بعد أن سجل ٤٥٢٨ حالة خلال عام ١٤٢٥هـ. وأن ما نسبته ٣٢ ٪ من طلاب الثانوية لجميع

(١) عبد العزيز آل داود، تحولات التدين في المجتمع السعودي، (دار غيناء للنشر.. الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ =٢٠٠٩ م) ص ٤٢.

المراحل في جدة، وقعوا في ممارسة جنسية خاطئة لمرة واحدة أو أكثر خلال السنوات الثلاث التي سبقت فترة إجراء الدراسة. ٤٦٪ من شباب الرياض وقعوا في ممارسة الشذوذ الجنسي لمرة أو أكثر. **قالت الأستاذة بارعة الزبيدي** إن حوالي ٢٥٪ من الأطفال السعوديين تم الاعتداء جنسياً عليهم خلال مرحلةٍ ما من حياتهم، وإن أكثر من ٩٨٪ من المعتدين كانوا من الأقارب أو الأشخاص الذين يعرفهم الطفل.

والإحصاءات والتقارير الحكومية تشير إلى **أن حوادث التحرش الجنسي تأتي في المرتبة الثالثة من حوادث الاعتداء الأخلاقي في السعودية من حيث العدد**، وكشفت تقارير رسمية عن :

- ضبطها ١٠١٢ متهماً في ٨٣٢ حادثة تحرش عام ١٤٢٤هـ، بتهمة معاكسة النساء، ٨٩٢ من المتهمين من البالغين و١٠٤ من الأحداث.
- وفي السعودية هناك ٧٧٪ من هؤلاء المعتدين "آباء" للأطفال الضحايا، و١١٪ من أقاربهم، وأكثر من ٧٥٪ من المعتدين هم أشخاص معروفون للضحية تربطهم بالطفل علاقة قربى أو معرفة.
- والتحرش الجنسي أحد أنواع هذا الإيذاء. ومعدلات الانتحار في السعودية تقفز إلى ١٨٥٪ خلال ١٢ عاماً حسب إحصائية رسمية حول زيادة نسبة حالات الانتحار أو محاولة الانتحار في السعودية خلال عام ٢٠٠٦.
- تقول سلوى الخطيب في دراسة في ٢٠٠٦ للناجين من الانتحار إن ٩٦ حالة كانت تخص نساء مقابل أربع حالات لرجال، وقالت إن المستشفى الذي تعمل مستشارة به يستقبل شهرياً ١١ امرأة في المتوسط حاولن الانتحار.
- تزايدت معدلات الأمراض النفسية بين شرائح المجتمع كله خلال السنوات الأخيرة، إذ بلغ عدد المراجعات لعيادات الصحة النفسية في السعودية ٦٠ مليون مراجعة خلال عامين فقط. هناك إحصائيات غير رسمية تقول إنّ هروب الفتيات

في مجتمعنا قد وصل إلى مرحلة الظاهرة وإنَّ عدد الهاربات في مدينة جدة بلغ ٣٥٠٠ سنوياً، ومثله في الرياض.[١]

هذا كان جولة خاطفة على المجتمع الراعي الرسمي للدين – من وجهة نظرهم– المُهيمن على الفكر الديني المصري. وفي الحالة المصرية عندما نتأمل المجتمع وما به وما فيه نجد الأمر لا يختلف كثيرًا كمًا أو كيفًا، فصفحات الحوادث تغمرنا يومًا بأحداث عنف شرسة بلا مبرر، وجرائم أخلاقية لم تكن معهودة من قبل حيث أن لهذا الأمر والسلوك أبعاداً سياسية واجتماعية، ونفسية. ومن أهم وأخطر هذه الأسباب وأشملها **"تنامي الفكر الديني الاستقطابي الذي يكفر الآخر أو يُفسقه أو يلغيه ويستعبده"**[٢]

وحيث أن إلغاء التعدد – وهو حكمة ربانية – وسيادة الرأي الواحد، والفكر الواحد، يُؤدي إلى ضيق أفق الفرد، فتقل أمامه الخيارات المتاحة، وعندما يعجز عن إحداث تغيير في الوسط المحيط به، فلا يبقى ..

سوى حل واحد، ووحيد

يكون هو الملاذ الوحيد..

ألا وهو ..

العنف .

(١) الأرقام السابقة من مقال " لِمَ لا نسعى لمجتمع غير منحرف؟ " للكاتب السعودي تركي فيصل الرشيد منشور بصحيفة الوطن السعودية. بتاريخ السبت ٨ شعبان ١٤٢٩هـ ، الموافق ٩ أغسطس ٢٠٠٨م العدد (٢٨٧١) .

(٢) د. محمد المهدي ، جريدة الدستور المصرية .ع ٢٠١ بتاريخ ٢١ يناير ٢٠٠٩.

ملامح المتدينين الجدد

يمكننا تحديد إطار نُعرف فيه المتدينين الجدد على أنهم "جيل مُنطلق يريد تحقيق الأفكار التي اقتنع بها ونشر الآراء التي تبناها مستغلاً الوسائل العصرية كالفضائيات والإنترنت والصحافة والمجلات وتتوافر له كل وسائل الترفيه والمتعة.. وهؤلاء في الغالب هم نتاج فقهاء الرخص والتيسير والتسامح ونتاج ما عرف بالدعاة الجدد"[(١)].

ومن ناحية أخرى يمكننا تعريفهم أيضاً بأنهم "الجيل الذي تربت أفكاره وتأسست رؤيته للدين بناءً على أشرطة الكاسيت والفضائيات الدينية والدروس الدينية التي تُقام في بعض المساجد والكتيبات الدينية التى أصبحت المرجع لهم واتخذوها دليلاً على علمهم وأصبحوا بعد ذلك دُعاة وشعارهم "بلغوا عني ولو آية". وأصبح الكل يدعو إلى سبيل الله وتجرأ الكثير على أمور الفتوى في ظل مرجعية روحية سلفية فضائية هُم في ظل هذه العلاقة الأحادية مُتلقين فقط لا مشاركين.

أي أن هذا الجيل يمتاز ويُميزه عن غيره من الأجيال السابقة عدة أمور وهي :

١. ثقافته سمعية بصفة أساسية.

٢. ليس له جذور عميقة في التدين، أي حديث العهد بالتدين ومعلوماته سطحية.

٣. مندفع في الدعوة والفتوى، لا يجد أدنى حرج في أن يتصدر للفتوى باعتباره داعية.

٤. مرجعيته سلفية فضائية.

٥. لا يعترف بتعدد الآراء في المسألة الواحدة ويرى أن ذلك يؤدي إلى التفرقة والتشتت.

٦. هو دائماً على صواب وغيره دائماً على خطأ.

---

(١) أنور قاسم الخضري، التدين الجديد وأثره في تمرير ثقافة التغريب في مجتمعاتنا
http://www.dorar.net/art/62

كما يُلاحظ على هؤلاء التعصب الشديد للرأي وضيق الصدر تجاه النقد لتصرفاتهم وأعمالهم وهذا ليس خطأ في الدين ولكنه يعود إلى سوء الفهم فالدين قد يكون مصدراً لظهور التعصب نحو بعض الشعوب أو الطوائف. فالمتدين يميل إلى أن يتخذ الدين قناعاً لكل أنواع الأفعال القاسية التي يرتكبها وقد يُصور القناع تعبيرات جميلة لكنه في قرار نفسه يخفي دوافع آثمة.[1]

فالتعصب لدين ما أو فكر ما – أياً كان هذا الدين أو الفكر – له تأثيرات غاية في الخطورة بشأن استقرار المجتمع وأمن الأفراد حيث يتميز هذا الفرد المتعصب بـ:

١ . النزعة الشديدة لتصنيف الأفراد .

٢ . زيادة المسافة الاجتماعية؛ فهو يباعد بين الناس ويؤدي إلى التشاحن والصراع.

٣. ينظر المتعصب إلى ضحاياه على أنهم أقل منه في المكانة وأمور كثيرة أخرى.

٤ . الجمود الخلقي وما يصاحبه من جمود في المعايير العامة[2].

وكل هذه المظاهر نلاحظها على الشباب حديث العهد بالتدين المُنضم إلى إحدى الجماعات الدينية، حيث يرى في انتمائه قوة واستعلاء على غيره من الناس، ويدخل الكبر نفسه أمام إغراءات العبادة والطقوس الدينية التي أصبح يؤديها فرادى أو في جماعات، ويقارن بين حاله – وحال جماعته – وغيره من باقي فئات المجتمع البعيد كل البعد – من وجهة نظره – عن الدين كما يراه فيجد أنه أصبح أفضل منهم وأعلى كعباً وله الحق في تقييمهم والحكم عليهم، وهذه هي الحالة المقدمة والممهدة ليكون هذا الفرد أداة في يد أية جماعات متطرفة قد يقوده حظه العاثر للوصول إليها، فنجد أنفسنا أمام جيل بسبب التعصب للرأي وأُحادية الفكر أدت به اختياراته إلى العنف والخروج عن المجتمع والحكم بتكفيره.

---

(١) سيكلوجية العلاقات بين الجماعات، د. أحمد زايد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد٣٢٦ أبريل ٢٠٠٦، ص.

(٢) سيكلوجية العلاقات بين الجماعات، د. أحمد زايد ، م س ، ص.

مظاهر التدين

وانطلاقًا من الحالة الدينية بين جميع فئات المجتمع فقد بدأ الرجال / الشباب في إطلاق اللحى، والنساء في ارتداء النقاب، وتجاوزهم الأمر لأبعاد تستحق التوقف عندها والتأمل، حيث امتد النقاب إلى الأطفال ما دون العاشرة من عمرهن !![*] ومع تلك المظاهرالدينية الشكلية كان لا بد أن ترمي هذه المظاهر بظلالها على الشباب من الجنسين فهم الشريحة الأكبر في المجتمع، فنرى محاولات الالتزام بالزي الشرعي – من وجهة نظرهم – سواء بارتداء الجلباب القصير – اقتداء برسول الله ويسميه البعض قميصاً كنوع من السفسطة اللغوية وادعاء باتقان اللغة العربية لغة القرآن - أو بارتداء البنطلون القصير مستشهدين بحديث " ما تحت الكعبين فهو في النار".

وفي المقابل نرى الإسدال بين الفتيات من كل الأعمار والمستويات الاجتماعية كعلامة على ألزي الشرعي الإسلامى – تبعًا للفهم المستورد من الجزيرة العربية – ولا بد من النظر إلى القيمة المادية لهذا الزي حيث يقل كثيرًا عن مثيله من زي النساء.. وتتساوى في هذا الزي جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية لدرجة التماهي، فضلاً عن محاولات العديد من الجامعيين – من الجنسين – الخروج من المحاضرات لأداء الصلاة حيث أنه "لا يبارك الله في عمل يلهي عن الصلاة".

ومع التطور التكنولوجي كان لا بد من تطور مماثل في الحالة الدينية وأدواتها، فقد وجدنا العديد من المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت لفرق موسيقية إسلامية والعديد من المواقع الإسلامية والاجتماعية والطب الإسلامي والريجيم

(*) نذكر هنا ما نشر عن زيارة شيخ الأزهر لأحد المعاهد الأزهرية للبنات ووجود طالبة بالصف الأول الإعدادي بالمعهد ترتدي النقاب داخل الفصل مع العلم بأن الفصل كله والمدرسة من البنات وبغض النظر على التفاصيل التي نشرت، فالأمر يشير ويؤكد وصول الفكر الوهابي المتشدد إلى الأطفال وتأثرهم به لتأثر ذويهم بهذا الفكر.

الإسلامي والأطباء النفسيين الذين يقدمون لآلاف المراهقين إرشادات عن الحب والحياة ومشكلات العُذرية على خلفية إسلامية[1].

أي أن هذه الحالة الدينية شكلية فقط، تركز على الشكل دون المضمون، وتضع الشكل معياراً للحكم على الشخص وتقييمه ولا تلتفت إلى مقاصد الإسلام من حقوق أساسية للمواطن، والحاجة إلى العدالة وتساوي الفرص، وحرية التفكير والاختيار.

هوس الأسلمة

الإحياء الديني يظهر "عندما يواجه المجتمع أزمة حضارية لها جوانبها الثقافية والدينية[2]"، فمع حالة التدهور الحضاري للمسلمين عموماً والعرب خصوصاً والشعور بالضعف والتردي وانهيار المشروع القومي كان الدين هو الحل، وأصبحت الشعارات الدينية هي المُحرك للجماهير بدلاً من الشعارات القومية والاشتراكية.

وقد بدأ التيار الديني في مصر عقب هزيمة ١٩٦٧ "صوفياً غيبياً يُعبر عن بحث على المستوى الفردي عن إيمان أو معنى خلاص بالتحول إلى الداخل[3]"، والبعد عن أي شيء يمت إلى الحضارة الغربية بصلة – حيث أنها ساندت إسرائيل– وأمام الانفتاح الذي اكتسح السلوك المصري ساسة ومحكومين كان النكوص والتقوقع في الداخل والعودة إلى التاريخ واستقراء كم كان العرب المسلمون عباقرة، ولهم إسهاماتهم في خدمة البشرية، وكيف أن الحضارة الغربية قامت على أكتاف الآباء العرب المسلمين من علماء كابن سينا والفرابي والحسن ابن الهيثم، وكيف أن العلوم

(١) أسماء فريد الرجال، الدعاة الجدد في مصر، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، ص ١٢.

(٢) د . علي ليلة، الشباب العربي: تأملات في ظواهر الإحياء الديني والعنف، (دار المعارف، ط ٢، ١٩٩٣)، ص ٣٤٨.

(٣) الشباب العربي، م س ، ص ٢٨٥.

أصبحت بعد أن تُنسب إلى العرب - بإسهامات أبنائها سابقاً - تُنسب إلى الغرب الكافر المُلحد المُستعمر، وهذا لا يليق بنا لنكون أحفاد لهؤلاء العلماء العظام فلنكن على غرارهم.

فمع موجة المد الديني الذي تغلغل في المجتمع بصورة لافتة للنظر والذي اهتم بالشكل على حساب الجوهر في كثير من الأحيان، كان لا بد من تغلغل آخر في مجال العلوم الإنسانية والتطبيقية بشكل مُرض - للبعض - ومُوازٍ لما يحدث في المجتمع وأصبحت الأسلمة حالة من "**الهوس**" ينتاب الناس ويدفعهم طبقاً لإيمانهم أن يطلقوا لفظة "الإسلامي" على كل شيء وأي شيء راجين بذلك خدمة الإسلام.

فأصبحت الأذن معتادة على سماع تخصصات جديدة ومصطلحات جديدة لم تعتدها الأذن من قبل مثل: الاقتصاد الإسلامي، والطب الإسلامي، وعلم الاجتماع الإسلامي، وعلم النفس الإسلامي، والفيزياء الإسلامية، والكيمياء الإسلامية وعلم الإدارة الإسلامي، وعلم المحاسبة الإسلامي.

وأصبح لأصحاب تلك التخصصات الكثير من التأثير والتواجد الملحوظ، وأصبحت جملة "من منظور إسلامي" والتي توضع تحت عنوان أي كتاب ضمانة أكيدة لتسويقه، وضمانة لوجود أكثر من طبعة له، في مجتمع أصبح مهووساً بكل شيء ذي صبغة إسلامية / دينية.

ومع هذه الوفرة من المسميات أصبح الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن لأشخاص بأعينهم ، أُفردت لهم الساحة الإعلامية من تليفزيون وجرائد ومجلات وخصصت كبرى الجرائد العربية – الأهرام - صفحة كاملة لأحدهم في سابقة لم يحظ بها من قبل أي مفكر على الإطلاق وذلك في مواكبة للقراء المتعطشين لمثل هذا الخطاب الجديد عليهم.

ولم يقتصر الأمر على الإعجاز العلمي في القرآن فقط ، بل وُجد المتخصصون فيما عُرف كذلك بالإعجاز العلمي في الحديث الشريف وتفرغ العديد من الأطباء لما

أُطلق عليه الطب النبوي، وتحول القرآن الكريم من كتاب هداية إلى كتاب فيزياء وكيمياء وجيلوجيا، وأصبح الغرب – طبقاً لمنهج أصحاب توكيل الإعجاز والأسلمة – مُسخراً من قبل الله تعالى لنا نحن المسلمين فلماذا نُتعب أنفسنا ونرهقها بالبحث والاختراع وإهدار الأموال والغرب بكل علمائه مُسخر لنا لخدمتنا، وكل اختراعاتهم واكتشافاتهم موجودة لدينا في القرآن الكريم، فلِمَ نُرهق أنفسنا ونتعبها ولماذا ننفق أموالنا على البحث العلمي فالأولى لنا الاهتمام ببناء المساجد عن المعامل وعلى هذا يجب علينا إن كُنا مؤمنين ومُوحدين أن نُلغي ما يسمى بكليات الطب والعلوم والهندسة ونُبْدلها بفصول لدراسة مناهج للإعجاز في القرآن والسنة وبهذا المنطق لا داعي لوجود كليات للحقوق فلا يوجد قانون أفضل من الشريعة الإسلامية ليحكُمنا ولماذا نتخلى عنها ونلجأ إلى القوانين الوضعية التي وضعها البشر بديلاً عن المنهج الرباني وكذلك لِمَ الإبقاء أيضاً على كليات الاقتصاد والتجارة وعندنا نحن المسلمين المنهج الاقتصادي الرَّباني واضحًا لا لَبس فيه؟!

نترك ما عندنا من الله لما وضعه إنسان أيُعقل هذا ؟!

وفي هذه الظاهرة يقول د. حسن حنفي إن "التفسير العلمي للقرآن كما يبدو على صفحات الجرائد اليومية تشدق بالعلمية، وتملق لحس الجماهير الديني، ورغبة في مزيد من الشهرة، وتلفيق رخيص"[1].

وعليه فهو ابتزاز وتغييب للعقل المسلم عن الفكر السليم، ويُؤدي به إلى الانسحاب من ميادين الدنيا للآخرة، وهذا مخالف للأوامر القرآنية الصحيحة للمسلم بالسعي في الحياة وتعمير الأرض، فكيف بهذه الأفكار يُعمر الإنسان الأرض، وكيف يخدم دينه ووطنه وهو مُعتمد كليةً على الغرب – الكافر كما يُردد في أحاديثه – وبهذا يجعل أصحاب هذا الفكر المسلم ويدفعونه دفعاً إلى شكل من أشكال الرهبنة حيث ينسحب من الدنيا ويتفرغ للآخرة، ومكمن الخطورة في هذا

(١) د. حسن حنفي، في فكرنا المعاصر، (دار التنوير ط ٢ / ١٩٨٣)، ص ٢٠.

السلوك واضح وفيها مخالفات كثيرة وسلوكيات لا دخل للإسلام بها ومخالفة لصحيح القرآن الكريم، حيث ورد في أكثر من موضع وصيغة الأمر الإلهي ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا ﴾[1].

ومناهج ودعوات الإعجاز هذه تتسلل إلى عقول أبناء هذا الزمان وضمائرهم فيُرسِخ فيها أن القرآن إذا لم يُقدم لهم علوم الطب والتشريح والرياضيات والفلك والفارماكوبيا[*]وأسرار البيلوجيا والإليكترون والذرة .. فليس صالحاً لزماننا ولا جديرًا بأن تستسيغه عقليتنا العلمية ويقبله منطقنا العصري[2].

ويُؤكد البعض أن الإعجاز يُصاحبه إعمال للعقل، حيث أن قضية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة جاءت لتؤكد على وجود الخالق العظيم، ولا ريب أن استنباط هذه الأوجه يحتاج إلى مزيد من التفكير وعصف الذهن، والتخصص الدقيق وكلها أمور تُفعل الاجتهاد والتجديد[3]، ولكن العكس حدث وبالسلبية الواضحة والتواكل المتزايد لدى الجميع عامة وخاصة، والانتشاء بأحاديث الإعجاز أدت إلى ركود الأفكار وعدم التجديد أو الابتكار وتعميق التواكل وتضخيم الذات فكل العلوم والاختراعات عندنا في القرآن والسنة والعَالم بأسره مُسخر لنا فلم نرهق أنفسنا فهناك غيرنا يزرع، ونحن نحصد.

وقد يقول أصحاب هذا الاتجاه بأن ذلك التوجه مطلوب لنُواجه به الغرب الذين لا يعترفون إلا بالعلم، ويقيسون الناس على أساسه، وهذا قول مغلوط، في ظاهره الرحمة وفي باطنة العذاب، فهو بهذا يُؤدي إلى تسويق الإسلام كدين علمي بحت لا كمنهج شامل للحياة.

---

(١) العنكبوت : ٢٠.

(*) أي دستور الصناعة الدوائية .

(٢) د. عائشة عبد الرحمن، القرآن والتفسير العصري ، (سلسلة اقرأ ،عدد ٣٣٥، دار المعارف)، ص ٨.

(٣) التجديد والحفاظ على الهوية الإسلامية ، م س ، ص ٢٣٤.

فبالفعل .. لا يوجد أدنى تعارض بين الإسلام والعلم والكثير من آيات القرآن تُشيد بذلك وتؤكد الاهتمام فيكفي أن أول آيات القرآن كانت ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[1]، وفي فضل العَالم والعلم يقول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[2]. أي أنه لا حاجة إلى هذه الدعوات على تسويق الإسلام وكتابه القرآن ككتاب علم بديلاً عن تسويقه ككتاب هداية ورشاد، فهذه فكرة تُسوق إلى الإقناع بالفكرة السَّامة التى تنأى بأبناء العصر عن معجزة نبي أميّ، بُعث في قوم أميين في عصر كان يركب الناقة والجمل[3].

والسؤال:

أين كان القرآن منا – أو أين كُنّا نحن مِنه – ونحن نُواجه أزماتنا في شتى مناحي الحياة ولماذا ما نحن فيه الآن ؟

والجواب في غاية اليسر والوضوح ..

فبرغم وجود القرآن بين أيدينا كل هذه السنوات، فما زلنا أكثر الشعوب فقرًا وجهلاً وتخلفًا ومرضاً، وما زلنا نستورد العلم والتكنولوجيا من هؤلاء الكفرة ونستخدم الدش والتليفزيون والفيديو والإنترنت – وهي بعض من منجزاتهم – نستغلها للهجوم عليهم وعلى ماديتهم ومُعايرتهم بجهلهم بالإعجاز العلمي، والمشكلة أننا الأفقر والأجهل والأمرض وكل أفاعيل التفضيل المهينة تلك، لأننا لم نتبع الخطوط العريضة التي وضعها لنا القرآن والقيم الرفيعة التي دعا إليها من عدل وحرية وتفكير وتدبر في الكون وسعي وعمل وجد واجتهاد[4].

---

(١) العلق : ١.

(٢) فاطر : ٢٨.

(٣) القرآن والتفسير العصري ، م س ، ص ٧.

(٤) خالد منتصر ، وهم الإعجاز العلمي ، (دار العين للنشر، ط ١، سنة ٢٠٠٥)، ص ٦.

ونتيجة لهوس الأسلمة والتدين الموجودة كان الاهتمام بالعلوم الشرعية على حساب العلوم الدنيوية – التطبيقية والتجريبية – وصاحب ذلك أن بعض شباب الجامعات انشغل عن تخصصه العلمي وهو في حقه فرض عين ليقوم بدراسة جوانب من علوم الشريعة التي تدق على كبار المتخصصين .. فأصبحنا نجد كثيراً من الأطباء والمهندسين والزراعيين .. بل والحرفيين من سباكين ونجارين وخبازين مشغولين بعلوم الجرح والتعديل؟! ومباحث الفقه وأصوله وترجيح دليل على آخر؟!

انصراف هؤلاء عن علومهم وأعمالهم يمكن لأعدائنا التفوق علينا ، ويتركونا أذلاء تابعين لهم .[1] (•).

وبسبب هذه التصرفات والسلوكيات، أصبحت السَّاحة الفكرية الإسلامية مُستباحة من قِبل الكثيرين بشكل أصبح لا يمكن السكوت عليه أو التغاضي عنه، فهل يكفي الاطلاع على عدة كتب للفرد أن يصبح بعدها عالماً ومُفتياً ويناقش – في إسفاف وابتذال وجرأة – كبار العلماء، ويُسفه من علمهم وعملهم ويطعن فيهم ؟ وعند محاولة الرد على دعاواهم ومصدر أقوالهم يقول مُنتشيًا – كمن استطاع أن يُحرر الأقصى أو كمن وجد الحل لأزمات المسلمين المتتالية والمتعددة – عن شيخي فلان أنه قال.. ويبدأ في ذكر سلسلة من الآراء لشيوخه مستقويًا بهم، وفي النهاية نجده حافظاً لآراء ناقلاً لها بلا أدنى فهم أو تفكير حيث أن لشيوخه – وحدهم – العصمة والتقديس وغيرهم مُستباح، ولا كرامة له. ولَيْتَ أنهم أتوا باجتهاد يشفع لهم تصرفاتهم أو وَجدوا حلاً لإحدى المشكلات التي تواجه المسلم المعاصر بصورة

---

(١) عمر عبد الله كامل، المتطرفون خوارج العصر، ص ٧٣، منشور على موقعه الإلكتروني www.okamel.com

(•) وفقاً لبعض التقديرات فإن ٤ من كل ٦ شهادات دكتوراه في السعودية هي في قسم الدراسات الإسلامية، انظر: فؤاد إبراهيم، السلفية الجهادية في السعودية، (دار الساقي، ط ١ – ٢٠٠٩)، ص ١٥٩-١٦٠ .

تتوافق مع روح الشريعة، ولا تتعارض مع العصر، وما فيه من تقدم في كل أوجه الحياة، وضربوا بعرض الحائط آيات القرآن التي تدعو إلى حسن المعاملة والمناقشة مع الغير وكذلك أحاديث النبي الكريم **"بُعثت لأتمَّ مكارم الأخلاق"** ونَفي الرسول الكريم ﷺ عن نفسه أنه **بُعث شتَّام أو لعّان**، تناسوا الكثير من الأحاديث التي أَولُوها الكثير من الوقت والعمر وفُنيت في محرابها العديد من الأجيال والأجيال[١].

ونظرة سريعة على بعض مجالات الأسلمة في العصر الحالي ونتائجها :

أسلمة الاقتصاد والمال

ومع تلك الحالة الدينية الحادثة اليوم عاد الحديث إلى موضوعات أخذت أكثر من حقها من البحث والتحقيق واستنزفت الكثير من وقتنا على مدار التاريخ الفكري الإسلامي مثل فوائد البنوك ومدى حلها وحرمتها. وللأسف فقد استغل مَوجة التدين الكثير من ذوي النفوس الخربة من نصابين ومن على شاكلتهم ، واستغلوا موضوع تحريم البنوك ونسجوا خيوطهم على الناس لاستنزاف أموالهم تحت زعم تشغيلها في معاملات غير ربوية إسلامية وكانت النتيجة الهروب بتلك الأموال في تكرار ممل وسخيف، وإن كان غير رسمي لشركات توظيف الأموال في الثمانينيات وكأن الناس لم تتعلم من تلك التجربة المريرة ولم يكتفوا من الخسارة مرة واحدة، رغم وجود الكثير من فروع المعاملات الإسلامية في البنوك قد ترضي البعض ممن لا يزال بَعدُ مُتشككًا في مدى حِل أو حرمانية البنك، مع ملاحظة أن بعض هذه البنوك تُعلن أنها تحقق أرباحًا هائلة تحت مسمى المعاملات الإسلامية[٢]

(١) للتوسع في هذه النقطة انظر: الشيخ حسن السقاف في كتابه "شتائم الألباني"، منشور ومُتداول على الشبكة العنكبوتية

(٢) فمثلاً بنك دبي الإسلامي حقق أرباحًا قدرها٩٠٢ درهم خلال النصف الأول من عام ٢٠٠٥، مجلة الاقتصاد الإسلامي، (ع٢٩١ يوليو ٢٠٠٥)، ص ٧.

وإن كانت المعاملات المصرفية واحدة تحكمها نفس المبادئ والآليات الاقتصادية سواء أكان البنك إسلامي أو غير إسلامي، حيث ينهج كثير من الباحثين في الاقتصاد الإسلامي نفس منهج البحث في الاقتصاد الوضعي فيستعيرون نفس مُصطلحاته في محاولة لإقامة هيكل اقتصادي إسلامي جديد يتشكل إطاره من هيكل الاقتصاد الوضعي، وفي هذا يحاول هؤلاء الباحثون إيجاد نوع من التوفيق بين ما يقرره الإسلام من أصول، وما يجري في الواقع من أمور هي نتاج منهج أو فكر يختلف بالضرورة عن المنهج أو الفكر الإسلامي، الأمر الذي يؤدي إلى تأويل متعسف، أو إلى التغاضي عن أحكام الشريعة الإسلامية [١].

الاستغلال والتدليس

وفي الحقيقة يجب أن نذكر أن الواقع العملي لما يسمى بالاقتصاد الإسلامي كان ظلاً لسياسة الدولة السياسية والاقتصادية، ولم يَشذ عنها قيد أنملة.

وبالطبع سياسة الدولة لا تنبع من ظروفها الداخلية وإمكانياتها – وهذا ما يجب أن يكون – ولكنها تنبع من الظروف الدولية، والضغوط عليها من قبل الدول الكبرى. فعندما كان النظام اشتراكي فإن الإسلام لا بد أن يتماشى مع الموجة ويخدم السلطة، فأصبحنا نعرف وندرس أن الإسلام اشتراكي صميم، يُؤيد ويحمى حقوق الطبقة العاملة، بديلاً عن النظام الرأسمالي الذي لا يَرحم أية أيدي عاملة، حيث أنه خير مثال على الانتهازية على حساب الفرد، ولذا لم يُعَارض أحد سياسات التأميم وسيطرة الدولة على القطاع الإنتاجي والمالي، فالمال مال الله للجميع وليس لأحد بعينه ويكفينا نحن المسلمين أن كبار الصحابة لم يكن غنياً مثل أبو ذر الغفاري، ألا نقتدي به؟!

(١) ذ. عبد الهادي النجار، الإسلام والاقتصاد، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٦٣ – مارس ١٩٨٣ ، ص ٥.

وعندما تحولت بُوصلة الدولة تجاه الرأسمالية تحول معها الإسلام إلى الرأسمالية حيث أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ولا ضَير من الثروة طالما أخرج صاحبها الزكاة للفقراء، فالمال ليس سُبّة أو نقيصة للرجل يتبرأ منها، فكبار الصحابة كانوا من الأغنياء المُوسرين أمثال عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان والشرع مع التجارة والربح بشرط غلق الأسواق في أوقات الصلاة حيث أنه لا يبارك الله في عمل يُلهي عن الصلاة!

وهكذا استُغل الإسلام حسب الأهواء واستُغلت رُموزه أسوأ استغلال، وانتُهكت مبادئه، وكان مَصدر تأييد وأخذ شرعية من النظم السياسية كلها وكلهم في أوقات الأزمات عَمدوا إلى التستر برداء الدين وعند أول بادرة تحسن يخلعونه كأن لم يكن ويعودوا إلى سيرتهم الأولى.

وفي هذا السياق يؤكد د. جودة عبد الخالق أستاذ الاقتصاد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية على أننا: "أُصبنا بالآفة الخليجية الوافدة إلينا من دول النفط التي رفعت شعار البنوك الإسلامية ولكنها لا تُراعي الإسلام في شيء، وهناك شيوخ يتقاضون الآلاف للترويج لهذه البنوك وإصدار الفتاوى في صالحهم، وقد عملت لمدة عامين في السودان حيث النظام المصرفي بها إسلامي بنسبة ١٠٠٪، واكتشفت أنها مجرد تغيير مُسميات بعد أن ظهرت فجأة فئة "كهنوت" ليقودوا جمهوراً اختلط عليه الأمر في قضايا الدين، فأصبح ينقاد بلا تفكير ويشارك فئة من أساتذة الجامعات في هذا التضليل، حيث أصبحوا يرتزقون مما يسمى بالاقتصاد الإسلامي، وهم على علاقات وثيقة بالسلطات في دول الخليج.. فالأمر لا يعدو مجرد لعب بمشاعر الناس ولا علاقة للاقتصاد بالإسلام.[1]

(١) د. جودة عبد الخالق، وهم أسلمة الاقتصاد، (موقع الأقباط المتحدون)، بتاريخ: الاثنين ٣٠ مارس ٢٠٠٩.

وفي نفس الاتجاه يذهب البعض إلى أن معظم اجتهادات التيارات السلفية تركزت حول موضوع الفائدة بسبب اتجاه أصحاب هذه التيارات وأنصارهم إلى استثمار أموالهم في المصارف والبنوك وتفضيل هذا المجال على إقامة المشروعات الإنتاجية ولهذا كان موضوع الفائدة الربوية من العناصر الأساسية التي استندت عليها مُؤسساتهم المالية في تنافسها بسوق المال ودعايتها، استغلالاً للمشاعر الدينية لدى الناس، بل إن النموذج الاقتصادي للسلفيين الذي تبلور عبر السنوات الماضية إلى أن اتخذ شكل شركات توظيف الأموال[1] والتي مثلت المثال الأسوأ للعب بالدين وإسباغ القداسة على فكر بشري واجتهاد إنساني ما – وهو متغير – مما يجعله بمثابة النص المقدس – وهو ثابت – ونؤكد مرة أخرى أن هذ الأسلوب ارتزاق ونصب باسم الإسلام، والإسلام من هذه الأفكار براء، وأيضاً استغلال للبسطاء من قبل بعض الرجال[*] ادعوا بأنهم حملة اللواء الإسلامي في مجال الاقتصاد وأطلقوا على أنفسهم رجال "الاقتصاد الإسلامي" عن طريق التأويل المتعسف للقواعد الاقتصادية كما سبق وقلنا وعن طريق التلفيق باسم الإسلام فالغاية تبرر الوسيلة كما يُقال في الدفاع عن التجربة .

وعندما حدثت الأزمة العالمية الأخيرة والتي هزت كيانات اقتصادية هائلة لم يكن يُظن أن أية أزمة اقتصادية قد تؤثر بها في يوم من الأيام خرج علينا أصحاب

(١) بدر عقل، توظيف الفساد، الدار العربية، ص٦٣.

(*) فلا نستطيع أن نقول الكل فبالتأكيد هناك من رأى في التجربة نموذجاً ذا صبغة إسلامية جدير بالدعم ليكون مثالاً يُقدم للغرب يؤكد على أن الإسلام موجود في إطار الصراعات ذات الصبغة الدينية في بعض الأحيان حيث نلاحظ أن الفترة التي ظهر فيها مصطلح الاقتصاد الإسلامي كانت الظروف السياسية مليئة بالصراعات والحروب فلبنان منقسمة طائفياً والعراق منهمك في حربه مع إيران التي أصبحت الفزاعة للدول العربية، والاتحاد السوفيتي بدأ الضعف يدب في بدنه والولايات المتحدة أصبحت تستعد للسيطرة كقوة أولى ووحيدة ويدور في فلكها دول أوروبا حيث بدأ النظام الرأسمالي في التوغل والسيطرة على النظم الاقتصادية للكثير من الدول في العالم، فكان ما سُمي بالاقتصاد الإسلامي – وأيضاً أسلمه باقي المجالات – وسيلة للتوازن أمام الذات أولاً وأمام الآخر – أياً كان – ثانياً.

الاقتصاد الإسلامي فرحين في شماتة بالغرب لا تليق أبداً بمسلم أن يفعلها، مُهللين بسقوط الرأسمالية الكافرة!، ومُبشرين بأن العصر القادم هو عصر الاقتصاد الإسلامي، ويجب علينا نحن المسلمين أن نتعظ بدول الغرب – الكافرة – وما حدث لها، ونعود إلى الإسلام والقرآن الذي فيه جميع الحلول لمشكلاتنا، مؤكدين ضمنًا أن البنوك الإسلامية خارج اللعبة، في تدليس واضح حيث أن هذه البنوك كما يقول د. جودة عبد الخالق تعمل في حضن البنوك العالمية، وعندما تقع الثانية فسوف تقع الأولى بالتبعية، توجد مصالح مالية كبيرة ترتزق وتتربح باسم الدين، ولذلك لجؤوا إلى اقتحام قنوات اقتصادية أخرى مثل التمويل العقاري الإسلامي والتأمين الإسلامي، ولم يفعلوا غير تغيير المسميات فقط ولقد قال أحد رؤساء البنوك العامة حول أن ما يتم دفعه للناس في فروع التعاملات الإسلامية أقل من الفائدة في البنوك التجارية، وما كانوا يتقاضونه منهم نظير الإقراض أعلى من نظيره فى البنوك التجارية [١] .

البـديـــــل

وعن ادعاء أن البديل هو البنوك الإسلامية يقول الخبير الاقتصادي د .أحمد السيد النجار: "والغريب أن هذا الكلام يُقال في وقت لم تتجاوز فيه أصول البنوك الإسلامية في الدول العربية وغير العربية، نحو٤.٥ مليار دولار، أي ما يوازي٠.٠٠٦ ٪ (نسبة مئوية قدرها ستة في الألف) من قيمة أصول أكبر ألف بنك في العالم التي بلغت ٧٤٢٠٠ مليار دولار في نهاية عام٢٠٠٧ . وحتى لو أضفنا كل النوافذ الإسلامية وصناديق الاستثمار والتأمين الإسلامي فإن النسبة لن تختلف من إجمالي البنوك وصناديق الاستثمار والتأمين في العالم، بل إن أصول بنكUBS السويسري التي بلغت نحو٢ تريليون دولار، تعادل٤٠٠ مرة قدر أصول البنوك الإسلامية مجتمعة، وهذا هو الحجم الحقيقي لهذه البنوك، التي ينبغي التعامل معها

(١) موقع الأقباط المتحدون، وهم أسلمة الاقتصاد بتاريخ : الاثنين ٣٠ مارس ٢٠٠٩.

دون مبالغة غير واقعية، كما أن الأزمة المالية التي ضربت القطاع المصرفي عالمياً قبل أن تنتقل لباقي الاقتصاد، شملت كل البنوك بما فيها البنوك الإسلامية المتشابكة في تعاملات ومضاربات بعيدة عن الدين ومبادئه مع كل القطاع المالي العالمي [(١)]".

وعن الحلول المتمثلة في المرابحة أو المشاركة وبأنها البديل الإسلامي للنظام الربوي وآلياته وهي الحلول التي يؤكد أصحاب هذا الاتجاه صلاحيتها وشرعيتها كبديل يقول: "بأنه قول مَردود عليه من الناحية النظرية ومن واقع الخبرة التاريخية، فالفائدة هي مُحفز الادخار، ولن تتحول الأموال المكتنزة عديمة الفاعلية إلى مدخرات يمكن توظيفها في تمويل الاستثمار والنهوض الاقتصادي دون هذه الفائدة، أو أية فائدة أخرى أياً كان مسماها، ومعدل الفائدة يتغير تبعاً لحالة الاقتصاد ومعدلات الربح السائدة فيه، بما ينفي عنها صفة الثبات القديمة التي يستند إليها البعض في وصفها بالربوية، كما أن الجهاز المصرفي المراقب من البنك المركزي ومن الدولة، ظهر تاريخياً في مواجهة الربا بما كان ينطوي عليه من أسعار فائدة قاتلة للمنتجين والتجار، بصورة كانت تحول فائض القيمة الذي تم تحقيقه في النشاط الاقتصادي إلى المرابي، بما يُقيد النشاط الاقتصادي ويجعل اقتصاد التبادل يدور في حلقة مفرغة من البطء والركود طويل الأجل، ليبقي الاقتصاد الطبيعي بطيء الحركة والقائم على الاكتفاء الذاتي هو الحاكم لحركة الاقتصاد لأزمان طويلة، أما النظام المصرفي فقد جاء ليحدد أسعار فائدة معتدلة، لا تلتهم جُهد المُنتِج أو التاجر، وإذا كانت هناك مشكلات في البنوك، فإن هناك دائماً إمكانية لمعالجتها وتطويرها وتغيير أسس عملها بصورة متوافقة مع احتياجات المجتمع والاقتصاد، وما تقتضيه مبادئ الحق والعدل، على عكس النماذج الدينية التي تتسم بالجمود والتي يتم إضفاء طابع قدسي عليها وهي ليست كذلك [(٢)].

(١) جريدة الأهرام – ٥ مارس ٢٠٠٩ .

(٢) الأهرام – ٥ مارس ٢٠٠٩ .

أسلمة العلوم والمعرفة

وعلى الجانب الثقافي والعلمي نشطت الدعوة لما عرف بأسلمة العلوم فأصبحنا نسمع عن تعبيرات مثل: الطب الإسلامي وعلم الاجتماع الإسلامي والاقتصاد الإسلامي والإعلام الإسلامي والقانون الإسلامي وغمرت الساحة الثقافية كتب من عينة دليل الصيدلي المسلم والمحاسب المسلم والطبيب المسلم، و .. ، و.. ، و... ورغم الكلام الطيب من أصحاب هذه الدعوات فهي دعوة تؤدي إلى تحكيم الفكر الديني الخاضع لملابسات الزمان والمكان والموقف الاجتماعي في مجالات فكرية وعقلية وإبداعية لم تتعرض لها النصوص الدينية[1].

وهنا سؤال: أليس الطب هو الطب في أي مكان وفي أية ديانة أم أن الله اصطفى المسلمين بطب خاص بهم يجب أن يطبقوه والمقصود بهذا المصطلح "الطب النبوى" والذي انشغل به الكثيرون وامتهنوه، وقدسوه باعتباره من سنن النبي الكريم ﷺ فإن رفضناه شككنا في السنة النبوية كلها وأصبحنا على الطرف الآخر من الإسلام وليس كما قال محقق كتاب ابن قيم الجوزية "الطب النبوي" في مقدمته: **"إن الطب النبوي، والعلاج المحمدي لهو أجود الطب وأنفعه، وأفضل العلاج وأنجعه، وأكمل الدواء وأجمعه. قضية لا يسع المؤمن الكامل والمسلم العاقل إلا أن يعتقدها ويُؤمن بها؛ فلا يتردد في ثبوتها، أو يشك في صحتها، إلا من أضله الله على علم، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة؛ فكان من ذوي النفوس الخبيثة، والقلوب المريضة، والعقول السقيمة؛ الذين لا يؤمنون إلا بالماديات الحقيرة.**

كيف : وصاحبه – صلوات الله عليه – قد استمده من وحي السماء وتلقاه عمن أوجد الداء والدواء، وصدر المرض والشفاء"[2]!.

---

(١) نقد الخطاب الديني ، م س ، ص ١٩٨.

(٢) ابن قيم الجوزية، الطب النبوى، ط عيسى البابي الحلبي الثالثة سنة ١٩٨٠ ، ص : ح .

وفيما سبق الكثير من المخالفات الشرعية، فالنبي الكريمﷺ **لا ينطق عن الهوى بنص القرآن وذلك في الأمور التي أوحى بها الله إليه فقط.** أي أن القرآن معجزة النبي جاءنا من الله مباشرة بواسطة النبي الكريم ﷺ بلا أي تدخل منه فيه، وهذا يختلف عن الأحاديث القدسية التي كانت من الله لنبي والتي وصلتنا بصياغته هو - النبي ﷺ - وليس بنص ما أوحى الله له. والمقصود بالطب النبوي وصفات قالها النبي الكريم **من وَحي بيئته وليس وحي من الله من خلال خبرته البشرية وتجارب قومه فهذه الوصفات ابنة بيئتها وزمانها وبالطبع اختلفت البيئة المعاصرة عما كانت عليه أيام النبي ﷺ فلا ضَير من رفض تلك الوصفات فهذا لا يؤثر على إيماننا بالنبي ﷺ** ولا نوصف بأننا حينئذ ممن أضله الله، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة كما يقول صاحب مقدمة كتاب الطب النبوي غفر الله لنا وله.

وهُنا يجب التفرقة بين السُنة التشريعية التى أيدها الله ووافقت القرآن، والسنة غير التشريعية والمرتبطة بأمور الدنيا والحياة، حيث يجب التمييز بين ما يصدر عن الرسول ﷺ باعتباره مُشرِّعاً يُوحى إليه، وتلك الأقوال التي تصدر عنه بمقتضى الجبلة البشرية أو بمقتضى الخبرة والتجربة في الشؤون الدنيوية أو ما اختصه به الوحي الإلهي. **فكل الأفعال التي تُمليها الطبيعة البشرية من مأكل ومشرب وهي ما تسمى بالسنة الجبلية ليست ملزمة للمسلمين كذلك الأفعال والأقوال التي تصدر عنه ﷺ بمقتضى خبرته وتجربته في أمور الحياة كشؤون التجارة والزراعة والطب والحرب وغيرها ولم يكن مصدرها الوحي الإلهي ليست واجبة الاتباع وكذلك ما اختصه به الوحي الإلهي** مثل الجمع بين أكثر من أربع زوجات فهو حكم خاص به ولا يجوز القياس عليه"[1] وحادثة تأبير النخل تؤكد ذلك وقوله **"أنتم أعلم بشؤون دنياكم"** لهو دليل على ما نقوله، وسنتوسع في هذه النقطة لاحقًا.

(١) د. صوفي أبو طالب، تطبيق الشريعة في البلاد العربية، (دار النهضة العربية، ط ٥- ٢٠٠٦)، ص ٥٠-٥١

والخلاصة أنه لا يوجد اقتصاد إسلامي وغير إسلامي، فالقواعد الاقتصادية واحدة في كليهما فلا يوجد سبب لإلباس فكر ما لباس ديني يُصبح من يخالفه لأي سبب يخالف الدين! ويُستباح جرَّاء ذلك(*).

وكذلك لا يوجد ما يسمى بالإعلام الإسلامي فالقواعد الإعلامية من صدق وشفافية وتنوير هي الحاكمة أو بمعنى أدق هى التي يجب أن تُحكَّم، ويتم الاحتكام إليها عند حدوث أي خروج عنها، وإن لم توجد هذه القواعد فهذا خطأ في التطبيق فقد يوجد إعلام – كما يُقال إسلامي – ولا يتمتع بأية مصداقية أو صدق، ويُغيب العقل ويُميع المواقف والأفكار، ويُثبط الهمم، ويخلق أجيالاً ضائعة لا هدف محدد أمامها.

وعلى الجانب العلمي فإن حصاد المسلمين منه - مبتكرين ومنتجين - يكاد لا يُذكر إذا قارنا عدد براءات الاختراع من مُسلمين بالنسبة إلى عددهم مع براءات اختراع أية دولة صغيرة عدداً لعرفنا الحقيقة المرُة، ولاعترفنا بأننا نعيش عالة على المجتمع الغربي الملحد الكافر.

ولو حاولنا مثلاً أن نُقارن بين حال العرب وإسرائيل – أعداء الله وأحفاد القردة والخنازير كما يتضمن دعاء الشيوخ دائماً في الصلوات دون تمييز بين من هو يهودي ومن هو صهيوني ودون تدبر لهذه الأدعية الاستفزازية كما يصفها القرضاوي[1] – لعرفنا فعلاً حجمنا الحقيقي في المجتمع الإنساني حيث نجد أن :

* نسبة استخدام الإنترنت لعدد السكان في إسرائيل ١٦٪ ، في حين تقل هذه النسبة عن ٣٪ في المتوسط العربي .

(*) وحتى إن وجدت بعض نقاط الاختلاف حول بعض التفاصيل الاقتصادية مثل فوائد البنوك ورأي البعض بأنها هي الربا المنهي عنه، فإن هناك آراء أخرى في هذه المسألة وليأخذ كل منا ما يريده من هذه الآراء وليستفت قلبه ولا يفرض أي رأي على الآخرين باسم الدين.

(١) للتوسع انظر يوسف القرضاوي ، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ، ص ٤٢ : ٥٢.

* تحتل المرتبة السادسة في عدد براءات الاختراع المسجلة بالنسبة إلى عدد السكان، وهي تفوق في ذلك دولاً مُتقدمة مثل فرنسا وبريطانيا وألمانيا.
* المرتبة الأولى في تطوير نظم حماية أمن البيانات وتحصين مواقع الإنترنت ضد الاختراق.
* يبلغ عدد الكتب المترجمة إلى العبرية سنويًا ١٠٠ كتاب لكل مليون إسرائيلي، في حين يبلغ عددها بالنسبة إلى العالم العربي ٣ كتب تقريبًا لكل مليون عربي(١).

ولننظر إلى حالنا ومَصب اهتمامنا حيث قام العاملون بالعلوم الإسلامية بتوجيه نشاطهم نحو مسائل تقع خارج نطاق العلم المعتاد، حيث تضمنت اهتماماتهم أشياء لا يمكن اختبارها، مثل سرعة الجنة، ودرجة حرارة جهنم، والتركيب الكيميائي للجن، وكذلك معدلات لقياس النفاق، وتفسيرات للإسراء والمعراج مبنية على أساس نظرية النسبية وكيفية الاتصال بالجن، ومباحث في زواج الإنس والجن وأحكام المولود الذي ينتج عن تلك العلاقة(٢).

مثل هذه الاهتمامات هي التي تُسيطر على حياتنا ونتستر تحت هذه الدعاوى بانتسابنا واتباعنا واقتدائنا بالسلف والسلف فعلاً من أعمالنا ومُعتقداتنا وتصرفاتنا براء، واستمرارنا في هذا التلفيق باسم العلم، وباسم السلف تدليس وخداع وخيانة للإسلام، لقد فهم المسلمون أن النصوص الدينية لا تطرح تفسيرًا للظواهر الطبيعية والإنسانية وأن تفسيرها متروك لفاعلية العقل البشري المتطور دائمًا لاكتشاف الآفاق الطبيعية والإنسانية، ولقد كان هذا الفهم من أهم أسباب الإنجازات العلمية

(١) د. نبيل علي، د. نادية حجازي، الفجوة الرقمية، سلسلة عالم المعرفة عدد ٣١٨ أغسطس ٢٠٠٥، ص ٧٠.

(٢) برويز أمير على بهائي، الإسلام والعلم.. الأصولية الدينية ومعركة العقلانية، ترجمة محمود خيال، (المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، عدد ٨٩٨)، ص ١٧٤، وللتوسع انظر المرجع المذكور من ص ٢٨٣ إلى ٣٠٣.

والتقنية التى حققها العلماء المسلمون الذين لا يكف الفكر الديني المعاصر ذاته عن الإشادة بهم والفخر بما قدموه لأوروبا في بداية عصر النهضة[1].

إن التخلف الاقتصادي والتخلف الحضارى، والتخلف السياسي، والتخلف الاجتماعي في العديد من الدول الإسلامية يرجع إلى إهمال دور العقل وما ترتب عليه من التخلف العلمي، والذي تصوره هذه الأجيال المتعاقبة التي تجهل القراءة والكتابة وتبرز فيها الأمية السياسية والاجتماعية فضلاً عن التخلف عن تبنى الأسلوب العلمي في مواجهة مشكلات الحياة[2].

وبتغلغل الفهم السقيم لمفهوم السلف في عقولنا كان الحصاد " مُحاصرة روح الإبداع الذاتي والابتكار إلى درجة خنقها، وقياس اللاحق على السابق، وعدم الخروج عليه إلا في الدوائر الهامشية للشرح أو التعقيب أو التذييل، فيغدو كل فكر لاحق تابعاً لكل فكر سابق وتكراراً له على سبيل الفعل ومدى الحركة، فلا تنشأ حركات فكرية جديدة، يبدأ لاحقها من حيث انتهي سابقها، ويضيف إليه إضافات كيفية.. ولذلك لا يمكن أن نتحدث عن مذاهب فكرية أصيلة، أو حتى إضافات جذرية، فهو أمر لا يمكن أن يحدث في فكر عينيه في قفاه، ومَهووس بالماضي، عاجز عن التطلع إلى المستقبل[3].

وهذا الفهم الخاص بالسلف لم يعد يفهمه أو يطبقه الخلف الذين انشغلوا بما يُسيء لإسلامهم وعصرهم.

إن الدعوة إلى أسلمة العلوم تعني الدعوة إلى التخلف، وذلك بالاقتصار على ما سماه بعض الفقهاء المحافظين بالعلم النافع وهو العلم الديني فحسب. ويبدو خطأ وخَطل هذه الدعوة في الطرح الذي يحدد العلاقة بين الدين والعلم كعلاقة نفي

(١) نقد الخطاب الديني، م س، ص ١٩٨.

(٢) التجديد والحفاظ على الهوية الإسلامية، م س ، ص ٢٣٩.

(٣) د. جابر عصفور، الفضل للمتقدم، م س .

وتضاد في حين أن جوهر الدين لا يصادر على العلم فالعلاقة بينهما علاقة تكامل واتساق[1].

وخطورة هذا المنهج أنه يُسيء إلى الإسلام بأكثر مما يُفيد، يأخذ من رصيده بأكثر مما يُعطي، يهدمه على المدى الطويل من الداخل وبيد أبنائه، وهذا ليس مبالغة أو تهويل، فمنهج الأسلمة يعارض عن قصد أو سوء قصد المنهج العلمي حيث أن[2]:

أولاً :

النظريات العلمية ليست ثابتة، فما يَثبت عقلاً يمكن أن يُنقض عقلاً بالمثل وتعريض القرآن الكريم لهذا المنطق، تعريض بالقرآن نفسه.

ثانياً :

أن الدين يقوم على الإيمان، والعلم يستند على السببية، وكلاهما مختلف في منطلقاته وغاياته، وتكريس الدين لخدمة العلم محض مجازفة، وتأويل العلم لخدمة الدين مجازفة أخطر.

وكأمثلة على الرؤية التفسيرية العلمية :

١. استقر في أدبيات التفسير العلمي - للفرد عند قراءة آية : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾[3] أن المراد بتفسير الآية هو المجموعة الشمسية !!

فماذا هي حالنا اليوم بعد أن قررت الجمعية العمومية للاتحاد الدولي لعلم الفضاء الخميس ٢٠٠٦/٨/٢٣ في براغ سحب بلوتو من لائحة كواكب

---

(١) د. محمود إسماعيل، الإسلام السياسي بين الأصوليين والعلمانيين، (مؤسسة الشراع العربي، ط١، ١٩٩٣)، ص ١٦٧.

(٢) د. محمود إسماعيل، م س ، ص ١٦٦ .

(٣) يوسف : ٤ .

المجموعة الشمسية التي باتت تقتصر رسمياً على ثمانية كواكب فقط [1]. وبذلك يكون العدد بإضافة الشمس والقمر عشرة فقط ؟!

٢. وهناك من ادعى أنه قام ببحث - يدعي أنه علمي - يُؤكد على إمكانية شفاء الأعمى بمادة توجد في "عَرق الإنسان" تطبيقاً علمياً وعملياً لقصة قميص سيدنا يوسف الذي ألقاه على أبيه، ونقول لهذا الباحث كيف يكون هذا؟ ألا تعلم أن ما ورد في قصة يوسف معجزة وهي خاصة به كنبي لله والمعجزة هي الشيء الخارق للعادة أم أن سيادتك تنفي المعجزة؟ وتؤكد أن بالإمكانية تعميم المعجزة على يد الإنسان.

فالمنهج الإعجازي أخذنا من حيث لا ندري ومن حيث لا يصح إلى أن نتسائل أيهما أصدق القرآن أم جمعية الفضاء؟!! أيجوز لنا أن نُقارن ولو عن حسن قصد ودون إساءة بين الاثنين والمفترض أن تكون المقارنة بين مثلين، فهل – حاشا لله – يتساوى القرآن الكريم الخالد الدائم ليوم الدين مع قرارات وأبحاث إحدى جمعيات علوم الفضاء؟!

ومثال آخر على أهم عيوب المنهج وهو **تكريس التخلف، وإبطال العقل، والدعوة إلى الركون والجمود والتخلف تحت دعوى الإيمان** بما ورد في القرآن تكتب إحدى الباحثات[2] عن التجارب التي يجريها العلماء حول إمكانية وجود حياة خارج المجموعة الشمسية، تقول في تسفيه هذه المحاولات:

"إن المحاولات التي يدعيها بعض العلماء اليوم للخروج خارج المجموعة الشمسية هي محاولات يائسة، لأن هؤلاء العلماء يخبروننا بأنفسهم أن الكون أكبر

(١) موقع www.alarabiya.net بتاريخ الخميس ٣٠ رجب ١٤٢٧هـ – ٢٤ أغسطس ٢٠٠٦م.

(٢) مونية بن صالح ، الحياة خارج المجموعة الشمسية ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
http://55a.net/firas/arabic/?page=show_det&id=1468&select_page=10

بكثير مما نتوقعه، فإذا أردنا أن نخرج خارج مجرتنا سوف نحتاج إلى ثلاثين ألف سنة، مع العلم أنه يجب علينا أن نسير بنفس سرعة الضوء، أي ٣٠٠ ألف كيلو متر في الثانية، وهذه السرعة مستحيلة التحقيق عملياً، وإذا أردنا أن نصل إلى أقرب مجرة بالنسبة إلينا، نحتاج إلى أكثر من مليوني سنة، وإذا أردنا أن نصل إلى أبعد مجرة سوف نضطر إلى قطع مسافة تقدر بـ ٣٠ مليار سنة ضوئية!!! فهل يمكن لإنسان عاقل أن يفكر بالتجول في الكون، وأعمارنا لا تزيد عن ٧٠ سنة وسطياً؟".

ولم تكتف الباحثة بذلك بل وجهت النصح لهؤلاء العلماء – فالدين النصيحة – بأن يهتموا بالموت !! قائلة:

" نقطة أخيرة أريد أن أطرحها على هؤلاء العلماء المُنكرين ليوم البعث وهم يوقنون بأن الكون سينتهي يوماً ما، أريد أن أقول فقط بأنه بدل أن يبحثوا عن الهروب إلى كوكب آخر لكي تتمكن البشرية من الاستمرار في الحياة فليبحثوا وليفكروا في علاج للموت الذي يفرون منه، فالبشر يموتون وسيموتون مهما عاشوا سواء على كوكبنا في مجموعتنا الشمسية أو في كوكب آخر ومجرة أخرى".

فهذه النظرة الدونية إلى العلم هي السائدة والمتحكمة مهما حاول أحد نفيها فما دام القرآن قال﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[1].

فلا يجب أن نتعب أنفسنا بأية محاولة للبحث عن إمكانية تحسين الحياة بأية صورة، يجب أن نظل في مكاننا ننتظر قيام الساعة متجاهلين الحديث الشريف (**إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها**)، وهذه السلبية والتواكل وعدم وجود أية رُؤية هي السمة الغالبة والمتحكمة في الخطاب الإعجازي.

---

(١) طه : ٥٥ .

إن خطورة المنهج تتمثل في أن:

العلم متغير

والدين ثابت دائم ليوم الدين

وهذا لم يفهمه أصحاب توكيلات الإعجاز العلمي.

السنة النبوية

يقول الله تعالى ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾[1]
ويقول تعالى أيضاً ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[2]

وهذه الأوامر القرآنية وغيرها تدفعنا إلى التساؤل عن الأوامر النبوية أو ما يُسمى بالسنة النبوية التي تثور حولها الكثير من اللَّغط حول مدى حُجيتها وهل عدم اتباعها يخرجنا من الملة والكثير من الوقائع تدفعنا إلى تفصيل موقع السنة في الإسلام ويلزمنا أولاً أن نحدد تعريف السنة ومكانتها وأقسامها حتى نتبين إذا ما كان مخالفة أي أثر رُويَ عن النبي الكريم هل هو مخالفة للإسلام وخروجًا عن الملة وما يتبع ذلك من آثار أم أن الأمر أرحب بكثير مما يثيره البعض عن قصد أم حسن نية .

*** التعريف :**

السُّنَّة في الشريعة هي الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب فالسنة ما واظب النبي ﷺ عليها مع الترك أحياناً فإن كانت المواظبة المذكورة على سبيل العبادة فسنن الهدي، وإن كانت على سبيل العادة، فسنن الزوائد، فسنة الهدي ما يكون إقامتها تكميلاً للدين وهي التي تتعلق بتركها كراهة أو إساءة، وسنة

(١) الحشر : ٧ .

(٢) النجم : ٣- ٤ .

الزوائد وهي التي أخذها هدي أي إقامتها حسنة ولا يتعلق بتركها كراهة ولا إساءة كسير النبي ﷺ في قيامه وقعوده وأكله[1].

والسُنَّة ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن من قول ويسمى الحديث، أو فعل.. ومنها ما يعم النفل وهو ما فعله خير من تركه من غير افتراض ولا وجوب[2].

وقد وضع علماء السنة خمسة شروط لقبول الأحاديث النبوية: ثلاثة منها في السند واثنان في المتن:

١. فلا بد في السند من راوٍ واعٍ يضبط ما يسمع ، ويحكيه بعدئذ طبق الأصل.

٢. ومع هذا الوعي الذكي، لا بد من خُلق متين وضمير يتقي الله ويرفض أي تحريف.

٣. وهاتان الصفتان يجب أن يطردا في سلسلة الرواة، فإذا اختلتا في راوٍ أو اضطربت إحداهما فإن الحديث يسقط عن درجة الصحة.

ونظر بعد السند المقبول إلى المتن الذي جاء به، أي إلى نص الحديث نفسه..

٤. فيجب ألا يكون شاذاً.

٥. وألا تكون به علة قادحة.[3]

* **أقسامها:**

تقسم أقوال وأفعال الرسول ﷺ إلى عدة أوجه وقد فصلها الإمام القرافي في كتابه **"الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام"** إلى:

- تصرف الرسول ﷺ بالفُتيا هو إخباره عن الله تعالى بما يجده في الأدلة.

---

(١) الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، (مكتبة لبنان ط ١٩٨٥) ، ص ١٢٧ - ١٢٨

(٢) كشاف اصطلاحات العلوم و الفنون، ج١ ، م س ، ص ٩٧٩

(٣) الشيخ : محمد الغزالي، السنة النبوية بين أهل الحديث وأهل الفقه، (دار الشروق، ط ١٤ / ٢٠٠٦) ص ١٨،١٩.

- وتصرفه ﷺ بالتبليغ هو مقتضى الرسالة والرسالة هي أمر الله تعالى له بذلك التبليغ .
- وتصرفه ﷺ بالحكم فهو مغاير للرسالة والفتيا لأن الفتيا والرسالة تبليغ محض واتباع صرف والحكم إنشاء وإلزام .

وخلص إلى أن تصرف النبي ﷺ ينقسم إلى أربعة أقسام:

١. قسم اتفق العلماء على أنه تصرفه بالإمامة كالإقطاع وإقامة الحدود وإرسال الجيوش.
٢. قسم اتفق العلماء على أنه تصرف بالقضاء كإلزام أداء الديون وتسليم السلع.
٣. قسم اتفق العلماء على أنه تصرف بالفتيا كإبلاغ الصلاة وإقامتها.
٤. وقسم وقع منه ﷺ متردداً بين هذه الأقسام اختلف العلماء فيه على أنحاء وفي مسائل.[١]

ونخلص :

أن ما رُوي عن النبي ﷺ ودُون في كتب الحديث على قسمين:[٢]

أحدهما : ما سبيله **تبليغ الرسالة** مثل علوم المعاد وعجائب الملكوت وهذا كله مستند إلى الوحي.

ومنه شرائع وضبط للعبادات مستند بعضها إلى الوحي، وبعضها الآخر إلى الاجتهاد، ومنه حِكم مرسلة، ومصالح مطلقة كبيان الأخلاق الصالحة وأضدادها.

---

(١) الإمام القرافي، الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، (مطبعة الأنوار، ط ١ ١٩٣٨- م . ١٣٥٧هـ)، ص ٢٢ : ٢٤.

(٢) الإمام الدهلوى ، حجة الله البالغة ، تحقيق : السيد ساب ، (دار الجيل ط ١- ٢٠٠٥ ج ١)، ص ٢٢٤،٢٢٣ بتصرف

والقسم الثاني : ما ليس من باب تبليغ الرسالة وفيه قوله ﷺ "إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوه وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر" ومنه أيضاً الطب، ومنه ما فعله النبي ﷺ على سبيل العادة دون العبادة وبحسب الاتفاق دون القصد، ومنه ما قصد به مصلحة جزئية يومئذ وليس من الأمور اللازمة لجميع الأمة.

*** دورها ومكانتها**

تعتبر السنة المصدر الثاني بعد القرآن في التشريع فجاءت السنة لتوضِّح الكثير من الأحكام التي أجملها القرآن الكريم، وتفسر أوامره وتشرحها، ومثال ذلك أن القرآن أمر بالصلاة في أكثر من موضع مثل ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1] ولم يوضح الكيفية فجاءت السنة موضحة لها، والأمر بالزكاة كان مجملاً ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ وإن حدد أوجه الصرف حيث قال ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2] فجاءت السنة وأفردت كيفية أدائها ونصابها تفصيلاً، والأمر كذلك في الصيام لذلك فقد أمرنا الله في أكثر من موضع بطاعة الرسول ﷺ مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾[3].
حيث أن الرسول ﷺ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ حيث أن سنته التشريعية ليست من وحي عقله بل من الله عز وجل.

(١) البقرة : ٤٣ .

(٢) التوبة : ٦٠ .

(٣) النساء : ٥٩ .

*** الرسول ﷺ بشر**

يُبالغ الكثير في مديح الرسول ﷺ والدفاع عنه، وإلصاق كل الصفات الحسنة فيه وهو ﷺ لا تكفيه الكلمات في وصفه وبيان فضائله، ولكن يصل الأمر بالكثيرين عن دون قصد أو جهل سواء من العامة أم علماء الدين إلى محاولة نزع صفة البشرية عن النبي كمحاولة لإضفاء الكمال على تصرفاته، ولكن من الحب ما قتل.

فهذه المحاولات أتت بغير ما يجب أن يكون، فأصبح الرسول غير بشري على الإطلاق فمثلاً في قضية "جواز التبرك ببول النبي ﷺ " والتي سبق وأثيرت منذ أشهر تُؤدي إلى الاعتقاد بألوهية النبي ﷺ، ومخالف لأصول الاعتقاد وأمر في غاية الخطورة أن ننزع صفة البشرية عن الرسل بدعوى أنهم رسل، وهذا مُخالف لما ذُكر في القرآن الكريم فقد ورد في أكثر من موضع التأكيد على بشرية الرسل منها:

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [إبراهيم : ١١]، ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف:١١٠].

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٢٤].

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ [المؤمنون:٣٣].

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ [فصلت:٦] .

وبخصوص موضوع بشرية الرسول ﷺ يؤكد د. عبد المعطي بيومي - العميد السابق لكلية أصول الدين جامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية - أنه ما كان هذا الإصرار على تأكيد بشرية الرسول في القرآن الكريم وجعلها أساساً في الاعتقاد إلا لأمرين في غاية الأهمية في العقيدة، وهما:

١- تحديد الصفات الإلهية وأن أحداً من البشر بمن فيهم الأنبياء والرسل رغم معجزاتهم البالغة لا تعتريهم طبيعة إلهية بوجه من الوجوه حتي لا يعبدوا من دون الله، خاصة أن المنزلق الذي كانت تنزلق فيه العقول منذ فجر التاريخ أن الناس كانوا سرعان ما يؤلهون ذوي القوى من الملوك أو الرسل فيجعلونهم آلهة أو أبناء آلهة، حدث ذلك في الحضارة المصرية القديمة وفي الحضارة الفارسية، وحدث كثيراً في التاريخ الإنساني كله في الماضي، فها هو زرادشت مثلاً نبي قدامى الإيرانيين كما يقال عنه تحول إلى معبود، ولعلنا نلاحظ بوضوح أمر الله لنبينا محمد يتكرر في القرآن الكريم: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠، فصلت ٦].

فمن أجل التأكيد على عقيدة التوحيد يتم تأكيد عقيدة بشرية الرسول، فإذا حدث خلط وتغليط في بشرية الرسول يتم الخلط والتغليط في عقيدة التوحيد بنفس القدر، وقد ظلت العقيدة الإسلامية كل هذه القرون قائمة على عقيدة التوحيد الخالص لله والبشرية الخالصة للرسول ﷺ، ولم تفلح الشطحات الصوفية التي يتجاوز بها مقام الحب عندهم لرسول الله ﷺ، وعدم إحكام العاطفة المتأججة بضوابط الشريعة أن تشوه العقيدة الإسلامية في بشرية الرسول وأنه ليس ملكاً أو إلهاً أو ابن إله وإنما هو بشر أو كما قال عليه الصلاة والسلام: «ابن امرأة من قريش».

٢- إن التأكيد على بشرية الرسول يقطع حجة العباد على الله بأنه لم يرسل إليهم بشراً مثلهم، لأن الرسول إذا لم يكن بشراً تفوت الغاية من إرساله، لأنهم -أي

الرسل- إذا لم يكونوا بشراً يتأتي للناس كلما أمرهم رسولهم بأمر أو نهاهم عن أمر أن يقولوا لست بشراً مثلنا لا تحس بإحساسنا فإذا أمرهم بالصوم أو الصلاة مثلاً تعللوا باختلاف طاقتهم عن طاقته لكنه إذا كان بشراً وأمرهم وفعل هو ما أمرهم به دل على إمكان قيامهم بالأمر وتنفيذه أو انتهائهم عما ينهون عنه، وبذلك تتم فائدة الرسالة وتتحقق غايتها، يقول تعالي: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٥]. [(١)].

الخلاصـــة :

مما سبق يتضح أنه يجوز لنا دون أدنى حرج مخالفة بعض ما ورد عن النبي الكريم ﷺ طالما كان هذا الأمر خارج عن الإطار التشريعي وليس من باب تبليغ الرسالة مع أهمية التنبية أن النبي ﷺ بشر لا يجب أن نتناسى هذه الصفة ونعمد بقصد تنزيهه وتقديسه ﷺ أن ننزع هذه الصفة عنه تكريمًا له ﷺ فبذلك نكون مخالفين للنص القرآني الصريح في أكثر من موضع حيث قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾[(٢)]، وكذلك ما ورد في الحديث الشريف حيث قال ﷺ "إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوه وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر"، وهذا لا يتعارض إطلاقاً مع الآية الكريمة ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾.

حيث يقول القرطبي في تفسيره للآية {قال قتادة: **وما ينطق بالقرآن عن هواه "إن هو إلا وحي يوحى إليه"، أي أن الأمر مرتبط بتبليغ القرآن ويشمل الأمر كذلك كل ما يتعلق به من تفسير وتفصيل لآياته المجملات.**

---

(١) د. عبد المعطي بيومي ، المصري اليوم : ٣٠ – ٥ – ٢٠٠٧ .

(٢) الكهف ١١٠.

نحترم السنة ونقدرها ولا نطلب إلغاءها أو تحديدها فهي المصدر الثاني للتشريع، ما نرجوه هو تنقيتها من الشوائب والإسرائيليات والأحاديث المدسوسة على النبي الكريم ﷺ. نطالب بالفصل بين ما هو خاص بالعبادات وما يرتبط بالمعاملات، فالعبادات ثابتة إلى يوم القيامة، والمعاملات متغيرة بتغير الزمان والمكان، وبتطور الحياة وأشكال المعاملات لذا لا يجب تقديس نص ورد عن النبي في المعاملات، يمكننا الاسترشاد به فقط وليس تطبيقه تطبيقاً حرفياً فما يخص المعاملات ليس ملزماً والإلزام فقط فيما يرتبط بالعبادات.

وهنا نذكر محاولة الإمام ابن القيم الجوزي في القرن السابع الهجري بجمع آلاف الأحاديث في كتابه "الموضوعات من الأحاديث المرفوعات" وكذلك ما ورد عن الإمام البخاري أنه قام بحذف أكثر من ستمائة ألف حديث وهو يعد كتابه المعروف بصحيح البخاري حيث أن عدد أحاديث الكتاب ٧٢٧٥ حديثًا بالمكرر، ومن غير المكرر أربعة آلاف حديث، اختارها من بين ستمائة ألف حديث كانت تحت يديه؛ لأنه كان مدقِّقًا في قبول الرواية، واشترط شروطًا خاصة في رواية راوي الحديث، وهي أن يكون معاصرًا لمن يروي عنه، وأن يسمع الحديث منه، أي أنه اشترط الرؤية والسماع معًا، هذا إلى جانب الثقة والعدالة والضبط والإتقان والعلم والورع(١).

* * *

(١) www. wikipedia.org

الباب الثالث

سـلفيـو مصـر

الفصل الأول : الحركة السلفية في مصر

- تاريخ السلفية في مصر
- جمال الدين الأفغاني
- الإمام محمد عبده
- محمد رشيد رضا

الفصل الثاني : الجمعيات الإسلامية في مصر

حول الجمعيات الإسلامية في مصر

الجمعية الخيرية في مصر

المبحث الأول

أ. الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية

- أغراض الجمعية
- أئمة الجمعية
- العضوية
- نشاطات الجمعية

المبحث الثاني

ب . جماعة أنصار السنة المحمدية

- التعريف
- أهداف الجماعة
- الهيكل الإداري للجماعة
- المواقف العملية للجماعة:

أولاً : الموقف من المتصوفة

ثانيًا : الموقف من الشيعة

ثالثًا : الموقف من جماعات العنف

رابعاً : الموقف من جماعة الإخوان المسلمين

- المآخذ على الجماعة

الفصل الأول

الحركة السلفية في مصر

تاريخ السلفية في مصر

لم تتولد الحركات الدينية المعاصرة من فراغ، فقد كانت بذرتها موجودة على الدوام، وسواء نظرنا إلى العالمين العربي والإسلامي فسوف نكتشف أن الدين استُخدم مراراً كعامل استقطاب واجتذاب للجماهير أو لمقاومة السلطات أو للتصدي لعمليات الغزو والاحتلال، لا سيما في العصور الحديثة[1].

لقد ترددت دعوات الإصلاح في مناطق عدة من بلاد الشام طوال القرن الثامن عشر وبدايات التاسع عشر، ودعا علماء ومصلحون كبار إلى تحرير الدين مما علق به من قيود التقليد والخرافة.. وكان الإحساس الإسلامي بالأزمة بدأ في التبلور منذ القرن الثامن عشر وتعاظم خلال القرن التاسع عشر حيث تراجعت الجيوش العثمانية على الجبهتين الروسية والنمساوية.. مما دفع رجال الدولة المسلمين في إسطنبول والقاهرة وتونس وطهران إلى إطلاق برامج تحديث واسعة النطاق اتخذت الأنظمة الأوروبية الغربية مثالاً لها[2].

جمال الدين الأفغاني

فجمال الدين الأفغاني هو الباعث إلى النهضة الدينية الحديثة في القرن التاسع، بدأ جهاده في بلاد الأفغان التي نبت في تربتها، ثم انتقل إلى الهند فمصر فتركيا فإيران

(١) التصور السياسي لدولة الحركات الإسلامية، م س ، ص ١.

(٢) الإسلاميون، م س ، ص ١٩بتصرف.

فروسيا، ولم يترك أمة من الأمم إلاّ سعى إليها، وجاب أقطارها، ودرس أحوالها وناظر علماءها وساستها(١).

ولد بحلب ولما أتم دراسته انغمس في الحياة العملية وتنوعت أعماله وتباينت اتجاهاته، فمن محرر لجريدة رسمية، إلى رئيس البلدية، ثم بين الحين والحين يعتزل الوظائف الحكومية فينشئ لنفسه جريدة في حلب اسمها "الشهباء" أو يشتغل بالأعمال التجارية، أو يقوم بمشروعات عمرانية وفي كل ذلك يستفيد خبرة وتجربة بالحياة(٢).

ومن السويس وصل جمال الدين إلى القاهرة، في أولى زياراته لمصر وكان ذلك سنة ١٨٦٩م (١٢٨٦ هـ).. فأقام بها نحو أربعين يوماً، اجتمع حوله لفيف من طلاب العلم الشرقيين – خصوصاً السوريين – الذين كانوا يطلبون العلم بالجامع الأزهر، حيث رغبوا في علمه، وسألوه أن يشرح لهم(٣). وزار الأفغاني مصر للمرة الثانية وطاب له المقام بها في سنة ١٨٧١م (١٢٨٨ هـ) فاتصل به محمد عبده ، ولازم مجلسه منذ شهر المحرم من ذلك العام(٤). واستقر بمصر حتى عام ١٨٧٩م (١٢٩٦هـ) ثم رحل إلى الآستانة ثم بطرسبرج وباريس ثم عاد إلى إسطنبول حتى وفاته عام ١٨٩٧م (١٣١٤هـ). وهو صاحب الكتاب الخالد والأكثر شهرة "طبائع الاستبداد" والذي قام فيه بتشريح الاستبداد والمستبدين ووضع يده على أسباب الاستبداد.

---

(١) محمود أبو رية، جمال الدين الأفغاني تاريخة ورسالته ومبادئه، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٦، ص١٤.

(٢) زعماء الإصلاح في العصر الحديث، م س ، ص ٢٥٠.

(٣) د. محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام، (دار الشروق ط ٢ / ١٩٨٨)، ص ٤٩.

(٤) د. محمد عمارة، الإمام محمد عبده..أك .. مجلد ١، (دار الشروق ط ١ / ١٩٩٣) ص ٢٤.

الأسس التي قامت عليها دعوة الأفغاني[1]:

١. أن يكون قوام نهضة المسلمين القرآن الكريم.

٢. الدعوة إلى الثورة السياسية على جميع النظم الفاسدة في المجتمعات الإسلامية فهي أسرع لتحقيق النتائج.

٣. فتح باب الاجتهاد.

٤. الوحدة الإسلامية: وذلك من خلال جمعية العروة الوثقى التي كانت منتشرة في جميع الأقطار الإسلامية.

٥. الرد على مزاعم المستشرقين: حيث رد على مزاعم الفيلسوف الفرنسي "رينان" وفند مفترياته ضد العرب والإسلام وقام أيضاً بالرد على الدهريين في الهند.

وتميز جمال الدين الأفغاني بدعوته عن الدعوة الوهابية التي سبقته بعدة أمور جوهرية هي[2]:

١. دعوته كانت سياسية أولاً ودينية ثانياً.

٢. كان معاصراً للاحتلال الإنجليزي في مصر والهند ومعايشاً للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية.

٣. يدعو إلى النهضة العلمية ومواكبة لغة العصر في كل المجالات.

وقد تتلمذ على يد وفكر وعقل جمال الدين الأفغاني الكثير من رجالات عصره من أبرزهم الإمام محمد عبده صديقه وتلميذه ومشاركه في العروة الوثقى والذي حمل منه الراية بعد وفاته، وكذلك محمد رشيد رضا تلميذ الأفغاني وعبده.

---

(١) الجمعيات الإسلامية في مصر ودورها في نشر الدعوة الإسلامية ، م س ، ص٥٦-٥٩.

(٢) الجمعيات الإسلامية في مصر ودورها في نشر الدعوة الإسلامية، م س ، ص ٦١ بتصرف.

الإمام محمد عبده

ولد عام (١٨٤٩ م - ١٢٦٦ هـ) في قرية محلة نصر بمركز شبراخيت من أعمال محافظة البحيرة، حفظ القرآن في السابعة من عُمره ثم ذهب إلى الجامع الأحمدي بطنطا ليحضر هناك دروس تجويد القرآن الكريم في سنة (١٨٦٢ م - ١٣٧٩ هـ)، وفي ١٨٦٤ م تلقى أول دروسه بالأزهر ولكن لأساليب الدراسة العقيمة قرر هجران الدراسة بعد عام فيها. وعاد إلى قريته ١٨٦٥ م وتزوج وعزم على العمل بالزراعة مع أبيه وإخوته والانقطاع عن سلك التعليم ولكن والده رفض، وقرر إعادته إلى الجامع الأحمدي في نفس العام.

بدأ يفكر في الذهاب إلى القاهرة كي يلتحق بالجامع الأزهر وبالفعل ذهب إلى الأزهر بمصر في فبراير ١٨٦٦، وانتمى إلى الحزب الصوفي في الأزهر وكان رائده الشيخ حسن رضوان.

زار الأفغاني مصر للمرة الثانية، وطاب له المقام بها سنة ١٨٧١م فاتصل به محمد عبده ولازم مجلسه منذ شهر المحرم من ذلك العام وانتقل به الأفغاني من التصوف والتنسك إلى الفلسفة - الصوفية.

حصل على العالمية سنة ١٨٧٧ وواصل بعد تخرجه تدريس كتب المنطق، وفي ١٨٧٨م عين مدرساً للتاريخ بمدرسة العلوم، ثم اشترك مع أستاذه الأفغاني في التنظيمات السياسية السرية التي أنشأها الأفغاني بمصر فدخل الماسونية وكانت حسنة السمعة إلى حد كبير.

وفي يوليو ١٨٧٩ م نفى الأفغاني من مصر وعزل الإمام من مناصب التدريس في مدرستي دار العلوم والألسن ، وحددت إقامته بقريته.

وفي سنة ١٨٨٠م استصدر رياض باشا ناظر النظار عفواً من الخديو توفيق عن الإمام وعُين محرراً في الوقائع المصرية، وانضم مع الحزب الوطني الحر إلى العرابيين

بعد مظاهرة عابدين في ٩ سبتمبر ١٨٨١ وظل مع الثورة العرابية حتى الهزيمة في سبتمبر ١٨٨٢ ثم سجن بعدها ثلاثة أشهر وحكم عليه بالنفي ثلاث سنوات امتدت إلى ما يقرب من ست سنوات.

ذهب إلى بيروت منفياً في ٢٤ ديسمبر ١٨٨٢م أقام بها عاماً حتى دعاه أستاذه الأفغاني إلى اللحاق به في باريس أواخر١٨٨٣م، وتبدأ من حجرة صغيرة متواضعة فوق سطح أحد منازل باريس جريدة العروة الوثقى لسان حال جمعية العروة الوثقى السرية التي قام تنظيمها في بلاد الشرق، وبعد توقف العروة الوثقى ويأسه من العمل السياسي المباشر كوسيلة لنهضة الشرق غادر باريس إلى تونس ومنها إلى بيروت سنة ١٨٨٥م على أمل العودة إلى مصر، واستمر هناك بالتدريس في المدرسة السلطانية وتفسير القرآن بمنهج عقلي حديث طبق فيه منهج أستاذه الأفغاني.

سعى من بيروت لدى أصدقائه كي يطلبوا له العفو ليعود إلى مصر وكان تلميذه سعد زغلول يلح على الأميرة نازلي هانم فاضل كي تستخدم نفوذها عند اللورد كرومر للعفو عن الإمام وصدر العفو من الخديو توفيق سنة ١٨٨٩م عندما اقتنع كرومر بأن الإمام لن يعمل بالسياسة وأن نشاطه سيقتصر على العمل التربوي والثقافي والفكري.

وعينه الخديوي قاضياً بمحكمة بنها كي يبعده عن القاهرة وترقى بعد ذلك لمستشار في محكمة الاستئناف سنة ١٨٩١م.

وبدا الأمر وكأن عبده حسم أولوياته باتجاه التعاون مع البريطانيين من أجل تحقيق الإصلاح الداخلي ومحاربة استبداد الخديوي عباس في مصر واستبداد السلطان عبد الحميد في إسطنبول.. وتتعقد الأمور بسبب هذه العلاقة اليوم حيث وجد في أرشيف السلطان عبد الحميد رسائل كان عبده حتى السنوات الأخيرة من حياته تبادلها مع السلطان[١]. وتأكيداً على عدم نيته العمل بالسياسة وابتعاده عنها

(١) الإسلاميون، م س، ص ٢٧.

يذكر أنه عندما أراد الشيخ رشيد رضا إصدار المنار وكتب في أهدافها هدفاً خاصاً بالإمامة، يتحدث عن ضرورة أن تنهض المنار بمهمة تعريف الأمة بحقوق الإمام والإمام بحقوق الأمة "وعرض هذه الأهداف على الأستاذ الإمام، فحذف هذا الهدف وقال له: "إن المسلمين ليس لهم اليوم إمام إلاّ القرآن، وإن الكلام في الإمامة مثار فتنة يخشى ضررهُ ولا يرجى نفعه الآن"[(١)].

وفي أثناء فترة عمله بالقضاء دارت مراسلات قليلة بينه وبين الأفغاني في الآستانة والذي عنَّفه أكثر من مرة على خوفه وحذره واتهمه بالجبن.. وانقطعت العلاقة لدرجة توقف الإمام عن رثاء أستاذه في الصحف عند وفاته في ٩ مارس ١٨٩٧م وقال إني رثيته بالوجدان والشعور لأنني إنسان أشعر وأفكر.

وفي ٣يونيو ١٨٩٩م عُين في منصب المفتي ، وفي ١٩٠٠م أسس جمعية إحياء علوم الدين العربية واشترك في تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية وله أثره في برنامجها التعليمي فقد كان على رأس لجنة قامت بصياغة هذا البرنامج ووضعت الخطوط الرئيسية لبرنامج التعليم في مدارس الجمعية وضمان سير التعليم على أساسها[(٢)]. وقد تولى محمد عبده رئاسة الجمعية عام ١٩٠٠م[(٣)].

وفي مارس ١٩٠٥م استقال من مجلس إدارة الأزهر والذي كان قد دخله عام ١٨٩٥م، احتجاجاً على تدخلات الخديو عباس.

وفي الساعة الخامسة من مساء ١١ يوليو ١٩٠٥م توفي الأستاذ الإمام بالإسكندرية عن سبع وخمسين عاماً، وكان له ثلاث بنات.

(١) محمد عبده ، أك ، م س ، ج ١ ص ١١٧ .

(٢) فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعي في مصر ، م س ، ص ١١٢ .

(٣) فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعي في مصر ، م س ، ص ٧٤.

محمد رشيد رضا

ولد سنة (١٢٨٢هـ، ١٨٦٥م)، في قرية القلمون على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان[١]. نظم الشعر في صباه وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ، فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له، وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت[٢].

وتجدر الإشارة إلى أنه كان لاطلاعه على مقالات عبده والأفغاني في العروة الوثقى أثر كبير على تنمية توجهاته الإصلاحية وقرار الهجرة إلى القاهرة، وبمباركة من عبده أصدر رضا في العام التالي لوصوله القاهره مجلة المنار.. التي أصبحت صوت عبده وتلاميذه وداعية المشروع الإصلاحي الأكثر تأثيراً في العالم الإسلامي يقرؤها العلماء وأهل الرأي من فاس إلى سنغافورة[٣].

ويرى البعض أنه على الصعيد السياسي كان رشيد رضا من دعاة حركة الجامعة الإسلامية والدولة الدينية والخلافة الإسلامية، ومن ثم فقد بدل ولاءه ما بين الخلافة العثمانية في إستانبول وحركة الشريف حسن[*] في مكة فلما سقطت الخلافة العثمانية على يد أتاتورك ١٩٢٤م وسقط الحكم الهاشمي في الحجاز على يد السعوديين ١٩٢٥م بدل ولاءه إلى الدولة السعودية الوهابية[٤] وقد كتب رشيد رضا في المنار والأهرام عدة مقالات عن الوهابيين والحجاز[*] وذكر فيه الكثير من الهجوم على الشريف حسن وأولاده ودافع فيه باستماتة عن الوهابية وآل سعود كأنهم الخلاص.

---

(١) شكيب أرسلان، إخاء أربعين سنة، دار الفضيلة، دت ، ص.

(٢) الإعلام.. جـ ٦، م س ، ص ١٢٦.

(٣) الإسلاميون ، م س ، ص ٢٧.

(*) طاغوت مكة كما كان يوصفه رشيد رضا في مقالاته والتي جمعت في كتاب باسم "الوهابيون والحجاز"، ط ١ – المنار ١٣٤٤هـ.

(٤) السعودية والإخوان المسلمون، م س ، ص ٣٠.

(*) نشرها بعد ذلك في كتاب بالاسم نفسه ، طبعة المنار ١٣٤٤ هـ.

وفي تفسير لتحول رضا يرى آخرون أنه بعد تجربة قصيرة على رأس.المؤتمر السوري العام فقد الثقة بالهاشميين بسبب ترددهم وخضوعهم للبريطانيين مما يجعلهم غير مؤهلين لقيادة الحركة العربية .. وأخذت كتاباته تُعرب عن الندم للوقوف ضد الدولة العثمانية وعن عداء متزايد للغرب وسياساته، وفي لحظة المرارة تلك وجد رضا في عبد العزيز آل سعود وتوحيده الجزيرة العربية واستقلاله عن المستعمر أملاً جديداً، وكان رضا يرى في نفسه سلفياً مجدداً، وقد رأى في استناد الحركة السعودية إلى تعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب مشتركاً عقدياً، وإصلاحياً[(١)].

وفي مراسلاته مع الأمير **شكيب أرسلان** ما يشير إلى دعم الملك عبد العزيز له وكيف كان السبب في حياته الرغدة والميسورة يقول في أحد خطاباته[(٢)]:

"وقد فاجأتني في الكهولة الحياة الزوجية والعيال والاضطرار إلى الكسب من طبع الكتب التي كان منها المطبوعات السعودية المشترط فيها تصحيحي لأصولها.. وكان الربح العظيم والغنم من هذه المطبوعات أنها جرأتني على شراء الدار بالتقسيط لتكون مستقراً للعيال إذا جاء الأجل وهم صغار، وكان القسط السنوي بعد دفع المقدم من الثمن زُهاء أربعمائة جنيه في السنة على مدة ست سنوات. ولكن كان القسط الشهري من نفقة مطبوعات جلالة الملك مائتي جنيه فلا خوف من العجز لو ظلت المطبوعات متصلة، ومن يعلم ما خبأه القدر للبشر، فجاءت العسرة وانقطعت عنا مطبوعات الملك وغيرها.. وركبتنا ديون فوق أقساط الدار التي صارت تزيد كل سنة بما يُضاف إليها من فوائد التأخير وغيرها من أنواع المصاريف...."، وبدأ يطلب من الحجاز مائتي جنيه سلفة وعندما بدأت السعودية تقبض يدها وتقتر في عطاياها اضطر رشيد رضا إلى رهن داره مقابل ألف ومائتي جنيه ويتوسل لصديقه شكيب أرسلان

(١) الإسلاميون ، م س ، ص ٢٩، ٣٠ .

(٢) إخاء أربعين سنة ، م س ، ص ٥٨٩ .

ليتدخل بنفوذه لدى السلطات السعودية لدعمه مالياً حتى يستمر في أداء المهمة المكلف بها لصالح السعودية دون النظر إلى ما لهذه السلطات من ديون على المنار[1].

ولكن السمة الرئيسية لسنوات حياته الأخيرة كانت مساندته للحركات الوطنية العربية والإسلامية ضد الاستعمار الغربي، تضاءُل "غَرب" الحريات والدستور والعقلانية الذي طالما استلهمه رضا في سِني المنار الأولى ليحل محله "غرب" جشع يشكل أكبر الخطر على حياة المسلمين ووطنهم[2].

أما وفاته فكانت بعد ظهر الخميس يوم ٢٢ أغسطس ١٩٣٥ م في أثناء عودته من السويس إلى القاهرة حيث كان يودع ولي العهد السعودي سعود بن عبد العزيز آل سعود[3].

أقوال عنه:

ويقول عن الشيخ بعض أنصاره في إطار مديحهم له: "ومما لا شك فيه أن الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله قد تأثر في بدايات حياته بمنهج الشيخ محمد عبده العقلي، وبعد وفاة شيخه هداه الله للسنة ومنهج السلف الصالح[4].

ويقول عنه أيضاً د. محمد فتحي عثمان: "وكان محمد رشيد رضا أعلم بنهج السلف، وأحرص على الالتزام من شيخه محمد عبده، فقد عمد إلى مزيد من العناية بالسنة في تفسير القرآن بعد وفاة شيخه محمد عبده[5].

---

(١) السعودية والإخوان المسلمون ، م س ، ص ٣٥ بتصرف بسيط .

(٢) الإسلاميون ، م س ، ص ٣٠.

(٣) إخاء أربعين سنة ، م س ، ص ٤ .

(٤) مجلة التوحيد ، عدد ٤٦٠ ، ربيع الآخر ١٤١٣ هـ ، ص ٢٧.

(٥) د.محمد فتحي عثمان ، السلفية في المجتمعات المعاصرة ، دار القلم للنشر والتوزيع ، ط ١٩٩٢ ، ص ٨١.

ويرى البعض أن الشيخ محمد رشيد رضا يقع في بعض التأويلات العقلية، أو يرد بعض الأحاديث النبوية، أو قد يخالف منهج السلف في بعض العقليات والنقليات أحيانًا[1].

وهنا نكرر أن الشيخ محمد رشيد رضا كان آخر أطراف السلسلة الباعثة للسلفية في مصر بعد الشيخ جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده، وقد تتلمذ على يدي الشيخ رشيد رضا الحلقة الثانية من السلفيين في مصر ومن أبرزهم حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين ومحمد حامد الفقي مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية وغيرهم الكثير.

* * *

(١) مجلة التوحيد، عدد ٤٦٠، ربيع الآخر ١٤١٣ هـ، ص ٢٧.

الفصل الثاني

الجمعيات الإسلامية في مصر

ملاحظات حول الجمعيات الإسلامية:

تلعب الجمعيات الإسلامية دوراً هاماً في الحياة المصرية سواء من النواحي الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية، فعلى المستوى الاجتماعي فدورها في رعاية الفقراء والأيتام والعمل الخيري عموماً لا ينكره عاقل، وبسبب مجهوداتها الاجتماعية أصبح لها وجود على أرض الواقع واتصال وثيق من الناس ما جعل علاقاتها هذه بالناس مطمحاً من بعض السياسيين الذين يُعانون من فقر شديد في القاعدة الشعبية مما يجعل مثل هذه الجمعيات مطمعاً للساسة لكي يلتمسوا فيها التأييد لطموحاتهم السياسية وللوجاهة الاجتماعية وذلك عن طريق طُرق عدة مثل الترهيب بسيف السلطة وتدخلاتها للحد من نشاط هذه الجمعيات أو بالترغيب بغض النظر عن بعض ما يحدث فيها من تجاوزات أو بالامتيازات والإعانات التي تمنحها لها الدولة.

وعلى المستوى الاقتصادي فإسهاماتها الاقتصادية عن طريق المشروعات التنموية التي تقيمها بعض هذه الجمعيات تؤثر على الاقتصاد القومي بضخ رأسمالها في شرايينها وما يترتب عليه من خلق فرص عمل للشباب مما يسهم في القضاء على البطالة.

وقد تأخر ظهور الجمعيات الأهلية الإسلامية في مصر إلى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، فقد سبقتها جمعيات ثقافية وعلمية أهلية أخرى، كان أولها الجمعية اليونانية بالإسكندرية عام ١٨٢١م، ثم تأسست جمعية معهد مصر للبحث في تاريخ الحضارة المصرية في عام ١٨٥٩م، وجمعية المعارف في عام ١٨٧٥م (وهي

جمعية ذات مكون ديني تراثي)، والجمعية الجغرافية في عام ١٨٧٥م، وفي عام ١٨٧٨م تأسست (لجنة إعانة فقراء المسلمين الوطنيين) وعندما وضعت هذه اللجنة تحت رعاية الخديوي تغيرت إلى حد ما طبيعة هذا المشروع، كما تغير اسمه من الجمعية الخيرية الإسلامية.. لتصبح أول جمعية أهلية إسلامية في مصر، وكان أبرز رموزها الأستاذ الإمام محمد عبده والزعيم مصطفي كامل وقد تعلم بها كثير من رواد التنوير في القرن التاسع عشر والعشرين.. كما تأسست قبل نهاية القرن التاسع عشر جمعية المساعي المشكورة بالمنوفية، والتي أسسها عدد من الوجهاء والزعماء كعبد العزيز باشا فهمي وأحمد باشا عبد الغفار وغيرهما... وأنشئت المدارس في كل أنحاء الوجه البحري "شمال مصر".[١]

وإذا استعرضنا الأسباب التي دفعت مؤسسي هذه الجمعيات لوجدنا أسبابهم تتلخص في[٢]:

(أ) **الاستشراق والتبشير والاستعمار**: حيث كانت البلاد تُعاني من الاحتلال الأجنبي وما يلازمه من محاولة للهيمنة والسيطرة الثقافية ومحاولة طمس الهوية ولعب المستشرقون دوراً مهماً في هذا المجال مثل:

- محاولات الهمز واللمز في القرآن وبأنه ليس من عند الله.
- وكذلك روجوا الأباطيل حول شخصية الرسول ﷺ خصوصاً حول موضوع تعدد زوجاته وميراث المرأة.
- وقام المستشرقون بالهجوم على اللغة العربية الفصحى لأنها لا تواكب علوم العصر وشجعوا العامية واللهجات المحلية.
- الطعن والتشويه في التاريخ الإسلامي.

(١) هاني نسيرة، الجمعيات الخيرية والإنسانية الإسلامية في مصر دراسة نظرية وميدانية، دراسة مقدمة لمؤتمر باريس للجمعيات الإنسانية والخيرية ٩-١٠/١/٢٠٠٣، منشور على الرابط الآتي: http://www.humanitarianibh.net/conferences/hani.htm

(٢) الجمعيات الإسلامية في مصر ودورها في نشر الدعوة الإسلامية، م س، ص :٦٧: ١١٥ بتصرف.

(ب) أما الأمر الذي لا يقل عما سبق خطورة فكان ما يخص حركة التبشير التي قامت بجهود كبيرة للدعوة إلى المسيحية وذلك عن طريق إنشاء جمعيات تبشيرية تقوم بإنشاء المدارس ورعاية الفقراء والمرضى فتم إنشاء عدة مراكز مثل: المعهد الشرقي وندوة الكتاب ودار السلام والمعهد الفرنسي والجامعة الأمريكية ...

سقوط الخلافة الإسلامية: حيث أدى ذلك إلى:

- إحياء النعرات القومية القبلية.
- منح الامتيازات الأجنبية للدول الأوربية: وهذا ما أدى إلى مزيد من التوغل الأجنبي وإحكام السيطرة.
- الفساد الإداري وتقهقر الأوضاع الاقتصادية واستبداد وظلم بعض الولاة في دولة الخلافة.
- عجزت الخلافة عن إقامة شرع الله وتطبيق حدوده وأهملت اللغة العربية مما أفقدها الشرعية في قلوب المسلمين.

جـ - دعاة العلمانية والتغريب: من مواطنين وأجانب عملوا على الدعوة إلى التغريب وتغييب الخصوصية الثقافية والمحلية والدينية عبر دعوات لتقليد أوروبا ومحاولات محاربة اللغة العربية الفصحى واستبدالها بالعلمانية وإدخال الألفاظ الأجنبية ورفض محاولات التعريب.

د - انتشار البدع والخرافات: وتسربها إلى العقائد والعبادات وتعلق الأمة بهما حتى اعتقد عامة الناس أن مثل هذه البدع والخرافات جزء من العقيدة فتمسكوا بهما وحافظوا عليهما.

هـ - ضعف الأزهر : حيث أدت عدة عوامل داخلية وخارجية أصابت الأزهر **لظهور الجمعيات الإسلامية ومن أمثلة هذه العوامل:**

- استيلاء محمد علي على أوقاف الأزهر وفرضه لرواتب شهرية مما جعل الدعوة وظيفة لا رسالة لدى بعض العلماء.

- نجاح الاحتلال في مُحاربة اللغة العربية، والإعلاء من مكانة اللغة الأجنبية لجذب الناس إليها.
- انشغال الأزهر وعُلمائه بقضايا فكرية وعلمية أبعدته عن مجالات التشريع والقضاء ومن ثم تطبيق الشريعة الإسلامية وتقنينها.
- عدم الحسم في مواجهه البدع والتصدي لها.
- اقتصار الأزهر على الدعوة في المساجد وترك الجامعات والمصانع وغيرها من التجمعات الجماهيرية مما فتح المجال للجمعيات الإسلامية للعمل وتوسيع قاعدتها الجماهيرية .

وبناء على الأهداف السامية التي تتبناها الجمعيات الإسلامية عند تأسيسها والنوايا والآمال التي تُعلق عليها فإننا نجد الواقع العملي غير ذلك:

١. فهدف الجمعية أية جمعية أن تجمع المسلمين وتقربهم ولكن ما يحدث على أرض الواقع أمر آخر فبمجرد حدوث أي خلاف أو وجود رأي مخالف في مسألة ما تتحمل أكثر من رأي نجد أن كل مجموعة تتعصب لرأيها ويعمل كل فريق على تدعيم موقفه بالمؤيدين وسرعان ما ينشق فريق ويكون جماعة أخرى كما أن لهذه الجمعيات أثر في تكوين المناخ الديني الإيجابي أو السلبي وتغذيته وتشكيله والمفترض أن تكون رسالتها التسامح باعتبارها جمعيات تستند إلى الإسلام ذلك الدين الذي يدعو إلى التسامح ولكنها على العكس ما تثير إلا الفتن والانقسامات والتعصب وتأجج روح التعصب والتشدد لدى أتباعها.

٢. تتصارع هذه الجمعيات في مسائل فقهية تتحمل أكثر من رأي وتشتعل المعارك ويغفلون عن المشكلات المجتمعية التي تشغل بال الناس وتهمهم.

٣. انعدام الوجود والدور السياسي وينعدم دور التوجيه والنصيحة للحاكم، وتكون غالباً تابعة له لا تحيد عنه.

٤. ويُؤخذ أيضاً على هذه الجمعيات[1] عفوية السير والارتجال وعدم التخطيط مما أدى إلى عدم تحقيق أهدافها.

٥. انخراط ذوي الثقافات المحدودة وغير المتخصصين في ميدان الدعوة .

٦. عدم بذل أي جهد حقيقي لنشر الإسلام والتعريف به لدى غير المسلمين.

٧. عدم التعاون مع غيرها من الجمعيات وأيضاً الأزهر الشريف .

وتعددت هذه الجمعيات رغم اتحاد أهداف أغلبها ونعرض لبعض أبرز هذه الجمعيات كأمثلة فقط وليس للحصر وهذه الأمثلة ستكون عن: **الجمعية الخيرية الإسلامية** باعتبارها النموذج الأول من حيث التأسيس ووجود شخصية مثل الشيخ محمد عبده ضمن مؤسسيها وكان رئيسها فيما بعد، **والجمعية الشرعية، وجماعة أنصار السنة المحمدية** باعتبارهما الأكثر قرباً وصلة وحفاظاً على المنهج السلفي شكلاً وموضوعاً، وبالنظر إلى صلة مؤسسيهما بالرواد الأوائل للسلفية في مصر. والذي يتشارك في هذه الصلة التاريخية **جماعة الإخوان المسلمين** ومؤسسها **حسن البنا** الذي تأثر كثيراً بالشيخ محمد رشيد رضا ومجلة المنار.

الجمعية الخيرية الإسلامية

والتي أُسست بالقاهرة عام ١٩٨٢ وتعد هذه الجمعية إحدى الخُطوات البارزة في مجال الإصلاح الاجتماعي التي ظهرت في مصر في أعقاب الاحتلال البريطاني لمواجهة الآثار المترتبة على تدهور الحالة الاجتماعية في البلاد[2].

(١) الجمعيات الإسلامية في مصر ودورها في نشر الدعوَة الإسلامية، م س ، ص ٣٥٩.

(٢) د. حلمي أحمد شلبي، فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعي في مصر، سلسلة تاريخ المصريين، ع ١٦، ط : الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٨٨، صفحات ٤٣ ، ٥٦، ٧٤ ، ١١٢ ، ١٠٦ ، ٧٨، ١٠٨ ، ١٧٥، ١٧٦.

وقد قامت الجمعية بأقدم محاولة في تاريخ التعليم في مصر تهدف إلى نشر التعليم بالمجان في أواخر القرن التاسع عشر بعد أن أصبح الأطفال الفقراء محرومين من الالتحاق بالمدارس الحكومية بسبب المصاريف.

والجدير بالذكر أن الشيخ محمد عبده كان على رأس لجنة قامت بصياغة هذا البرنامج ووضعت الخطوط الرئيسية لبرنامج التعليم في مدارس الجمعية وضمان سير التعليم على أساسها، وقد تولى محمد عبده رئاسة الجمعية عام ١٩٠٠ م.

ومن حيث التمويل فقد كان من جمع التبرعات حيث تكون فريق من أبرز أعضاء الجمعية يتولى جمع التبرعات من الهيئات والأفراد .

ولم يكن التبرع يقتصر على المواطنين فقط بل كان هناك تبرعات لأجانب بمبالغ طائلة حرص أصحابها على عدم ذكر أسمائهم. ولم تكن الحالة المالية للجمعية مستقرة بل عانت من العسرة في فترات وفترات مثل ما كان فترة الحرب العالمية الأولى.

وحتى عام ١٩٥٢م كانت المشروعات الخيرية قد تأثرت على نحو واسع بسياسة الجمعية المالية وحين قامت ثورة ٢٣ يوليو، ازداد تأثر الأوضاع المالية للجمعية بقوانين الإصلاح الزراعي وبحث مجلس الإدارة في جلسة ٢ نوفمبر ١٩٥٢م هذه المسألة وقرر الاحتفاظ بمائتي فدان من الأطيان الواقعة بزمام ناحية الإدارة وبيع ما يزيد عن هذا القدر .. وعام ٥٧ كان قد تم تعديل اللائحة الأساسية للجمعية بشكل كامل فاقتصر دورها على بر ورعاية الفقراء.

وكان للفقراء نصيب من نشاط الجمعية فلم يمض على تأسيس الجمعية سوى أيام قليلة حتى فكر مؤسسو الجمعية في بحث وتحقيق حالة الفقراء وتطبيق قاعدة لبذل الإعانة لهم واعتمدت على التقارير أو البحوث المقدمة من أعضاء اللجان وعلى الطريقة غير المنتظمة في صرف هذه الإعانات.

المبحث الأول

الجمعية الشرعية[1]

لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية

أسسها الشيخ محمود خطاب السبكي في غرة المحرم ١٣٣١هـ الموافق ١١ ديسمبر ١٩١٢ م فكانت بذلك أول جمعية منظمة تدعو إلى إحياء السنة وإماتة البدعة، واستحق مؤسسها بأن يطلق عليه أتباعه إمام أهل السنة ذلك اللقب الذي استمر مع خلفائه. وحتى تنطلق مسيرتها بعيدة عن نوازع الانحراف عمد إلى وضع الضوابط والقوانين التي تضمن استقامتها على الطريق السوى، وكان ذلك قبل أن تضع وزارة الشؤون الاجتماعية نظم الجمعيات الأهلية.

ولم يشأ – رحمه الله – أن يستقل بوضع هذا القانون، فأشرك معه أفاضل العلماء حيث يقول عن ذلك: ولقد فكر طويلاً جمع من أفضل العلماء في إبراز جمعية لا عمل لها إلا التعاون على البر والتقوى عملاً بقوله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى)، ثم يقول: فتمّموا ما فكروا فيه على صورة لا تصل إليها يد عابث، ولا تقف أمامها حيلة محتال، وسموها: "الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية"، ووضعوا أساسها، ورتبوا نظامها وسنوا قانونها ثم قال: "فمن ينتسب إلى هذه الجمعية لا بد أن يكون التعاون مبدؤه، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله، وأن يكون رجلاً ذا رأي وفكر يستطيع أن ينتخب من له قدم في عمل الخير وهمة في دعوة الناس إلى الخير".

وتولى رحمه الله – بما كان له من خبرة قضائية – وضع هذا القانون في إطاره التنظيمي موزعاً على مواد منضبطة مفصلة حتى تنطلق المسيرة على هدى وبصيرة، وقدم لهذا القانون مسوغات تكوين هذه الجمعية مما آلت إليه حال الأمة حيث قال في مقدمة هذا القانون: (لقد علم القاصي والداني ما وصلت إليه حال الأمة

(١) جميع المعلومات الواردة من موقع الجمعية الشرعية الإلكتروني http://www.alshareyah.org

الإسلامية من الذلة بعد العزة، والجهل بعد العلم، والفقر بعد الغنى، والتفرق والانقسام بعد الاتحاد والائتلاف، وما ذلك إلا لانصرافهم إلى اللذات، وحب أكبرهم للشهرة، وعملهم بآرائهم في كل شيء حتى فيما يتعلق بأمور الآخرة، فغيروا وبدلوا حتى شوهوا محاسن الدين، غير أن الله سبحانه يقيض للأمة في كل زمن من ينذرها، ويذكرها بتعاليم دينها، ويلفت نظرها إلى إحياء ما درس، وتشييد ما هدم).

وهنا يستشعر الحاجة إلى بيان ما يطلب من المسلمين لإعادة ما درس، وتشييد ما هدم، فَيُذَكِّر بالبذل والتضحية، كما فعل الصحابة من المهاجرين والأنصار فيقول – رحمه الله – "فهل لكم أيها العاملون بالسنة المحمدية إلى أن تكونوا كما كان أصحاب النبي – صلي الله عليه وسلم – أيام بدء الإسلام، فقد روى البخاري عن أبى مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: كان رسول الله – ﷺ – إذا أمرنا بالصدقة انطلق أحدنا إلى السوق فيحمل - أي يحمل على ظهره سلعاً ويبيعها ليكسب ما يتصدق به فيصيب المد فيتصدق - وهل لكم أيها الموسرون إلى أن تنفقوا كما أنفق أبو بكر وعمر وعثمان.. هل لكم أيها المطمئنون في دياركم أن تفعلوا كما فعل الأنصار بالمهاجرين؛ حتى يتم الله نوره ولو كره الأشحاء؟".

أغراض الجمعية

ثم حدد في هذا القانون أغراض الجمعية بما يأتي:

١. نشر التعاليم الدينية الصحيحة والثقافة الإسلامية ؛ لإنارة العقول وإنقاذ المسلمين من فساد المعتقدات، وخسيس البدع والخرافات، بموالاة الوعظ والإرشاد، من رجال عرفوا بالعلم والعمل.

٢. فتح مكاتب لتحفيظ القرآن الكريم، ومدارس لتعليم أبناء المسلمين أحكام الدين وآدابه، وسائر المواد المقررة في المدارس الأميرية تعليماً يتماشى مع روح العصر، ولا يتنافى مع مبادئ الدين.

٣. إنشاء المساجد لتقام فيها الشعائر الدينية طبق ما جاء به الدين القويم، وتُعلّم فيها العامة أحكام الدين.

٤. إصدار مجلة دينية لنشر الموضوعات الدينية والأخلاقية والأدبية وغيرها، ودفع الشبهات والطعون التي توجه إلى دين الإسلام الحنيف.

٥. طبع ونشر ما يرى نافعاً ومساعداً في تثقيف العقول وتهذيب النفوس من المؤلفات الدينية وغيرها.

٦. إعانة المنكوبين والبائسين ممن ينتسبون إلى الجمعية ولا سيما من لا يتمكن من العمل بمهنته لتمسكه بدينه.

٧. إيجاد مستشفى لمعالجة فقراء المسلمين ونشر المبادئ الدينية بينهم.

٨. القيام بنفقة تجهيز موتى المسلمين الفقراء، وإعداد مقابر شرعية لمواراتهم ما استطاعت الجمعية إلى ذلك سبيلاً.

٩. تضامن كل من ينتسب إلى الجمعية في التعامل بحيث ينحصر تعاملهم فيما بينهم على حسب الإمكان؛ ليأمنوا من غش الأجانب وتطمئن قلوبهم للتعامل.

١٠. لا تتعرض هذه الجمعية للشؤون السياسية التي يختص بها ولي الأمر .

العضـــوية

يشترط في العضو الذي يريد أن ينتسب إلى الجمعية الشرعية أن يكون:

١- له عمل يكتسب منه مالاً حلالاً ينفق منه على نفسه وأهله ويتصدق منه ما أمكن.

٢- ليّن الطبع، يألف ويؤلف ولا يتدخل فيما لا يعنيه وليس بفظ ولا غليظ .

٣- شريفاً عفيفاً أميناً على مبادئ الجمعية ومواردها ومصارفها .

٤- هادئاً في مناقشاته مستهدفاً منها المصلحة العامة .

٥- حريصاً على طلب العلم والعمل بما يعلم من شرع الله .

٦- محافظاً على الفرائض في وقتها حريصاً على السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ .

٧- بعيداً عن المحظورات والمكروهات الشرعية .

٨- ذاكراً لله في كل أحواله ليبتعد عنه الشيطان مجدداً لنية العبادة في أنشطته الدنيوية.

٩- محافظاً على حقوق إخوانه وعلى مشاعرهم وكرامتهم .

١٠- رحب الصدر واسع الحلم مع من يدعوه إلى الله مهما كان مجادلاً أو سفيهاً.

١١- سلفي العقيدة لا يحكم على الخلف بفسق أو ابتداع ما داموا مؤمنين بأنه سبحانه ليس كمثله شيء .

١٢- ناشراً للعلم الصحيح قاطعاً لأعذار الجاهلين.

١٣- مستشعراً لهموم الأمة عاملاً على رفعة شأنها باذلاً لجهده ووقته وماله في سبيل نهضتها . غير متعصب لمذهب فقهي معين ولا يحتج بمذهب على مذهب آخر ؛ فكل مذاهب أهل السنة معتمد على فهم صحيح النصوص .. غاية الأمر أن هناك ما هو صحيح وأصح وراجح وأرجح .

أئمـة الجمعيـة

الإمام الأول المؤسس الشيخ / **محمود محمد خطاب السبكي** ولد في سبك الأحد من أعمال محافظة المنوفية وظل يباشر أطيان أبيه إلى أن بلغ سن العشرين ثم تعلم القراءة والكتابة في زمن يسير وحين طلب للتجنيد ذهب به أخوه إلى الأزهر فتعلق بالعلم وأخلص في التلقي والاستيعاب، حتى حصل على العالمية بجدارة وتفوق، ثم قام بدعوته في إحياء السنة وإماتة البدعة. وألف هذه الجمعية سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٢م ، ووضع لها قانونها وأغراضها ونظامها، وقاوم المنتفعين بهذه البدع وجذب إلى دعوته الفاقهين النابهين من علماء الأزهر وطلابه ومن تجار الخيامية ورجال بلدته وأتبع دعوته الإصلاحية بالعمل الجاد المثمر فأنشأ مصنع المنسوجات الشرعية نواة

للاستقلال الاقتصادي وتشغيل الأيدي العاملة وشاء الله أن ينتقل هذا الإمام الجليل إلى رحاب ربه يوم الجمعة الموافق ١٤ من ربيع الأول ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م .

الإمام الثاني الشيخ/ **أمين محمود خطاب** – المدرس بكلية الشريعة هو نجل الإمام الأول محمود خطاب السبكي أكمل تراث أبيه العلمي وحققه ووثقه ونشر الدعوة في ربوع مصر وكان عالماً فقيهاً، توفي في ٢٧ من ذي القعدة ١٣٨٧ هـ/ ٢٦ من فبراير ١٩٦٨ م.

الإمام الثالث الشيخ / **يوسف أمين خطاب** هو ابن الإمام الثاني أمين محمود خطاب السبكي تولى المسؤولية عقب وفاة أبيه وسار على نهج أبيه وجده على هدى من الله وتوفيقه، حتى وافته المنية يوم الاثنين ٣٠ من شهر صفر ١٣٩٦ هـ الموافق الأول من مارس ١٩٧٦ م .

الإمام الرابع الشيخ / **عبد اللطيف مشتهري إبراهيم** : نهضت في عهده مشروعات الجمعية وظل في جهاده ودعوته الإصلاحية إلى أن انتقل إلى رحاب ربه يوم الاثنين غرة ربيع الآخر ١٤١٦هـ الموافق ٢٨من أغسطس ١٩٩٥م.

الإمام الخامس الشيخ/ **محمود عبد الوهاب فايد**: ومع قصر مدته في الإمامة كان له أثر فعال في ميدان الدعوة والعمل الصالح، وكانت وفاته يوم الأربعاء الموافق ٦ من شهر صفر ١٤١٨هـ الموافق ١١/ ٦/ ١٩٩٧م .

الإمام السادس الأستاذ الدكتور / **فؤاد علي مخيمر** الأستاذ بجامعة الأزهر وتابع مسيرة الدعوة في الجمعية مواكبة للعصر في أحداثه العالمية والمحلية وأولى المشروعات الاجتماعية اهتماماً بالغاً وظل يباشر مسؤوليته حتى انتقل إلى رحاب ربه صباح يوم الجمعة ١٣من شهر صفر ١٤٢٣هـ الموافق ٢٤من إبريل ٢٠٠٢م.

الإمام السابع الأستاذ الدكتور / **محمد المختار محمد المهدي**.

نشاطات الجمعية

تقوم الجمعية بعدة نشاطات بداية من معاهد إعداد الدعاة والقراءات، عدد معاهد القرآن الكريم والقراءات ٢١ معهداً موزعة على ثلاث عشرة محافظة وتقيم عدد من المشروعات الاجتماعية الخاصة بكفالة الطفل اليتيم وتيسير زواج اليتيمات ورعاية المسلم المعاق ورعاية طالب العلم واستضافة الفتيات اليتيمات والمغتربات والمقابر الشرعية وتشغيل أمهات الأيتام وقوافل الخير ومشروع تربية رؤوس الماعز وتشارك الجمعية أيضاً بعدد من المشروعات الطبية الخاصة بـ:

علاج مرضى الفشل الكلوي ومركز الأشعة التشخيصية ورعاية الأطفال المبتسرين وتشخيص وعلاج أمراض العيون بالليزر ومركز جراحة المناظير ومناظير الجهاز الهضمى وحقن دوالى المرىء والقوافل الطبية، وللجمعية عدة مشروعات تعليمية تتمثل في تحفيظ القرآن الكريم ومدارس الجمعية الشرعية لمحو الأمية وتعليم الكبار، وإدارة الأزمات.

أهم الانتقادات الموجهة إلى الجمعية:

تتشارك كل الجمعيات الدينية في أوجه القصور وكأن كل جمعية تُقام لا تنظر إلى ما سبقها من جمعيات وتتعلم من أخطائها وتحاول أن تتفاداها، فبرغم أن لكل جمعية أسباباً لنشأتها تقوم بناءً على العيوب التي يجدها المؤسسون، فإنه بمرور الأيام تقع هذه الجمعيات في نفس الأخطاء التي سبق وانتقدتها؛ وعليه فالنقد الموجه إلى الجمعية الشرعية وما سوف يذكر بعد قليل في نقد جمعية أنصار السنة المحمدية فهو تتشارك فيه كلتا الجمعيتين وغيرهما وعليه فقد اتخذ على الجمعية الشرعية عدة أمور مثل:

١. الاقتصارعلى العقائد والعبادات دون الاهتمام بقضايا المجتمع، وموضوعاتها مكررة وكلما عفا عليها الزمن عادت من جديد بنفس الأسلوب القديم.

٢. حرمان عضو الجمعية من الاشتغال بالأمور السياسية.

٣. الخلافات بين الجمعية الشرعية وسائر الجمعيات: ومن أمثلتها الخلاف بينها وبين أنصار السنة والاختلاف والصراع بينهما حول آيات الصفات التي جعلوها ميداناً للصراع[١].

٤. الخطاب السياسي لمجلات هذه الجمعية ولبعض دعاتها في المساجد قائم على أسلوب الإصلاح الجزئي العشوائي، فهو لا يطالب بتغيير شامل ومتكامل كما أنه لا يطرح برنامجاً متكاملاً ومحدداً للإصلاح أياً كان جوهره، بل يكتفي بتوجيه النقد للعديد من الجوانب السلبية وقضايا الفساد والفشل السياسي والاقتصادي وإن كان تركيزهم الأكبر على قضايا الفساد الأخلاقي، ويقتصر تناولهم لأي من هذه القضايا على بعض جوانبها الجزئية دون الإطار الكلي لها الذي ينظمه النسق السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي العام. [٢]

(١) الجمعيات الإسلامية في مصر ودورها في نشر الدعوة الإسلامية ، م س ، ص ١٥٨.

(٢) خريطة الحركات الإسلامية في مصر، م س ، ص : ٢٦.

المبحث الثاني

جماعة أنصار السنة المحمدية

التعريف :

هي "جماعة إسلامية سلفية قامت في مصر أولاً ثم انتشرت في غيرها للدعوة إلى الإسلام على أساس من التوحيد الخالص والسنة الصحيحة لتطهير الاعتقاد ونبذ البدع والخرافات كشرط لعودة الخلافة ونهضة الأمة الإسلامية."[1]

وهي من الجمعيات التي أسهمت في ميدان الدعوة الإسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجري وتعتبر الجماعة امتدادًا لمدرسة الإمام ابن تيمية وابن القيم والإمام محمد بن عبد الوهاب كما انفردت دون غيرها بنقل وتحقيق كتب المدرسة السلفية[2].

والجماعة تهتم بأمور العقيدة والتوحيد ولا تهتم بشؤون السياسة وتعد هذه المدرسة امتداداً للمدرسة السلفية السعودية التي تعتبر معركتها ضد تيار التغريب الثقافي[3].

كما قد زاد نفوذ أنصار السنة في السبعينيات[4] كما يذكر بعض المتابعين لظاهرة الحركات الإسلامية.

أسس الشيخ حامد الفقي – مؤسس الجماعة وأول رئيس لها - مجلة الهدي النبوي لتكون لسان حال الجماعة والمعبرة عن دعوتها والناطقة بمبادئها، وتولى هو رئاسة تحريرها. ومع تطور أعمال جماعة أنصار السنة المحمدية الدعوية أنشأ الشيخ

(١) الموسوعة العربية على الإنترنت http://encyclopedia.aarabiah.net/ansaarsona-almohmedia

(٢) الجمعيات الإسلامية في مصر ودورها في نشر الدعوة الإسلامية، م س ، ص ١٧٧.

(٣) الحركات الإسلامية في الوطن العربي، م س ، ص ٢٤.

(٤) د. محمد مورو، تنظيم الجهاد، ص ١٥.

الفقي مطبعة السنة المحمدية لنشر كتب السلف وبوجه خاص كتب ابن تيمية وابن القيم.

انتشرت دعوة أنصار السنة في العديد من البلدان الأفريقية مثل السودان وأرتيريا وأثيوبيا وتشاد وأفريقيا الوسطى.

وعن الشيخ محمد حامد الفقي يقول السيد محمد رشيد رضا فيه "والشيخ حامد من الذين يترددون عليَّ كثيراً، ويعد نفسه من أولادنا السلفيين"[1]

التأسيس [2]

– تأسست جماعة أنصار السنة المحمدية عام (١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٦م) بمدينة القاهرة، على يد الشيخ محمد حامد الفقي وبمشاركة مجموعة من إخوانه: الشيخ محمد عبد الوهاب البنا، محمد صالح الشريف، عثمان صباح الخير، حجازي فضل عبد الحميد في الوقت الذي كانت تعج فيه مصر ومعظم بلدان العالم الإسلامي بالشركيات والبدع والخرافات بسبب تسلط التصوف والصوفية على المناحي الفكرية والمؤسسات الدينية، فكان تأسيس الجماعة للدعوة لتجديد الدين على أساس من التوحيد الخالص والسنة الصحيحة ومحاربة الشرك والبدعة في كل صورها.

ولعب الشيخ محمد حامد الفقي الدور الأبرز والأهم في وجود جماعة أنصار السنة ككيان حي وقد ولد الشيخ محمد حامد الفقي بقرية نكلا العنب في سنة ١٣١٠هـ الموافق ١٨٩٢م بمركز شبراخيت مديرية البحيرة في بيت علم ودين، وكان والده زميلاً في الدراسة للشيخ محمد عبده، حفظ القرآن وكانت دراسته

---

(١) إخاء أربعين سنة، م س ، ص ٥٤٧.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص ١١٠ :١١٨ بتصرف بسيط.

بالأزهر في عام ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٤م، وفي عام ١٩١٧م حصل الشيخ على شهادة العالمية من جامعة الأزهر، وانطلق بدعوته إلى التوحيد الخالص والدفاع عن السنة من خلال مسجد شركس بالقاهرة الذي تولى إمامته ثم من مسجد هدّارة الذي ظل إماماً له حتى وفاته.

وفي أثناء ثورة ١٩١٩ م كان له موقف فيها بأن خروج الاحتلال لا يكون بالمظاهرات التي تخرج فيها النساء متبرجات والرجال، ولا تحرر فيها عقيدة الولاء والبراء لله ولرسوله ولكن بالرجوع إلى سنة الرسول وترك ونبذ البدع"[1].

ومن خلال المقاهي والمنتديات في القاهرة زاد التفاف الناس حول دعوته مما عرضه وأتباعه إلى المزيد من المضايقات والاضطهاد من أصحاب الطرق الصوفية وأهل الضلال. وبدأ تفكيره لإنشاء جمعية افتتحت في ديسمبر ١٩٢٦م تحت اسم "دار جماعة أنصار السنة المحمدية" واختير رئيسًا لها، فأخذت الدعوة بعدًا آخر وزاد عدد أتباعها، مما أثار حنق بعض كبار موظفي قصر الحكم بعابدين على الشيخ، فعملوا بكل السبل لصد الناس عنه وعن دعوته، لدرجة دفع بعض المأجورين لمحاولة قتله. وفي أثناء سفر المؤسس إلى الحجاز لمدة ثلاث سنوات اعترت الجماعة فترة ركود.

وبعد عودة الشيخ من الحجاز دب النشاط في الجماعة مرة أخرى حيث وضع لها قانوناً وكون لها إدارات جديدة، فزاد عدد الفروع داخل القاهرة والجيزة وانتقلت إلى الإسكندرية وبعض المحافظات وبلغ أتباعها الآلاف، وبعد ذلك أسس مجلة الهدي النبوي لتكون لسان حال الجماعة وتولى هو رئاسة تحريرها، وشاركه في تحريرها عدد من العلماء المعروفين أمثال المحدث الشيخ أحمد شاكر، والأستاذ محب الدين الخطيب، والشيخ محيي الدين عبد الحميد، والشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر وغيرهم. وأنشأ بعد ذلك مطبعة السنة المحمدية لنشر كتب السلف وبوجه خاص

(١) مجلة التوحيد، عدد ٤٦٠، ربيع الآخر ١٤١٣ هـ، ص ٢٣.

كتب ابن تيمية وابن القيم، فجمعت محبته لهما بينه وبين شيخي الأزهر الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد المجيد سليم، اللذان أيدا دعوة الشيخ الفقي.

اشتد الصراع بين الجماعة وأصحاب الطرق الصوفية من ناحية وبين الجماعة وأصحاب دعوات التغريب والعلمنة من ناحية أخرى، فعلا صوت الشيخ في الإنكار عليهم وعلى واضعي القوانين الوضعية حيث يقول: "من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء، والفروج، والأموال، ويقدمها على ما علم وتبيَّن له من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو بلا شك كافر مرتد، إذا أصر عليها، ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله، ولا ينفعه أي اسم تسمى به، ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام والحج ونحوها" . توفي فجر الجمعة ٧ رجب ١٣٧٨هـ الموافق ١٦يناير ١٩٥٩م في دار الجماعة حيث نقل إليها حسب رغبته لصلاة الفجرعلى أثرعملية جراحية أجريت له.

آراء في الشيخ محمد حامد الفقي:

عقدت جماعة أنصار السنة المحمدية[(١)] مؤتمراً عن الشيخ رحمه الله يوم الأحد من ربيع الأول ١٤١٣هـ الموافق٢٨/ ٢/ ٢٠١٠م قالوا فيه عنه مُبينين دوره وفضائله:

١. **فتحي أمين عثمان:** الشيخ رحمه الله قد شبَّ في زمن كثرت فيه البدع والخرافات في كل مناحي الحياة عقيدة وعبادةً وسلوكًا وخُلقًا، فطفق الشيخ يحاول الإصلاح، ونشر العقيدة الصافية، وإحياء السنن، وإماتة البدع، فأنشأ مجلة الإصلاح في مكة المكرمة، ثم سعى إلى تأسيس وإصدار مجلة الهدي النبوي؛ لتكون منارة للتوحيد والسنة، تنشر الحق والهدى في زمن جفَّت فيه منابع الخير والرشاد.

٢. **د.عبد العظيم بدوي** : موضوعات العقيدة والاتباع وترك البدع والخرافات كانت الأبرز والأكثر في إنتاج الشيخ العلمي، إلا أنه كانت له جهود طيبة في

(١) مجلة التوحيد، عدد ٤٦٠ ، ربيع الآخر ١٤١٣ هـ، ص ٢٣: ٢٧.

الفقه، فقد قام رحمه الله بنشر العديد من المقالات والبحوث الفقهية في «شرح أحاديث الأحكام»، واستمر في نشر هذه المقالات ووصل في شرحه إلى كتاب الطهارة، ولعل توقفه عند ذلك وعدم إكماله كان بسبب انشغاله بقضايا التوحيد الكبرى، وهدم البدع والخرافات.

٣. **معاوية محمد هيكل**: جعل الدعوة إلى الله تعالى شغله الشاغل، قاصدًا هداية الناس إلى دين الله تبارك وتعالى، فدعا إلى نبذ الخرافات والشركيات، والتمسك بالعقيدة الصحيحة والسنة الثابتة ولجأ إلى بعض الأساليب الجديدة في الدعوة في زمانه؛ فقد كان يذهب إلى المقاهي، وكانت في ذلك الزمن يرتادها علية القوم من كبار الموظفين والكُتاب والمثقفين والتجار فكان يذهب إليها ويدعوهم إلى الله تعالى.

٤. **الشيخ أسامة سليمان**: دعوة الشيخ العقيدة السلفية، تلك العقيدةُ الصحيحةُ التي هي أَساس هذا الدِّين، وكل ما يُبنى على غير هذا الأَساس فمآلهُ الهدم والانهيار.

٥. **م .محمد عاطف التاجوري** : وفي التفسير تأثر بمنهج الشيخ محمد رشيد رضا حيث كان من المعاصرين له، وقد قام الشيخ محمد حامد الفقي بتدريس مادة التفسير في المدرسة التي أنشأها الشيخ محمد رشيد رضا لإعداد طلبة العلم والعلماء المجتهدين وقام الشيخ محمد رشيد بإكمال تفسير الإمام محمد عبده الذي كان يلقيه بالأزهر ويحرره رشيد رضا والمسمى تفسير المنار، حتى أواخر سورة يوسف، ثم أكمل الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله تفسير المنار بعد وفاة الشيخ محمد رشيد رضا بداية من سورة الرعد، حتى أول سورة الإسراء، ثم توفي الشيخ حامد رحمه الله، وتابع الشيخ عبد الرحمن الوكيل التفسير عبر مجلة الهدي النبوي . وكان الشيخ رحمه الله يفسر القرآن بما جاء في القرآن، فإن لم يكن فبما صح من السنة المطهرة، فإن لم يجد ففي أقوال صحابة رسول الله ، ثم بأقوال السلف الصالح من أئمة التفسير، ثم باللغة العربية .

وقد تواكب على رئاسة الجماعة بعد وفاة مؤسسها الشيخ محمد حـامد الفقى عام ١٩٥٩ م عدة أسماء هامة هي:

- الشيخ/ عبد الرزاق عفيفي : ١٣٣٢ ـ ١٤١٥هـ (١٩٤٠ ـ ١٩٩٤م) حصل على الماجستير في الفقه وأصوله (الدكتوراه) من جامعة الأزهر وعمل مدرسًا في المعاهد العلمية الأزهرية.

- الشيخ عبد الرحمن الوكيل: (١٣٣٢ ـ ١٣٩٠هـ) (١٩١٣ ـ١٩٧١م) : تلقى تعليمه في الأزهر وحصل على الإجازة العالية من كلية أصول الدين وفي عام ١٩٦٩م أدمجت الحكومة المصرية جماعة أنصار السنة المحمدية في الجمعية الشرعية لتجمد نشاطها، ثم جاء الشيخ محمد عبد المجيد الشافعي المعروف بـ "رشاد الشافعي" (١٣٣٨ ـ ١٤١١هـ) (١٩١٩م ـ ١٩٩٠م) والذي يعد المؤسس الثاني للجماعة وكان يشغل منصب سكرتير عام الجماعة والمشرف على الفروع قبل تجميد نشاطها، والذي أعاد إشهار الجماعة مرة أخرى في عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٢م.

في عام ١٩٧٥م وفي حياة المؤسس الثاني للجماعة الأستاذ محمد رشاد الشافعي تم انتخاب الشيخ محمد علي عبد الرحيم رئيسًا للجماعة خلفًا له ومن ثم ترأس الشيخ رشاد الشافعي فرع الجماعة بمحافظة الجيزة حتى وفاته عام ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

- وبعد ذلك تولى الشيخ صفوت نور الدين (١٣٦٣ إلى ١٤٢٣ هـ - ١٩٤٣ إلى ٢٠٠٢م) أمور الجماعة حتى توفاه الله عام ٢٠٠٢.

ثم تبعه في رئاسة الجماعة الدكتور جمال المراكبى حتى عام ٢٠٠٩.

- يرأس الجماعة الآن عبد الله شاكر .

أهداف الجماعة

* وقد لخص الشيخ محمد حامد الفقي أهداف الجماعة كما يلي[1]:

١. دعوة الناس إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع أرجاس الشرك وأدرانه وشوائبه، وإلى حب الله تعالى حباً صحيحاً صادقاً، يتمثل في طاعته وتقواه، والوقوف عند أمره ونهيه.

٢. إرشاد الناس إلى أخذ دينهم من نبعيه الصافيين: صريح الكتاب، وصحيح السنة.

٣. إرشادهم إلى أن نصوص الكتاب والسنة لا محيد عنها البتة وأن دين الله محصور في ظاهر هذه النصوص التي قضت حكمة الله أن ينيط بها صلاح خلقه في دينهم ودنياهم، فألزمهم اتباعها، ونهاهم عن اتباع ما تشابه منها ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

٤. الدعوة إلى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًا صادقًا صحيحًا، يحمل على اتخاذه مثلاً أعلى، وأسوة حسنة والاقتداء به في عبادته وأحكامه ومعاملاته وأخلاقه، ومجانبة كل ما لم يكن عليه أمره وأمر أصحابه، وتقديم قوله على كل قول.

٥. إرشادهم إلى أن الحكم بغير ما أنزل الله هلكة في الدنيا وشقوة في الآخرة، وأن الله أعلم بمصلحة عباده حيث أنزل لهم شرعاً يحيط بهذه المصلحة من جميع جهاتها.

٦. الدعوة إلى مجابهة البدع ومحدثات الأمور.

٧. محاربة الخرافات والعقائد الفاسدة التي دسها العدو لمحاربة هدي الله الذي حصره في الكتاب والسنة، والعمل على هداية الناس إلى الحقائق الكونية والدينية التي لا تقبل شكاً ولا جدلاً.

---

(١) عادل السيد، الحاكمية والسياسة الشرعية عند شيوخ جماعة أنصار السنة المحمدية، (منشورات إدارة تحقيق التراث بالمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية)، ط١ - ٢٠٠٩، ص ٢٦ :٣٣ بتصرف.

٨. الحياة الدنيا والآخرة مرتبطة كل واحدة منها بالأخرى أوثق رباط، وكلتاهما مرتبطتان أقوى رباط بتلاوة القرآن حق تلاوته، وفهمه وتدبره والعمل به، والحذر كل الحذر من الشرك والكفر الذي يصفه ويحذر منه.

٩. الله تعالى وصف الخير ووعد فاعله بالخير والمغفرة في الدنيا والآخرة، ووصف الشر وأنذر آتيه اللعنة وسوء الدار.

١٠. الفسوق والعصيان وانتهاك الحرمات نتيجة لعدم الإيمان بالله واليوم الآخر.

١١. الالتزامات التي ألزم الله بها عباده أمرًا أو نهيًا ليست إلاّ رحمة بهم.

١٢. تحريم تشريف القبور والبناء فوقها واتخاذها مساجد والطواف حولها والتمسح بها والنذر لها.

١٣. الإيمان بصفات الله وأسمائه كما هي دون تأويل أو تمثيل .

١٤. التمسك بالرجولة لاستمرار القوامة على النساء.

١٥. أصل الفساد هو السماح للنساء بارتياد الملاهي والمراقص.

وجاء في لائحة الجماعة فيما يتعلق بالأهداف العامة واستراتيجية العمل:[١]

- توثيق روابط الإخاء والتضامن بين الجماعة والجمعيات الإسلامية الأخرى.
- التعاون مع مختلف الهيئات العلمية والثقافية على إحياء التراث الإسلامي.
- تنشئة الشباب تنشئة دينية وثقافية واجتماعية.

وقد تضمن غلاف مجلة التوحيد عدداً من الأهداف الأخرى تسعى إليها الجماعة ومنها :

- الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب وإلى حب الله تعالى حباً صحيحاً صادقاً يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلّم، حباً صحيحاً صادقاً يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

(١) موسوعة المعرفة، http://kb.qcat.net/index.php?page=index_v2&id=1010&c=74

- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين، القرآن والسنة الصحيحة ومجانبة البدع والانحرافات ومحدثات الأمور.
- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط، عقيدة وعملاً وخلقاً.
- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل شرع غيره في أي شأن من شؤون الحياة معتد عليه سبحانه منازع إياه في حقوقه.

وفي مجال الفكر السياسي للجماعة رؤيتها التي يعبر عنها الدكتور جمال المراكبي في كتاب الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة إصدار إدارة الإعلام - لجنة البحث العلمي بالجماعة في مصر. فيقول: «فالنظام السياسي الإسلامي ليس نظاماً ديمقراطياً بحال، وهو يختلف مع الديمقراطية في الأسس والمبادئ خلافاً غير يسير.

- النظام السياسي الإسلامي ليس نظاماً شمولياً.

وليس نظاماً اشتراكياً ولا يقترب من الأنظمة الديكتاتورية سواء منها الديكتاتوريات المذهبية والديكتاتوريات القيصرية.

- إن للنظام الإسلامي ذاتيته الخاصة، فلا يجوز أن ندرجه بحال تحت قسم من هذه الأقسام، ولا ندرجه داخل نظام من تلك النظم، إن النظام السياسي الإسلامي نظام إسلامي بحت لا علاقة له بالثيوقراطية ولا بالأتوقراطية، ولا بالديمقراطية ولا بالاشتراكية.

وللجماعة أنشطة حددتها فيما يلي[1]:

أولاً: النشاط الدعوي.

ثانياً: أعمال البر والإحسان.

---

(١) موقع الجماعة على الإنترنت.

النشاط الدعوي يتمثل في:

(أ) مجلة التوحيد.

(ب) معاهد إعداد وتخريج الدعاة:

وأنواعها:

١ . معاهد للدعاة لمدة سنتين.

٢ . معاهد للدعاة لمدة ثلاث سنوات وعددهم ٣ معاهد.

٣. معاهد للدعاة لمدة أربع سنوات وعددهم ٢ معهد.

٤ . معاهد للداعيات فقط لمدة أربع سنوات (وهو المعهد المفتوح).

وعدد هذه المعاهد واحد في المركز العام لأنصار السنة.

٥. معاهد للدعاة خاصة (الذكور) لمدة أربع سنوات (نظام مفتوح).

وعدد هذه المعاهد المفتوحة واحد فقط في مقر أنصار السنة المحمدية.

(جـ) مركز تعليم وتخريج الأفارقة:

وهذا المركز خاص بالأفارقة من الدول الإفريقية جنوب الصحراء.

ويقوم المركز بتعليمهم العقيدة الصحيحة وتجويد القرآن الكريم.

(د) مكاتب تحفيظ القرآن الكريم: ويصل عددها الآن إلى ٢٠٣ مركز تحفيظ على مستوى مصر.

(هـ) مكتب دعوة الأجانب: ويهتم بتعريف الإسلام للأجانب باللغات الإنجليزية والفرنسية والأسبانية والألمانية.

الهيكل الإداري للجماعة [1]

- **الرئيس العام للجماعة**: وهو الذي ينتخب من قبل الجمعية العمومية للجماعة.

- **الجمعية العمومية للجماعة**: ويمثل فيها عن كل فرع عضوان فقط، ما عدا القاهرة حيث يمثلها خمسة عشر عضوًا، والإسكندرية ويمثلها سبعة أعضاء وذلك لاتساعهما وكثرة عدد الفروع بهما.

- **مجلس إدارة الجماعة**: وهو الذي ينتخب من بين أعضاء الجمعية العمومية للجماعة ويتكون من الرئيس ونائبه، والوكيل، والسكرتير إلعام، وأمين الصندوق، وعشرة من الأعضاء.

- **الهيئة التنفيذية**: وهي المعينة من قبل أعضاء مجلس الإدارة وتشمل إدارات: التخطيط والمتابعة، والدعوة والإعلام والبحث العلمي، والمشروعات الدعوية والإغاثية، والمالية، والعلاقات العامة، والفروع، والشباب، والشؤون القانونية. (انظر الشكل التوضيحي)[1].

الانتشار ومواقع النفوذ:[2]

تتركز جماعات أنصار السنة المحمدية في مصر حيث أصبح لها في مصر قرابة المائة من الفروع والألف من المساجد، كما تتركز في السودان وإريتريا وليبيريا وتشاد وإثيوبيا وجنوب أفريقيا وبعض الدول الأفريقية، وكذلك بعض الدول الآسيوية مثل: تايلاند وسيرلانكا، وفي كل دولة تقريباً يوجد للجماعة مركز تتبعه فروع موزعة على المناطق والأقاليم إلا أنه لكل جماعة قيادة مستقلة في كل دولة مع أنه يجمعهم جميعاً منهج واحد.

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، م س ، ص ١١٩ .

(٢) الموسوعة الميسرة.. ، م س ، ص ١٢٨ .

وجاء في توصيات مؤتمر الخرطوم عام ١٩٨٩م الذي عقدته الجماعة بالسودان ما يلي:[(١)]

١ – الديمقراطية نظام كافر لأنها تعطي الإنسان حق التشريع، وهو حق خالص لا يكون إلا لله تعالى، قال تعالى: (إن الحكم إلا لله).

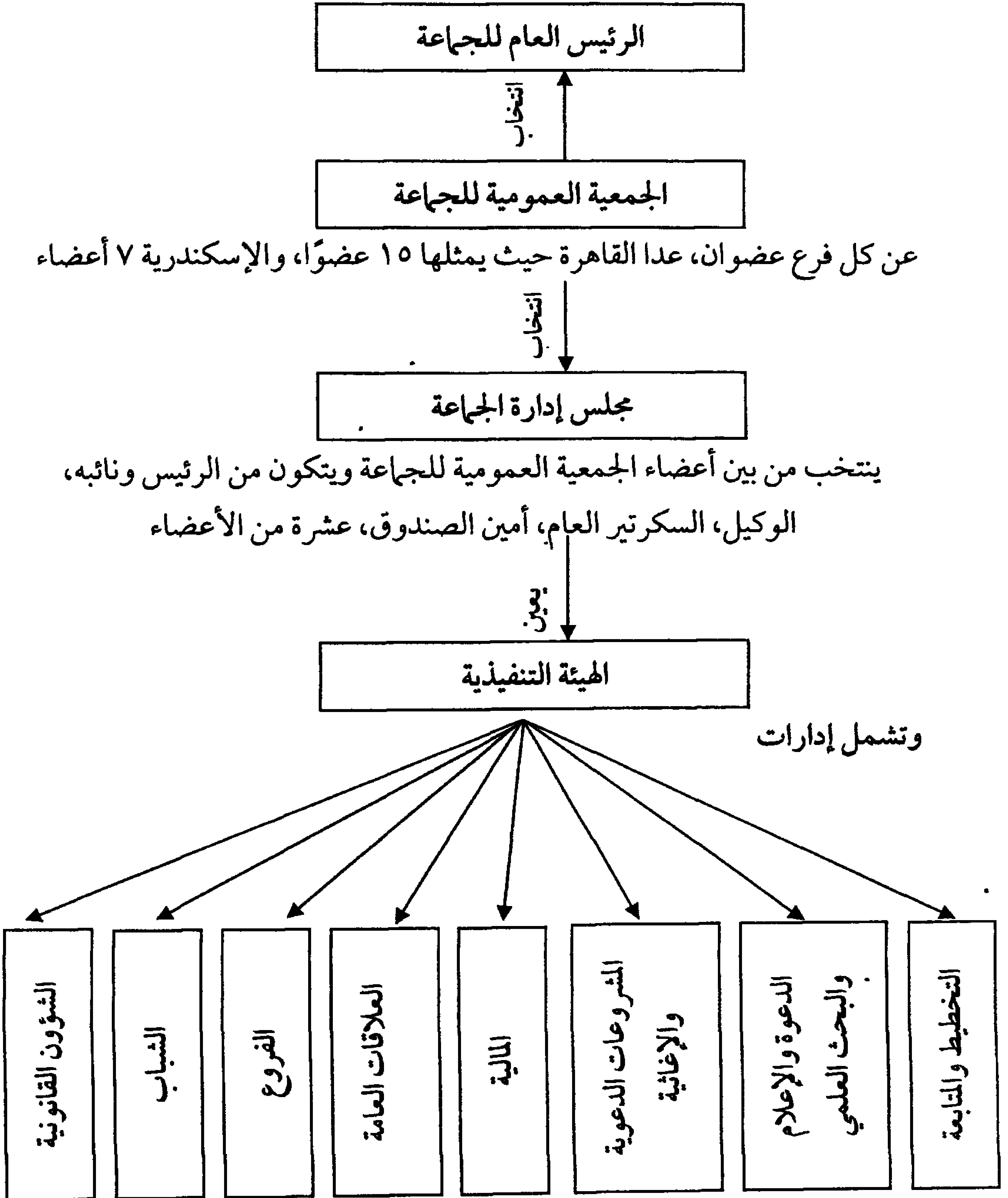
٢ – الانتخابات بالترشيح وبالتصويت وسائل جائزة في حد ذاتها.

٣ – التنظيم النقابي للعاملين وغيرهم وكذلك الاتحادات الطلابية : تنظيمات هيئية وطلابية لا شأن لها بالتشريع، والمشاركة فيها تتوقف على المصالح والمفاسد على ضوء الضوابط الشرعية لذلك.

٤ – مزاحمة أهل الديمقراطية لتقليل شرهم في الانتخابات العامة وغيرها أمر جائز مع مراعاة الضوابط الشرعية، إذا ترجحت المصالح على المفاسد.

---

(١)- الموسوعة الميسرة ..، م س، ص ١٢٧.



شكل ١

مخطط هيكلي لجماعة أنصار السنة المحمدية من إعداد المؤلف

المواقف العملية للجماعة

وعلى أرض الواقع العملي تتضح المواقف الفكرية وتكون موضع تطبيق ويمكن تحديد أبرز أوجه مناطق الخلاف بين جماعة أنصار السنة كتيار سلفي وغيرها من التيارات الدينية الأخرى حيث سنتناول مواقف الجماعة بتوسع من المتصوفة والشيعة وجماعات العنف والموقف من الإخوان المسلمين، **وسنفرد المساحة لمواقف الجماعة لعدة أسباب منها:**

١. تغلغل الجماعة في المجتمع المصري بكل أطيافه وتكويناته والتواجد الاجتماعي المكثف لها وسماح الدولة لها بالتحرك والانتشار دون أية معوقات تُذكر. وهنا نذكر أن لهذه الجماعة – ومثيلاتها – دوراً مُهماً في القضاء على موجات العنف في العقود الثلاثة الماضية حيث سمح لها النظام بالعمل والانتشار في كل أنحاء البلاد واسُتغل منهجها المُسالم والمُوالي للحاكم في مواجهة المنهج الانقلابي ودعوات الخروج عن الحاكم من قبل جميع التنظيمات المُسلحة في مصر، مما مكنها من التغلغل في كل طبقات المجتمع وبين كل الأوساط الاجتماعية.

٢. لها أثر كبير على الشباب فنجد أن الكثير من الطلاب بداية من المرحلتين الإعدادية والثانوية يجد نفسه مجذوباً إلى هذه الجماعة / الفكرة بسبب ما يبدو على دُعاتها من زهد وورع وبساطة الخطاب الموجه لهم والحس الديني المتأجج داخل نفوس هؤلاء الشباب في هذه السن ورغبتهم في الالتزام والقرب من الله فضلاً عن المظهر الذي يثير في النفوس الحنين إلى عصر الرسول ﷺ ، فيبدأ في الاستماع لهم والحضور لدروسهم العلمية وقراءة ما يُوزعوه من كُتيبات، فيتحول بعد ذلك إلى داعية وسط زملائه فيؤُمهم في الصلاة، وبعدها يُلقي عليهم درساً دينياً قصيراً، وفي الجامعة ينشط من أجل قضايا تتمثل في ضرورة لبس الحجاب للفتيات المتبرجات ومنع الاختلاط، والدعوة إلى الفصل بين الجنسين في المحاضرات، وإلقاء الدروس بين المحاضرات، ومحاولتهم منافسة أنصار جماعة الإخوان المسلمين في السيطرة على الطلاب ووقوفهم أمام دعواتهم

للتظاهر في الأحداث المهمة، مُحرمين التظاهر والخروج عن الحاكم بأية صورة من الصور وقد تمددت الجماعة بلا أي منافس من جماعة دينية أخرى في أوساط الطلبة سوى جماعة الإخوان المسلمين، وحيث أن الجمعية الشرعية تشترط لعضويتها بلوغ ٢١ سنة فلم يبق أمام هؤلاء النشء سوى جماعة أنصار السنة والإخوان المسلمين بمنهجيهما المختلفين.

٣. استخدامها الفضائيات الدينية منها وغير الدينية عن طريق التواجد الإعلامي لرموزها، كما أعطت لهم الفضائيات مساحة أكبر للحركة والتأثير والانتشار عن طريق بعض رموزها سواء المنتيمن تنظيمياً إليها أو المتعاطفين فكرياً معها وإن كانوا غير تنظيميين بها، والترويج سواء بالتصريح أو التلميح إلى أنهم هم الفرقة الناجية باعتبارهم مُتأسين بالرسول في كل أمور حياتهم من مشرب ومأكل وملبس وأسلوب حياة وهذا الأسلوب في غاية الخطورة باعتباره منفذاً لإلغاء باقي التيارات وبالتالي إخراجهم من الملة، كما يعمد بعض رموزها الفضائيين إلى الدعوة إلى نبذ الأحزاب حيث أنها تمثل دعوات للعودة إلى الجاهلية والتعصب والتحيز.

وهنا نريد أن نقول إن جماعة أنصار السنة المحمدية فيها التيارالسلفي العلمي والجهادي والحركي بصورة أو بأخرى، وهو ما سنتناوله من خلال المواقف العملية لها فيما يلي:

أولاً: الموقف من المتصوفة

حرب الـمُؤلفات

بين الحركة السلفية والحركة الصوفية تاريخ طويل من التلاسن والتجريح والتشهير وعشرات الكتب حُبلى بالاتهامات من كلا الفريقين في الرد على الفريق الآخر وتسفيه فكره وتجريح منهجه ويغالون فى الموقف من التصوف، ويعتبرونه كله شيئًا دخيلاً على الإسلام، ويتهمون أهله كلهم بالابتداع والانحراف[1].

(١) عمر عبد الله كامل، التصوف بين الإفراط والتفريط،(مكتبة التراث الإسلامي)، ص ١٥٦.

وبطبيعة الحال والمنهج لم تتخلف جماعة أنصار السنة عن المعركة وأصدر رجالها الكتب والرسائل فيما سموه دحض الحركة الصوفية وقام أحد رؤساء الجماعة ألا وهو الشيخ عبد الرحيم الوكيل(*) بإصدار كتابه "هذه هي الصوفية" زيَّن أسطره بالكثير من القدح والسباب والجمل اللاذعة مثل: "اليهودية الباغية والمجوسية الماجنة والوثنية المستغرقة في الجحود وطاغوت الصوفية الأكبر .. إلخ" وامتلأ الكتاب بالكثير من التهم – صحت أو لم تصح – بشكل تخطى فيه حدود البحث العلمى الهادئ الهادف وأدب المناقشة الموضوعية إلى التطاول والتشهير"[1].

وفى هذا الأسلوب الكثير من الضرر أكثر ما فيه من نفع يزيد الشقاق بين الناس ويفرقهم أكثر مما يجمعهم يقول الله تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٢٥].. فالخطاب من الله عز وجل لرسوله الكريم وأليس من الأولى أن نتبع ونقتفي أثره بدلاً من التمسك والتشدد بشكل معين من ملبس ومشرب ولحية؟!

وأين هي تلك الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ويلاحظ أيضاً نبرة الاستعلاء في الكتابة والإيحاء بامتلاك الحقيقة المطلقة – وهذه سمة مشتركة في خطابات أغلب رموز الجماعة والتيار السلفي عمومًا– وهذا أيضاً لا يمكن أن يكون لأي بشر مهما بلغ تمكنه وقدراته وفي موضع آخر من الكتاب يقول الشيخ "تأمل الحجاج قبل الحج وبعده تراهم يطوفون حول الأضرحة في مصر كأنما يُريدون طمأنة أوثانهم أنهم على العهد يُقيمون.."[2].

(*) تعيد مجلة التوحيد من وقت لآخر نشر بعض ما كتبه الشيخ الراحل عن الصوفية في باب "من روائع الماضي"، انظر مجلة التوحيد ع ٤٥٩ ربيع الأول ١٤٢١هـ، ص ٣٤، ٣٥.

(١) الجمعيات الإسلامية في مصر ..، م س، ص ١٩٧.

(٢) الشيخ عبد الرحيم الوكيل، هذه هي الصوفية، دار الكتب العلمية، ط ٣/ ١٩٧٩م، ص ١٨٩.

وفي موضع آخر نشر الشيخ الجليل مقاله بعنوان (الشيوعية تُعانق الصوفية) عقد فيه مقارنة بين الشيوعية والصوفية قائلاً: "الشيوعية لا تعترف بغير الإنسان والطبيعة وكذلك الصوفية كما ترى غير أن الصوفية زادت الجحود حقداً على الله وكراهية له فقالت عن الإنسان أنه هو الله أما الشيوعية فلم تقلها.."(١) وقال أيضاً "إن الصوفية كما يثبت تراثها وتاريخها ألعن خدعة ماكرة جازت على المسلمين فظنوها معين الروحانية العليا في الإسلام التي تجعل من الإنسانية ربانيًّا أو ربّا وهي عدو الإسلام الألد الخصام الخؤون الغدر.."(٢).

ويؤكد فضيلته – رحمه الله – قائلاً : "ولن أضع قلمي وحسبي ربي إلا إذا أصميت الصوفية وأدميت أو إلا إذا تهدمت أنا أو قضيت"(٣).

الصوفية تاريخ ودور

إن الفكر الصوفي مهما اختلفت الآراء حوله هل هو إسلامي النشأة أم غريب وفد مع روافد الثقافات المعاصرة للفتوحات الإسلامية قد أصبح واقعاً لا يمكن نفيه.. ولا يختلف أي باحث منصف على الشطحات الفكرية والفلسفية التي شابته وأفكار مثل الاتحاد والحلول والغلو في التوسل والكرامة ومنكرات الموالد التي يأتيها الناس ويتمسحون بالقبور ويقدمون النذور كل هذه المنكرات أنكرها علماء الإسلام ورغم كل هذا لا يمكن أن يُنكر عاقل دور الحركة الصوفية في نشر الإسلام وفي الفكر الإسلامي عُمومًا وقد اتسم منهج الجماعة بالقسوة والتطاول وإلصاق كل الكوارث التي لحقت بالإسلام بالصوفية وأصلها الفارسي الوثني(٤).

---

(١) الحاكمية والسياسة الشرعية عند شيوخ جماعة أنصار السنة المحمدية ،م س ، ص ١٨٩ .

(٢) الحاكمية والسياسة الشرعية عند شيوخ جماعة أنصار السنة المحمدية ، م س ، ص ١٩٤.

(٣) هذه هي الصوفية، م س ، ص ١٨٢.

(٤) الجمعيات الإسلامية في مصر، م س ، ص ١٩٦ بتصرف.

على أن الأمر الذي لا شك فيه أن التصوف في نطاق الاعتدال والبعد عن الإسراف في تناول الذات الإلهية عن طريق ما هو معروف بالشطحات الصوفية إنما هو في مداه تعميق للإيمان وإثراء للعقيدة وتثبيت للنفس والروح على طريق الصواب وكيف ننكر مبدأ استهدف الوصول إليه – ولو بطرق متباينة – أعلام من رجالات الإسلام لا يستطيع مفكر أن يغض الطرف عن أقدارهم وأفكارهم وآرائهم ممن أثروا الفكر في نطاق العقيدة ومهدوا للروح على طريق الإيمان أنه من الصعب أن ننكر فكر الغزالي ٥٠٥ هـ والقشيري ٤٦٥هـ والمحاسبي٢٤٣ هـ ومن قبلهم ومن بعدهم الحسن البصري ١١٠ هـ"[١].

ومما ينبغي الوعي به حين نقرأ التصوف الإسلامي أن ندرك ماذا قدمت الصوفية لمجتمعاتهم عبر مراحل التاريخ. وكيف اكتسبوا مكانة مرموقة بين الناس وقد استحق الصوفيون هذه المكانة فى مجتمعاتهم لما قدموه من عطاء وخلق لا يطلبون عليه جزاء ولا شكوراً، ويعلنون شفقتهم على خلق الله بما يجعل كل واحد منهم يعتقد أنه مسؤول عن كل الناس .

ولا تخلو دراسة مُنصفة للتراث الإسلامي من إشارة أو بيان يُظهر حقيقة الدور التاريخى للصوفية سواء فى القديم أو الحديث مثل مجالات العلم والتعليم وقد برز من بين شيوخ الصوفية علماء أجلاء، فأبو القاسم إبراهيم بن محمد بن محمد النصر أبادي كان عالمًا بالحديث كثير الرواية، وأبو حمزة البغدادي كان فقيهاً فى القراءات، وكان أحمد بن حنبل يسأله فى المسائل، وعمرو بن عثمان المكي كان عالمًا بالأصول وروى الحديث، وحمدون بن أحمد القصار كان عالمًا فقيهاً يذهب مذهب الظاهرى، وكان الجنيد فقيهاً على مذهب أبي ثور، وكان عبد القادر الجيلاني فقيهاً حنبليًا ولو ذهبنا نسرد أسماء المحدثين والمفسرين والفقهاء من الصوفية لما اتسعت لذلك المجلدات، وكتب التراجم تحفل بألوف العلماء الكبار من الصوفية الصادقين. هذا في مجال العلم

(١) إسلام بلا مذاهب ، م س ، ص ٤٩٧–٤٩٨ .

وأما في جانب تعليم الناس وتربيتهم فحسبنا أن نعي ونحن نقرأ التراث الصوفى ما كتبه المحاسبى في "رسالة المسترشدين"، والمكي "فى قوت القلوب"، والغزالي فى "الأحياء"، وابن عطاء الله في "الحكم" وغيرهم كثير. مركزين على بيان الحقوق والواجبات والنصائح العامة التي تدخل في باب الأدب ليتعرف المسلم إلى حقوقه وواجباته فى أدب وبخلق يبعده عن السلبية والإضرار بمجتمعه وحضارته.(١)

واذا ما تركنا الشطط الصوفي جانبًا ونظرنا في الخط المعتدل لوجدنا الصوفية ضد الخوارج بعيدين عن التشيع وينكر الشيعة التصوف لأن الصوفي يطلب الرضا من غير توسل الأئمة ووجدنا أيضاً الصوفية ينفرون من الاعتزال ويهاجمونه كما فعل المحاسبي في رسائله " الرد على المعتزلة وكان الحسن البصري بؤرة التفكير الديني المعتدل الذي عليه خرج المعتزلة .. فالصوفية مدرسة إسلامية مجاهدة غلا بعضهم وردهم العلماء إلى صوابهم أو حالوا بين أفكارهم الغالية بالفكر السليم كي لا يثيروا البلبلة في أفكار الجمهرة الإسلامية.(٢)

التوتر بين الأمس واليوم

وامتدادًا للعلاقة المتوترة – دائماً – بين الطرفين ولإصرار الجماعة على موقفها ففي أثناء الإعلان عن تشكيل لجنة تنظيم الطرق الصوفية في مصر نشرت الجماعة بيان تأييد للقرار وترحيب به وذلك بقلم الأستاذ **عبد العزيز كُرد** أستاذ بدار التوحيد بالسعودية(٣) وزادت عليه بالمطالبة بإلغائها حيث "إن رجال الطرق الصوفية ينتشرون بين أفراد الشعب ينفذون إلى صميم بيوتهم رأ-الهم وقلوبهم بدجلهم، وينفثون سمومهم بينهم...".

(١) التصوف بين الإفراط والتفريط ، م س ، ص١١٥.

(٢) إسلام بلا مذاهب، م س ، ص ٥٠٢ بتصرف .

(٣) الحاكمية والسياسة الشرعية، م س ، ص ١٤١-١٤٣ وعلق المؤلف على المقال بأنه دليل على اتحاد وجهة النظر إلى علماء السعودية مع شيوخ الجماعة!!!

وقال أيضاً "لقد أفسد رجال الطرق الصوفية عقول الناس وأضلوهم فعَبدوهم أحياءً وأمواتًا من دون الله" وفي تحريض صريح عليهم قال: "ويحاربون الحكومة لأن ضريبتهم مقدمة على ضرائب الحكومة التي تسهر على مصالح الناس وأمنهم".

وفي اتهام صريح بالتخوين لهم يقول الكاتب "إن التاريخ يحدثنا أن بعض رجال الطرق كانوا جواسيساً لأعداء البلاد ، فاتصل بهم المستعمرون لعلمهم أنهم يسيطرون على عقول الدهماء"، واسترسل الكاتب أيضاً قائلاً إن هزيمة أحمد عرابي في معركة التل الكبير كانت بسببهم حيث قال "لقد سيطروا على زعيم من زعماء التحرير في العصور الحديثة هو البطل أحمد عرابي حتى جمعهم في خيمته بالتل الكبير وظلوا يتمايلون طول الليل ويرقصون فداهمهم العدو والقواد غافلون وبذلك تسببوا في نكبة للبلاد"!!

وفي استمرار للصراع بين الفريقين الذي لم يخمد بطول السنين أشاد الشيخ أحمد يوسف الأمين العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمحافظة القاهرة، بإلغاء مولد السيدة زينب هذا العام، واصفاً إياه بأنه القرار الذى تتمناه الجماعة منذ أعوام طويلة.

وقال إن أنصار السنة سبق لها تقديم الكثير من المخاطبات لوزير الأوقاف، الدكتور حمدى زقزوق، لإلغاء هذا المولد، موضحاً أن هذه المناشدات والمخاطبات بدأت منذ إنشاء «أنصار السنة» قبل الثورة وبعدها، حيث أن «هذه الموالد بالإضافة إلى مخالفتها شرع الله وعدم انتهاجها منهج الرسول الذى نهى عن البدع، إذ يحدثِ بها الكثير من المخالفات الأخلاقية مثل انتشار السرقات وتداول المخدرات، فضلاً على اختلاط السيدات بالرجال.

وفي نبرة تخوين واضحة ومسايرة للجو العام الحالي المتوتر تجاه إيران يقول: "إقامة الموالد هى الطريق الموصل إلى المذهب الشيعى فى مصر، حيث أن المد الشيعى يستخدم القبور والموالد والأولياء لنشر أفكاره.

وصف الشيخ عادل السيد قرار إلغاء المولد بأنه من أكثر القرارات التى تفيد الإسلام، قائلاً إن الكثير من غير المسلمين يهاجمون المسلمين بالحديث عن الموالد وما يرتكب فيها من الجرائم، موضحاً أن الموالد تُسيء إلى المسلمين جميعاً لا الصوفيين فقط.[1]

وبطبيعة الأمر لم يَصمت الصوفيون على هذا الأمر حيث بدأ في الفترة الأخيرة الصراع مجددًا بعد قرار منع الموالد وترحيب جماعة أنصار السنة بالأمر وبدأت المعارك الإعلامية وحرب التصريحات واستخدام طرفي المعركة لإصداراتهما في شن هجوم متبادل وكان عن الجانب الصوفي الطريقة العزمية حيث شهدت الجرائد منازعات واتهامات متبادلة بين الطرفين.

حيث اتهم الشيخ محمد ماضى أبو العزايم، شيخ الطريقة العزمية جماعة السنة المحمدية بأنها أشعلت الحرب على الصوفية عبر الفضائيات، حيث اتهمت الطرق الصوفية بالكفر وعبادة القبور مما دفعهم إلى إجراء دراسة حول الجذور الوهابية لـ«السنة المحمدية» مما دفع الطريقة العزمية عن طريق مركزها للأبحاث والدراسات بدراسة جذورها الوهابية المتطرفة.

وكذلك اتهامه لأنصار السنة بأنها تكفيرية واتهامهم لمؤسس الطريقة بأنه فضل البيعة للملك عبد العزيز آل سعود على الملك فؤاد ملك مصر ومع النفي المتبادل تزداد المعركة ونلاحظ فيها التركيز على نقطتي التكفير والولاء من قبل جماعة أنصار السنة للصوفية.

وعن ولاء الجماعة للسعودية يؤكد الشيخ محمد ماضى أبو العزايم أنهم أعلنوا خروجهم على الرئيس عبد الناصر، بعد خلافه مع السعودية، لذا أصدر قراراً بحل الجماعة وضمها إلى الجمعية الشرعية، لكنها عادت مرة أخرى لممارسة نشاطها فى

(١) جريدة المصري اليوم، بتاريخ ١٥-٧-٢٠٠٩.

يونيو ١٩٧٣ بعد الضغط السعودى على الرئيس السادات لينكشف أمر التمويل السعودى لهم.

ويشير إلى وجود "دعوات للحوار مع جماعة أنصار السنة المحمدية وعدها ثلاث مرات والشاهد على ذلك الدكتور محمد سيد طنطاوى، شيخ الأزهر(*) نفسه حين طلبنا عام ١٩٩٨م للحوار تحت مظلة الأزهر الشريف بناء على طلبهم إلا أنهم تراجعوا ورفضوا بحجة لديهم ملاحظات ومؤاخذات على الأزهر الشريف، وطلبوا أرضاً محايدة فعرضنا عليهم الاجتماع فى جريدة عقيدتى لكنهم رفضوا، ثم عرضنا عليهم الحوار مرة أخرى عام ٢٠٠٣ من خلال مجلة الإسلام وطن لكنهم رفضوا الرد وأخيراً ٢٠٠٨م، حينما شن شيخهم جمال المراكبى هجومًا على الطريقة العزمية عبر مقالاته فطالبنا بعقد حوار معهم لكنهم لم يردوا علينا وليس لدينا مانع من عقد حوار آخر يجمعنا"(١).

وحول موضوع الولاء الصوفي لإيران "أكد الشيخ محمود عفيفى،(٢) نجل عبد الرزاق عفيفى أحد مؤسسى جماعة أنصار السنة ذلك قائلاً إن الشيعة دخلت مصر على يد الفاطميين، أدخلوا معهم بعض البدع مثل الاحتفال بالموالد، وإقامة الأضرحة، ورغم انتهاء الدولة الفاطمية لم تنته هذه العادات الخاطئة التى تسىء إلى الإسلام والمسلمين، ولكن الطرق الصوفية تولت مكانها لنقل أفكارهم فى رداء مختلف، فهم لديهم حنين إلى العودة للأصل الشيعى!!!

ضوابط منهجية لقراءة التصوف الإسلامي

وللخروج من المأزق الموجود بين فرق الصوفية والتيار السلفي عمومًا ومنه جماعة أنصار السنة المحمدية وغيرها يجب وجود عدة معايير وضوابط يُلتزم بها من

(*) توفي في ١٠-٣-٢٠١٠.

(١) جريدة المصري اليوم، بتاريخ ٣٠-٧-٢٠٠٩.

(٢) جريدة المصري اليوم، بتاريخ ٣٠-٧-٢٠٠٩.

كلا الطرفين والعمل بصدق لتجاوز الخلاف ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه حيث أن مساحات الاتفاق كثيرة جدًا ومتعددة وكفانا تفتيتًا للأمة الإسلامية تحت زعم الحفاظ على الإسلام وتحت مسمى السلفية الذي أصبح يُفرق لا يُجمع، يهدم ولا يبني ولذا كان لا بد من وجود ضوابط منهجية لقراءة التصوف الإسلامي وهي[1]:

أولاً : ضرورة تجاوز نقاط الخلاف الشكلية والدخول إلى المضمون:

إن الدخول إلى المضمون مباشرة يجنبنا أن نقع فيما سماه البعض بجناية المصطلح على حقيقته ومضمونه، فقد كان مصطلح "التصوف" والخلاف حول دلالته، وتعريفاته، طريقاً للخلاف بين المسلمين حجبهم فيه الوقوف أمام الشكل عن حقيقة التزكية والتربية والإسهام الاجتماعي، وكل خير قدمه التصوف الإسلامي لمجتمعه باعتباره فكراً إسلامياً تضرب جذوره في مصادر الإسلام، ويأخذ نماذجه وقدوته من سيرة الرسول الكريم وصحابته ومن سار على طريقهم.

كل هذا حجب عن عين القارئ وذهنه لأنه شغل بالخلاف حول التصوف ونسبته إلى الصوف أو الصفة أو الصفاء أو إلى كلمة ليست في لغة العرب"صوفيا" وهذا لا يجدي للحياة، ولو فطن من يقرأ هذه الحقيقة لعرف أن هذا التراث اجتهاد قوم لإثراء الحياة في جانب من جوانبها، كما أثراها علوم أخرى واجتهادات أقوام آخرين.

إن هذا المضمون للتصوف الإسلامي بجوانبه التربوية والإصلاحية يمكن أن نستفيد منه لحياتنا والذي كان سمة التصوف الإسلامي بوصفه السني أو الشرعي، وأنه ما جانبه هذا السمت إلا حين انتحل التصوف بعض الغلاة أو المنحرفين الذين كانوا موضع نقد الصوفية أنفسهم.

(١) التصوف بين الإفراط والتفريط، م س ، ص١٣٤ -١٥٧ بتصرف.

ثانياً : ضرورة القراءة في تجرد واستقلال فكري:

إن الدخول على فكر ما بفكرة سابقة في رأس القارئ يحرمه الموضوعية في الحكم، ويجعله لا يرى فيما يقرأ إلا ما يشهد لفكرته التي في رأسه فكتاب "مصرع التصوف" الذي نسب إلى برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) كان أصله كتابان مستقلان أحدهما في تكفير ابن عربي، والآخر في تكفير ابن الفارض، فجاء عبد الرحمن الوكيل، وجمعهما في كتاب واحد سماه "مصرع التصوف" وأضاف إليه من العناوين ما يحقق به هدفه هو .

وكان إنكار البقاعي منصبًا على ما نسب إلى ابن العربي وابن الفارض، وفيهما ألف كتابيه (تنبيه الغبي) و(تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد)، ولم يؤلفهما ليصرع التصوف؟! فما فعله ناشر الكتاب عبد الرحمن الوكيل (تلبيس وإفك)، بتسميتهما (مصرع التصوف) ووضع عناوين في الكتاب من كيسه، ثم تعليقاته التي خرج فيها عن العدل والإنصاف، وطالت بذاءته أكابر الأمة : كالجنيد، ومعروف الكرخي، وسري السقطي (ص ٢١١ و٢٦٠) والغزالي (ص ٢٣-٦٧) ونال من كتاب "الشفا "للقاضي عياض (ص ٢٤) ويعلق تعليقه الأثيم على قول البقاعي نفسه ٢٠٩ " فإن المحققين منهم بنوا طريقهم على الاقتداء بالكتاب والسنة "بقوله الأثيم : "كتب الصوفية سلفهم وخلفهم لتشهد عليهم بنقيض هذه الدعوى الكذوب" فإذا كان البقاعي كذابًا فكيف يعتمد كلامه ويخرجه إلى الناس ويصرع به التصوف كما زعم ؟. علمًا بأن البقاعي قد ذكر صراحة تقديره لأوائل الصوفية، بل ولمتأخريهم الذين لم يذهبوا مذهب ابن عربي أو هاجموه، ومنهم علاء الدين البخاري ٨٣٤ هـ كما ذكر البقاعي أنه لا يبغض التصوف لكنه يبغض من أبغضه أوائل الصوفية ومحققو متأخريهم ممن حاد عن (الطريق السوية) .

والغريب أن مُحقق الكتاب عاب على المؤلف إنصافه وإقراره أن الصوفية فقهاء، فقال معلقاً على المؤلف (هذه دعوى كذوب).

ثالثًا : التفرقة بين أقوال الصوفية وروايات المؤرخين عنهم:

إضافة إلى ما يغلب على كتب "الطبقات" من بعض المبالغات، فإنها تكتب غالباً في وقت متأخر عن حياة المؤرخ لهم، وليس بالضرورة أن يدقق المؤرخ في كل رجال سند الرواية التي ينسبها إلى هذا الشخص أو ذاك، وربما استنبط من روايات لم تخضع لقواعد الجرح والتعديل معاني هو فيها مجتهد ويبتغي به الخير، وإن جاءت حقيقتها على خلاف ما قصد إليه باجتهاده .

فضلاً عن رغبة بعض المؤرخين في إضفاء صفات معينة على العلم أو الشخص الذي يؤرخون له لسبب مذهبي، أو لميل طائفي، كان لنا أن نؤكد ضرورة التفرقة بين أقوال الصوفية أنفسهم وفهوم المؤرخين لهم وللتصوف، باعتبارها ضرورة منهجية للحكم والاستنباط .

ولا ينفرد التصوف بهذه المسألة فيما روي عنه وعن أهله، بل هي سمة عامة في عموم الروايات، وهكذا كثير من أهل الروايات، ومن أهل الآراء والأذواق، من الفقهاء والزهاد والمتكلمين وغيرهم.

رابعًا : ضرورة تحديد المصطلحات المتصلة بالتصوف الإسلامي:

وهذا يشمل الألفاظ التي استخدمها الصوفية وحددوا مرادهم منها بما يتفق مع أصول منهجهم، لكن التعميم والأخذ بالفهم الشائع لأدنى ملابسة أدى بأصحابه إلى خطأ في الحكم ، فضلاً عن عدم تقدير دقيق وعدم إفادة من هذا التراث، كما يشمل التحديد المراد الأوصاف التي عرفت بها مراحل التصوف الإسلامي واتجاهاته متمثلة في مراحله التاريخية، وخصائص كل مرحلة، وظاهره على رجال كل مرحلة كذلك.

خامسًا : مراعاة طبيعة التصوف كتجربة ذوقية

إن التصوف تجربة ذوقية خاصة ليس للعقل مدخل فيها، فلو نظرنا إلى التصوف في ضوء طبيعته التي أشرنا إليها فإن مسألة غموض التعبيرات الصوفية سوف يعرف سببها، ومسألة اختلاف التعبيرات للصوفي الواحد سوف يدرك سرها كذلك، وسوف ندرك لماذا اعتدل البعض في حكمهم على التصوف وذلك حين فهموا طبيعته واعترفوا بها، ولماذا لم يدرك البعض هذا الحظ من الإنصاف، وذلك لأنهم قاسوا التصوف كعلم على سائر العلوم في عصره مع أن هذا المقياس ذاته غير دقيق لأن علوم العصر تختلف بحسب موضوعاتها وتختار لذلك وسائلها وتعين لغة التعبير فيها.

فلكي نصيب في الحكم على التصوف، ونستطيع الإفادة من جوانب الثراء فيه ينبغي أن نراعي هذا الأمر ونحن نقرأ التراث الصوفي، ويبقى بعد ذلك أن نخطئ أو أن نصيب لكن كل ذلك في دائرة الاجتهاد الأمين الذي يمنح صاحبه أجراً إن أخطأ وأجرين إن أصاب .

سادسًا : الحكم على الصوفية في ضوء أحوالهم

الصوفية من خلال طبيعة تجربتهم أصحاب أحوال ومواجيد، ولكنهم كذلك حين يخرجون من هذه الأحوال يصبحون أصحاب صحو وفكر شأنهم في ذلك شأن بقية الناس، والحكم على الصوفية وهُم في أحوالهم يختلف عنه في حالات صحوهم، أو هكذا ينبغي أن يكون. وعدم الأخذ بهذه التفرقة أدى بالناس إلى تطرف في الحكم عليهم، فالبعض حين رأى من أحوالهم ما يخالف ظاهر الشرع حكم عليهم بالكفر والفسوق والعصيان جملة دون تفصيل، وهناك من رأى أن ما عليه هؤلاء في أحوالهم هذه سائغ وطيب ويمتدحونه بمبالغة كذلك .

وقد يغلو كل واحد من هذين حتى يخرج بالأول "إنكاره إلى التكفير والتفسيق في مواطن الاجتهاد، متبعاً الظاهر من أدلة الشريعة. ويخرج بالثاني"إقراره" إلى الإقرار بما يخالف دين الإسلام مما يعلم بالاضطرار أن الرسول جاء بخلافه اتباعاً في زعمه لما يشبه قصة موسى والخضر .

والأول كثيراً ما يقع في ذوي العلم، لكن مقرون بقسوة وهوى .

والثاني كثيراً ما يقع في ذوي الرحمة، لكن مقرون بضلال وجهل.

سابعًا : الفكر الصوفي والتنبيه إلى غلطات بعض الصوفية

ويمكن أن يقال إن هذا اللون من النقد - المسمى بالنقد الذاتي - هو مظهر من مظاهر الحب للتصوف والحرص على أن يتفادى نفور المجتمع منه، بل الحرص على أن يثبت موقعه في المجتمع .

فيجب أن نقرأ تراثهم بمنهجهم لنحكم عليه ونفيد منه، مفرقين بين حالاتهم تلك التي يعذر فيها صاحبها وتلك التي يحكم فيها الكتاب والسنة كما يحكمان في حياة كل مسلم، وبمنهجهم نمتدح الحق ونذم الباطل في ضوء المقاييس الشرعية المعلومة.

ثانيًا : الموقف من الشيعة

التفرق يبدد القوى، فشخص يبني وشخص يهدم، وشخص يهاجم وآخر يدافع، أما الوحدة فتجمع القوى، وتوجد التعاون بين الأفراد لبلوغ الغايات، والتفرق أمارة من أمارات عدم النضوج ، فإن العقل الناضج يلازمه عادة حب الإنصاف ، حتى إذا طرح شيء للبحث وكانت هناك عقول ناضجة واتجاه للحق لا تصده الأهواء، لا يلبث الحق أن يظهر مشرقاً أبيض الوجه، ولا يلبث الخلاف أن يزول[1].

---

(١) مجلة رسالة الإسلام ع ٣ ص ٢٣٩.

وواقع جماعة أنصار السنة المحمدية يؤكد عكس الكلام السابق، وهجومها في كل وقت على دعاة التقريب بين المذاهب الإسلامية وتسفيهها من ذلك التصرف لهو أمر واضح، فبدلاً من أن تعمل على تجميع المسلمين فالإسلام واحد ليس هناك فيه فرق، نجد أنهم كانوا فرساناً في ميدان الحرب الدائمة ضد الشيعة فالشعية كلهم في كفة واحدة وهذا غير صحيح، فتنوع الفرق الشيعية وتنافرها وعداء بعضها لبعض واختفاء فرق وظهور فرق يكذب خطاب الجماعة.

وفي مجلة التوحيد صوت الجماعة الإعلامي والصحافي نجد أنه لا يكاد يخلو عدد من المجلة إلا وفيه هجوم على الشيعة. وفي جميع المناسبات وغير المناسبات لا تمل المجلة من الهجوم على الشيعة، ففي ذكرى المولد النبوي الشريف يكتب د. عبد الله شاكر – الرئيس العام للجماعة – افتتاحية العدد[1] عن: الموالد بدعة أحدثها العبيديون، وفيه هجوم معتاد من هذا التيار على الشيعة، وفي نفس العدد هناك مقال عن "الشيعة النصيرية"[2] واستكمالاً لما كتب عن نفس الفرقة الشيعية في العدد اللاحق[3] ويأتي مقال عن "الشيعة وأقوال العلماء"[4]، وفي نفس العدد في افتتاحيته التي لا تخلو من هجوم على الشيعة الرافضة ويأتي جزء من مقالة رئيس تحرير المجلة عن الحوثيين موضحاً أصولهم التي أرجعها إلى الفرقة الجارودية أشد الفرق الزيدية غلواً وشططاً ويستمر عارضاً عقيدتهم والمعارك التي خاضوها ولم ينس الإشارة إلى الدعم الصفوي بالمال والعتاد مما كان من أهم الأسباب التي جعلت هذه الحركة تبرز على الساحة.

(١) مجلة التوحيد، ع ٤٥٩، ربيع الأول ١٤٣١ هـ، ص ٢ – ٥.
(٢) مجلة التوحيد، ع ٤٥٩، ربيع الأول ١٤٣١ هـ، ص ٧٠.
(٣) مجلة التوحيد، ع ٤٦٠، ربيع الآخر ١٤٣١ هـ، ص ٣٤ – ٣٥.
(٤) مجلة التوحيد، ع ٤٥٧، محرم ١٤٣١ هـ، ص ٧٠.

والأمر لا يقتصر على مجلة التوحيد، فالدروس في المساجد التابعة للجماعة تتطرق إلى هذا الأمر، وخطب الجمعة لا تخلو من الهجوم على الشيعة والتهكم على عقيدتهم.

وفي أثناء العدوان الإسرائيلي على لبنان وأمام الموقف الصلب لحزب الله المدافع عن الأراضي اللبنانية يخرج السلفيون على مسامعنا بأن الشيعة كفرة لا يجب أن نعجب بهم فهم أخطر من اليهود علينا نحن المسلمين، وأمام تزايد الإعجاب في الشارع بالمقاومة اللبنانية ويمثلها حزب الله تستمر الخطب في المساجد السلفية في مهاجمة الشيعة، والأمر نفسه في الدروس الدينية حيث تطرق أولئك الشيوخ لتاريخ الشيعة وألصقوا بها كل النقائص والشرور، وفساد العقيدة. وهذا الموقف السلفي هو موقف رسمي صرف وليس ديني، حيث كشف العدوان الإسرائيلي على غزة عن سلبية وتخاذل الأنظمة العربية في الموقف من إسرائيل ومهادنتها وعدم الوقوف ضدها وضد توسعاتها في الأراضي العربية سواء في لبنان أو فلسطين أو الجولان بسوريا، وكان موقف حزب الله المدافع بشراسة عن الجنوب اللبناني مثار إعجاب في الشارع العربي، حيث أعادت هذه الوقفة ضد إسرائيل الشموخ والكبرياء العربي من جديد وبعثه من تحت أنقاض انتهازية النظم السياسية وضعفها، ولهذا كان الموقف السلفي من حزب الله الشيعي الممول من إيران المجوسية طبقاً للخطاب السلفي.

وبذلك أصبح الشيعة الروافض مهما صنعوا من أجل بلادهم عملاء خونة طابوراً خامساً وهم أخطر علينا نحن معشر السنة من اليهود وذلك في نظر سلفيي العصر، لذا فالتعامل مع اليهود أهون من التعامل مع الرافضة.

ثالثًا : الموقف من جماعات العنف

في تاريخ جماعة أنصار السنة المحمدية - كجزء من التيار السلفي في مصر- بعض صلات مع جماعات العنف على الساحة المصرية ولا يعني القول إنها جزء من ظاهرة العنف، ولكن التيار السلفي عمومًا كان مرحلة ومحطة في حياة بعض أشهر رموز العنف في مصر، حيث يُذكر أن كل الأسماء اللامعة في عالم التطرف والإرهاب قد بدأت نشاطها من خلال الانضواء تحت راية هذه الجماعات السلفية في البداية، ثم انشقت عليها لتنضم وتؤسس التنظيمات الإرهابية الأخرى، فمثلاً: عبود الزمر وناجح إبراهيم وكرم زهدي كانوا أعضاء في الجمعية الشرعية، وأيمن الظواهري كان عضوًا بجماعة أنصار السنة، أما طلعت فؤاد قاسم وطلعت همام وصفوت عبد الغني كانوا في جماعة التبليغ والدعوة، وحتى شكري مصطفى وعمر عبد الرحمن كانت بدايتهما مع الإخوان المسلمين[1].

ولذا كان لا بد أن نشير إلى أن ثمة وجود علاقات نشأت بين الجماعة – وإن كان بشكل وطريقة غير مباشرة - وبعض رموز العنف المسلح في مصر ولذا كان لا بد من الإشارة إلى هذا الأمر وليس في الأمر أي اتهام أو إساءة أو تحريض أو ادعاء بأن الجماعة تؤيد العنف.

جماعة الجهاد الإسلامي

حيث كانت الجماعة تعتمد في مجال التجنيد على تجنيد الملتزمين بتعاليم الإسلام أيًا كان انتماؤهم الفكري باعتبار أن خلافهم الرئيسي مع غيرهم هو مسألة {طريقة التغيير} .. وقد ظل هذا هو منهج جماعات الجهاد المصرية في الدعوة والتجنيد حتى الآن حيث كانت مساجد الجمعية الشرعية وأنصار السنة وحلقات الدرس فيهما هي ملتقى أعضاء الجهاد كما كانت الميدان الأبرز للدعوة والتجنيد لجماعة الجهاد في ذلك

(١) نبيل شرف الدين ، أمراء ومواطنون ، مكتبة مدبولي ١٩٩٨، ص ٣٣.

الحين بسبب انحسار النشاط الإسلامي في ذلك الوقت في هذه المساجد ومنع الأنشطة الطلابية في سائر ساحات العمل السياسي الأخرى كالجامعات(١).

ورغم ميل جماعة أنصار السنة إلى نبذ العنف وتبني فكرة عدم الخروج على الحاكم والسمع والطاعة إلا أن بعض أنصارها من الملتزمين دينيّاً كانوا هدفًا لجماعات الإسلام السياسي "حيث كانت الميدان الأبرز للدعوة والتجنيد لجماعة الجهاد".(٢)

ويُذكر أن علوي مصطفى (وكان طالباً بكلية الهندسة جامعة الأزهر) عندما شارك إسماعيل طنطاوى تأسيس أول تنظيم جهاد في مصر. وكان علوى مصطفى متأثراً جداً في ذلك الوقت بالشيخ محمد خليل هراس وهو عالم أزهرى جليل كان حينها رئيساً لجمعية أنصار السنة المحمدية بمصر وكان علوى وإسماعيل طنطاوى وغيرهما من مؤسسى الجهاد يواظبون على حضور دروس الشيخ محمد خليل هراس بمسجد أنصار السنة في شارع قولة بحى عابدين بالقاهرة، وهناك تعارف الشباب الذين أسسوا تنظيم الجهاد. ورغم تعلق علوى مصطفى بالشيخ محمد خليل هراس إلا أنه كان له ملاحظات عقيدية وفقهية على عقيدة وأفكار جماعة أنصار السنة المحمدية وكتب كراساً في ذلك كان يستخدمها مع الشباب الذين كانوا مواظبين على الحضور لمكتبة ومسجد أنصار السنة كى يدعوهم إلى الانضمام إلى تنظيم الجهاد وظل علوى مصطفى من قادة تنظيم الجهاد إلى أن اختلف عام ١٩٧٤م مع عدد من قادة الجهاد على حكم ضباط الجيش من تنظيم الجهاد الذين قتلوا في الحرب مع إسرائيل في أكتوبر ١٩٧٣م حيث كان شقيق علوى نفسه هو أحد الضباط الذين قتلوا في هذه الحرب، وكان رأى علوى مصطفى أنهم شهداء بينما رأى آخرون أنهم ليسوا شهداء، وحينئذ ترك علوى تنظيم الجهاد ولم يعد له أى نشاط إسلامي سوى

(١) خريطة الحركات الإسلامية في مصر، م س، ص ٤٥.

(٢) خريطة الحركات الإسلامية في مصر، م س، ص ٤٥.

أنه انضم إلى إحدى الطرق الصوفية، ومع ذلك فإن علوى مصطفى تم اعتقاله إثر اغتيال السادات (أكتوبر١٩٨١م) لأن اسمه ورد في التحقيقات بصفته أحد مؤسسى تنظيم الجهاد.(١)

خلايا عنف حديثة

ورغم الطابع السلمي الغالب على الجماعة قولاً وفعلاً ووضع المحللين السياسين والمتابعين للحركات الإسلامية الجماعة ضمن الجماعات السلمية إلا أن الأنباء تأتينا بالقبض على مجموعة من أنصار السنة المحمدية بتهمة الترويج لأفكار تكفيرية وجهادية حيث كشف جمال قاسم (رئيس فرع جماعة أنصار السنة المحمدية بالشرقية) عن إلقاء القبض على مجموعة من المنتمين إلى الجماعة بتهمة «تبنى أفكار جهادية» حيث ألقت السلطات الأمنية القبض على نحو ٦ من الشباب فى الجماعة ينتمون إلى مجموعات جهادية، كان لهم نشاط سرى داخل الجماعة، وقامت أجهزة الأمن بالكشف عنها.

وكان ممن تم القبض عليهم ابن أحد كبار المسؤولين بالجماعة وقامت السلطات الأمنية بالقبض على عدد كبير من أعضاء الجماعة، لكنها أفرجت عنهم تباعاً بعد التحقيق معهم، وذُكر أن هؤلاء كان لهم نشاط مريب داخل أحد فروع الجماعة وكانوا يقومون بعقد ندوات ولقاءات تحمل أفكاراً جهادية تكفيرية للحاكم وتعادى أولى الأمر والسلطة الحاكمة واستخدام الأساليب العنيفة فى فرض آرائهم الفقهية التكفيرية كما أعلن عن قيام أجهزة الأمن بالعثور مع هذه المجموعة على قنابل يدوية وأسلحة بدائية.(٢)

والجدير بالذكر أن التيار السلفي عمومًا لم يكن بعيداً عن اختيارات رموز العنف بل كان نقطة البدء للكثير منهم كما أن الكثير من جماعات العنف قد أعلنت في

---

(١) http://moneep.blogspot.com/2009/06/1_18.html

(٢) المصري اليوم، بتاريخ ١١-٥-٢٠٠٩ تيسير قوايد.

أوراقها أنها تنتهج النهج السلفي، وللتاريخ سنذكر بعض الأسماء التي لمعت كنجوم للإرهاب في الجيل الأول منه مثل كرم زهدي وناجح عبد الله وطلعت قاسم وعبود وطارق الزمر وغيرهم ممن سنكتشف أنهم جميعًا قد بدؤوا نشاطهم الفكري والحركي من خلال الانتماء إلى الجمعية الشرعية وانشقوا عنها[1] والأمر كذلك ينطبق على جماعة التبليغ والدعوة حيث نشأ في أحضانها أسماء شهيرة تعد من أخطر عناصر جماعات الإرهاب مثل ممدوح على يوسف وعلاء محيي الدين الناطق الرسمي باسم الجماعة الإسلامية[2].

وهنا لنا ملاحظة وهي أن الطابع السلمي المأخوذ على جماعة أنصار السنة من عدم صدامية مع الحاكم وتحريم الخروج عليه في اتساق مع مبادئ الفكر السلفي عمومًا قد يؤدي في نهاية المطاف إلى التطرف، حيث أنه مع قله البدائل المتاحة للتغيير تحت دعاوى الحلال والحرام وازدياد الضغوط على الفرد وهو يرى نفسه عاجزًا عن تغيير ما يراه من انحراف بكل الصور، فيجد نفسه أمام ضغوط – من ضميره ومجتمعه – ولا يخرج رد فعله من بديلين:

البديل الأول : أن يتحول من النقيض إلى النقيض من السِلم والمهادنة إلى العنف حيث يعجز عن الاحتفاظ بتوازنه النفسي ويجد أنه ما عادت في نفسه القدرة على الاستمرار فيما هو عليه وتبدأ الكثير من الاستفسارات تنتاب فكره ولا يجد لدى شيوخه أية إجابة مُقنعة شافية، وأمام مبدأ مثل: "وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر" وكذلك المبدأ الهام في أي تنظيم – مهما كان شكله وهدفه – وهو "السمع والطاعة"، فيتحول تلقائيًا إلى غير هذا الإنسان البريء المطيع خصوصاً في ظل انعدام أية بدائل أخرى وكذلك يأسه من الوضع الحالي وهذه هي الخطورة التي يجب الالتفات إليها.

(١) أمراء ومواطنون ، م س ، ص ٢٣٤.

(٢) أمراء ومواطنون ، م س ، ص ٢٣٧.

أما البديل الثاني فهو: أن يتقوقع أكثر وأكثر داخل نفسه، ويزداد طاعة لشيوخه، ويُشدد على نفسه وعلى من حوله، ويتمسك بأدق التفاصيل وحرفية النص – أي نص – كي ينجو من أي خطأ قد يقع فيه، ويلوذ بتاريخ السلف ورموزه في حنين، مستلهمًا منهم القدوة والقدرة على الصمود في هذه الحياة حتى يسترد الله وديعته، ويُكثر في ذكر الموت والجنة ونعيمها، وتسفيه الدنيا والمتصارعين من أجلها، وينعزل شعوريًا عمن حوله فيغوص في خُيالات الماضي السعيد مع رموزه الذين حفظ أقوالهم، وتمثلهم في جميع شؤون حياته. **وهذا الشخص في هذه الحالة يكون أداة طيّعة في أيدي شيوخه وكذلك الممارسين للعنف – والكثير منهم يتدثر برداء الشيخ العالم الفقيه المجدد – بكل صوره، يستطيعون توجيهه لأي اتجاه شاؤوه حتى ولو للموت نفسه تحت أية دعوى تغلف بمعانٍ سامية،** مما يدفعه إلى القيام بما يُوكل إليه حتى يتخلص من الدنيا "فالدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" فكيف يرفض هذا الشخص – المؤمن – أن يخرج من سجنه؟!

رابعاً : الموقف من جماعة الإخوان المسلمين

يحذر المركز العام لجمعيات أنصار السنة المحمدية جميع فروع الجماعة من تسلل بعض أعضاء ووعاظ الجماعات – الإخوان – والهيئات المنحلة وكذلك من بعض الدخلاء الذين ينتحلون صفة خطباء ووعاظ الجماعة – زورًا – يحذرهم من أن يُمكِّنوا أحدًا من هؤلاء من التسلل إلى مجتمعاتهم أو اعتلاء منابرهم، سواء كان ذلك لخطب الجمع أم المحاضرات أم الدروس العامة، حتى لا يسيؤوا إلى الجماعة وسمعتها بالسكوت على ذلك التسلل[1].

كان ذلك هو نص التحذير الذي أطلقته الجماعة ضد الإخوان في الخمسينيات بعد قرار حل جماعة الإخوان المسلمين.

(١) الحاكمية والسياسة الشرعية، م س، ص ٢٢٠.

والأمر لم يقف عند التحذير السابق فقط بل امتد إلى البحث في عقيدة الإخوان المسلمين، فقد صدر كتاب بعنوان (**إثبات فساد منهج ودعوة حسن البنا وجماعة الإخوان وأنها ليست على منهج السلف الصالح**) ويتواجد بكثرة على أغلب المواقع السلفية، وبدون التطرق إلى تفاصيل الكتاب يكفى أن نعرض لبعض محتويات فهرس الكتاب فهو يكفي للدلالة على محتواه:

* حسن البنا ينفي انتماء جماعة الإخوان إلى الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة ويدعو إلى ضم جميع الفرق الضالة إلى جماعته لتحقيق هدف الجماعة الأعلى والأسمى.
* حسن البنا يأتي ببدعة منكرة جديدة لم يسبقه أحد إليها من قبل.
* حسن البنا يطبق القاعدة الفاسدة في منهج جماعة الإخوان "يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه" مع الفرق الضالة المسلمة المبتدعة.
* حسن البنا وجماعة الإخوان الضالة يطبقون القاعدة الضالة الأخرى "لا يضر مع الإيمان بدعة" كنتيجة لتطبيقهم القاعدة السابقة المنحرفة.
* حيلة خبيثة ماكرة تخدع بها وتحتال بها جماعة الإخوان على المسلمين لمساواة الفرق الضالة المبتدعة بأهل السنة السلفيين.
* تبني جماعة الإخوان المذهب الصوفي المنحرف (البدعة الحسنة في الدين) وحسن البنا يضعه في أركان بيعة جماعة الإخوان الضالة.
* جماعة الإخوان هي عميلة للرافضة الشيعة وهي طابور خامس للرافضة في بلاد المسلمين وجماعة الإخوان تعتقد بأن المذهب الشيعي الرافضي هو مذهب شرعي إسلامي كالمذاهب الأربعة !!!
* جماعة الإخوان ابنتها حماس وهما عملاء للرافضة والطابور الخامس لهم في بلاد الإسلام وجماعة الإخوان تعتقد أن المذهب الشيعي الرافضي هو مذهب شرعي كالمذاهب الأربعة.

الإخوان المسلمون بين الإبتداع الديني والإفلاس السياسي

وهو من أحدث الكتب المهاجمة لجماعة الإخوان المسلمين والصادرة عن أحد رجالات جماعة أنصار السنة المحمدية الشيخ علي الوصيفي (ط ١ دار المشارق الإسلامية ٢٠١٠م) ويظهر من بين صفحات الكتاب الجهد البحثي الكبير المبذول فيه ومصادره المتنوعة .

والملاحظة الأولية هي أنه يكاد يكون هناك تطابق لأول مرة – حسب علمي – بين اليمين ومنه جماعة أنصار السنة وإليها ينتمي المؤلف واليسار ومنها كتابات د.رفعت السعيد وذلك من حيث :

١ . حدة التعبيرات الواردة فيه .

٢ . وكذلك الخطأ المنهجي الذي جعل كل التنظيمات الدينية السلمية منها والعنيفة في سلة واحدة .

٣ . وجعل مسؤولية أعمال العنف في عنق الإخوان .

كما أن المؤلف – على الوصيفي - يسير فيه على نفس درب الشيخ عبد الرحمن الوكيل – رحمه الله – في كتابه " هذه هي الصوفية " ففضلاً عن حدة الألفاظ فهناك الأسلوب الهجومي ونظرة الاستعلاء والسخرية وامتلاك الحقيقة الكاملة – وهذه سمة عامة في الجماعة في انتقاداتها للمخالفين لهم فكرياً - وهذا ليس تجنياً على المؤلف بل نلحظه بوضوح من أول صفحات الكتاب حتى آخر صفحة من الكتاب الذي يحاسبهم فيه على أساس عقائدي – كما يراهم - في المقام الأول فضلاً عن بعض التناقض الوارد في ثنايا الكتاب كما لاحظنا.

الاهتمام الأكبر في الكتاب وفي وجدان الكاتب ينصب على بيان بدعية تصرفات وأفكار الجماعة حيث يرى أن من واجبه أن يتصدى لمثل هذه التصرفات حيث

يقول: وإذا كان الأخذ على أيدي قطاع الطرق أمراً واجباً .. فالأولى الأخذ على أيدي الذين يقطعون الطريق أمام دعوة التوحيد ويستخفون بسنة الحبيب ﷺ وليس في الدين مبرر للسكوت على أهل البدع الذين يفسدون الدين بالمقالات الباطلة والأفعال الثورية.. ومن لم يفعل ذلك فهو متواطئ معهم في اتباعهم مذاهب الفرق الضالة في العقيدة وفي تمييعهم سنة النبي ﷺ وفي احتقارهم دعوة السلف أهل الحديث وعلمائهم (ص ١٤) وحتى لو كانت المواجهة من باب تتبع العورات وذكر المسلم بما يكره (ص ١٨) .

فالكاتب أولا يستنكر تصريح المرشد العام السابق مهدي عاكف عندما طالب" بإعطاء الشعب حريته في الحركة والدعوة إلى الله وحتى الدعوة إلى العلمانية والإباحية وأن تكون الحرية للجميع : بقوله : بإباحتهم – أي الإخوان – نشر الإلحاد والكفر والإباحية تقرباً للأيدلوجيات الفكرية المعاصرة (ص ١١).

– ويقول:

* وهم في حقيقة الأمر يتجاوزون عن مصائبهم البليغة وأخطائهم الشنيعة التي حالت دون وصولهم إلى بغيتهم طيلة ما يقرب من سبعين عاماً، بالإضافة إلى سنن الله الكونية مع عباده الصالحين لم تكن معهم فكيف يكون طول الابتلاء علامة على صحة منهجهم .. وقد أوجب الله تعالى على نفسه أن ينصر من ينصره في الدنيا والآخرة قال تعالى { ولينصرن الله من ينصره } وهؤلاء لم ينصرهم الله وقد ذهب جيلهم الأول ولم يعد له دور، وقد شتتهم الله في البلاد وفي السجون منذ عام ١٩٤٨م حتى عام ١٩٧١م (ص ١٣).

* فهم أصحاب فتنة منذ أن نشؤوا. قطاع طرق عما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه (ص ١٤).

* جماعة الإخوان تتوافق كثيراً خصوصاً مع المرجئة (ص ١٨).

التنـاقض

– والغريب من المؤلف أنه يصف بعض رجال الإخوان بصفات حادة وبقسوة في مواضع شتى من الكتاب ويتحدث عنهم بأحاديث قاسية وبأسلوب لا يصح في حوار بين علماء دين إسلاميين على علم بأسس وآداب الحوار التي علمنا إياها الإسلام ، ومن أبرز هؤلاء الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي والشيخ محمد الغزالي – رحمه الله .

فالكاتب يصف الشيخ يوسف القرضاوي ومنهجه في فقه الأولويات ويقول : جند نفسه في الدفاع عن أهل البدع ، وقام بجهد ملحوظ في حماية مناهج المعطلة والمؤولة (ص ١٩) ، حيث هو : عضو مشارك في منظمات عالمية مشبوهة ، فهو..

رئيس الاتحاد العالمي لما يُسمى بعلماء المسلمين الذي يَضم في جنباته الشيعة والأباضية .

وهو رئيس المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث .

ورئيس مجلس أمناء الجامعة الأمريكية الإسلامية .

وهو عضو مجلس الأمناء لمركز الدراسات الإسلامية في أوكسفورد.. وهذه كلها مراكز استشراقية تقدم بحوثاً تطعن في الإسلام (ص ٣٧).

كما أنه غير أمين في كتاباته التي "تتنافى مع الأمانة العلمية والخشية الإلهية!! (ص ٢٣٩) بل وتختلط عليه الأمور (ص ٢٣٩).

أما الشيخ محمد الغزالي فهو شخص :

" سبَّ أهل الحديث وأئمة السلف، ورماهم بكل نقيصة وسعى إلى الوقيعة بينهم وبين الفقهاء ..

وشذ في باب الأسماء والصفات فقام يرجح ما يريد ويبطل ما يريد بغير دليل ولا برهان، وكتبه مرصد لجمع الشبهات التي اتخذها أهل الأهواء تكأة للطعن في السنة وأهلها (ص ٣٦).

والذي رماه الألباني بالاعتزال (ص ٤١).

وهو الذي بلغ الغاية في سب العلماء الذين لولاهم ما عرفنا عن الإسلام ولا عن نبي الإسلام شيئاً (ص ٢٥٣).

والسؤال ..

رجلان بهما كل هذه الصفات والتي تجعل شهادة أي منهم غير مقبولة ومجروحة كيف يستخدم المؤلف شهاداتهما في نقد جماعة الإخوان لتأكيد رؤيته ووجهة نظره!! مثلما حدث في صفحات ٥٧، ٥٨ ، ٥٩، ٨٨، ١٥١ على سبيل المثال.

ونأتي لسيد قطب والذي أفرد للتصوير الفني في القرآن ولتفسير الظلال الصفحات من ص ١٥٤ إلى ص ١٨٢ نقداً – وهذا حق المؤلف – وذماً – وهذا ليس من حقه – وكما قال الإمام مالك فكل يؤخذ من رأيه ويُرد إلاّ صاحب هذا القبر – وأشار إلى قبر النبي ﷺ. هذا الرجل – سيد قطب – يستشهد المؤلف بآرائه الواردة أيضاً في الظلال (ص ٩٦) ويقول في أكثر من موضع عند ذكره: رحمه الله (ص ٩٦) فضلاً عن الألقاب التي سبقت اسم قطب مثل : الأديب سيد قطب (ص ٩٥) والأستاذ سيد قطب (ص ١٥٢).

المرجعية

ونأتي إلى المرجعية التي بنى عليها المؤلف أحكامه واستند لرأيها في هجومه – وليس نقده – لجماعة الإخوان المسلمين ولنبدأ من التقديمات الخاصة بالكتاب في البداية فأغلبها لسعوديين أو متسعودين من مصر أو غيرها من الدول فضلاً عن آراء الشيخين الراحلين محمد نصر الدين الألباني وعبد العزيز بن باز خصوصاً وقد جعل آرائهما غالباً مرجعيته في نقده وذمه للشيخين القرضاوي والغزالي حيث فرد المساحة لابن باز. ولآرائه في الجماعة (ص ٤١، ١٠١) والألباني (ص ٤٥، ٧٥ ، ١٠١) على سبيل المثال لا الحصر.

وفي معرض حديث المؤلف عن سيد قطب ومحاكمته ينقل عن بن باز القصة التالية:

"... وعلى الرغم من شفاعة العلامة بن باز في سيد قطب عند عبد الناصر حين حكمت عليه محكمة الشعب بالإعدام في الستينيات بسبب تنظيم ١٩٦٥م إلاّ أنه لما تبين له حاله قال عنه : مسكين ضايع في التفسير ينبغي أن يؤدب!!

وكأن محاولة سيد قطب لتفسير القرآن – رغم ما عليه شخصياً وعلى محاولته من ملاحظات ومآخذ شتى – وهذا أمر طبيعي يرتبط بأية تجربة بشرية فيها من الزلل والخطأ فالعصمة لله تعالى وحده ويجب أن توضع تجربته في ظرفها التاريخي ونحاكمه عليها – عقابها الإعدام طالما كانت محاولته هذه خارج نطاق الثوب الوهابي الذي يحتكر الإسلام وفق فهمه الخاص وتناسى المؤلف أن "من اجتهد وأصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر".

حسن البنا

وقد ناله الكثير من سهام الكاتب والحظ الأوفر من التوصيف بالجهل وعدم العلم وحب الشيعة وموالاتهم وصوفيته البغيضة وسعيه إلى التقريب بين المذاهب[١] مما يدل على جهله . ويفرد الصفحات من ٦٨ إلى ٧٦ للحديث عن التأثير الشيعي – الرافضي – على حسن البنا ، وكذلك الصفحات من ٧٧ إلى ٨٠ للحديث عن تأثره بجمال الدين الأفغاني الإيراني الشيعي البابي (ص ٧٧).

حيث أن : الاثنين يشتركان في تهييج العامة على ولاة الأمور والسعي الدءوب في ذبذبة الواقع إلى تحقيق مكاسب سياسية (ص ٧٨) .

(١) نذكر أن للمؤلف كتاب باسم (لا .. يا دعاة التقريب) هاجم فيها بشدة محاولات التقريب بين السنة والشيعة وله أيضاً كتاب (حوار مع صوفي) يهاجم به الصوفية بضراوة في اتساق مع الفكر السلفي ذي الصبغة الوهابية المعروف عنها احتكار الدين ونفي ونبذ المخالف لهم في الفكر وهجومهم القاسي على الشيعة والصوفية بشكل عام في كل المحافل والمطبوعات .

ويقول أيضاً المؤلف :

"إن دعوة الأفغاني دعوة سياسية قائمة على استغلال الأوضاع وإبراز المظالم، والمتاجرة بها، ومخاطبة الولاة والسلاطين مجاهرة بغير حياء!!، وتأليب العامة والفلاحين، والدعوة إلى التهييج والإثارة، من خلال الجمعيات الأهلية والصحف والمؤتمرات الجماهيرية" (ص ٧٦).

ونقول للمؤلف : وما العيب من ذلك إذا كان الغرض إصلاح أحوال الناس ودرء المظالم عنهم ولنا الظاهر ولله تعالى وحده السرائر. وهل تبصير الناس بحقوقهم والمظالم الواقعة عليهم تهييج وإثارة أم ماذا بالضبط ؟!

- وينقل عن رسالة المؤتمر الخامس ساخراً قوله :

"وعندما اشتد عود الجماعة دعا حسن البنا رؤساء الأحزاب والهيئات إلى الانضمام إليه، وبشرهم إن هم سبقوا إليه بالرياسة والريادة وإن تأخروا بضعف المكانة والذل ولو عملوا في محيط الدعوة (ص ٢٥). ويتناسى المؤلف أن هذا الاقتباس الذي يعيبه على حسن البنا قد سبقه بنفس الأسلوب الشيخ محمد بن عبد الوهاب قبل البنا بقرون فالأمر نفسه تم بين محمد بن عبد الوهاب عثمان بن حمد بن معمر صاحب العيينة عندما قال له في ترغيبه: "إني أرجو إن أنت قمت بنصر لا اله إلا الله أن يظهرك الله وتملك نجدًا وأعرابها"[1]. والأمر نفسه ما حدث أيضاً مع ابن سعود حيث خاطبه بن عبد الوهاب قائلاً: "أنت كبيرهم وشريفهم أريد منك عهدًا على أن نجاهد في هذا الدين والرياسة والإمامة فيك وفي ذريتك بعدك وأن المشيخة والخلافة في الدين فيَّ وفي آلي.. فإن قبلت هذا أخبرك أن الله يُطلعك على أمور لم يدركها أحد من عظماء الملوك والسلاطين، وتكون عاقبة أمرك محمودة عند الله لأنك

(١) عنوان المجد، ج١، ص ٣٨.

اتبعت الدين ونصرته!"[1] فماذا يقول المؤلف الآن في هذا الأمر؟ وهل يستطيع توجيه نقد مماثل لنقده لحسن البنا وجماعته لتجربة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآل سعود منذ البداية وحتى اليوم؟

– **وعن منهج حسن البنا يقول المؤلف** : لم يميز حسن البنا دعوته بتحقيق مسائل الإلهية والعبادة اتباعاً لمنهج الأنباء والرسل وولج في مفاهيم صوفية خرافية شركية تجعل الرسول يحضر مجالس المخرفين ليغفر الذنوب ويتجاوز عن المثالب والعيوب فقال :

" هذا الحبيب مع الأحباب قد حضر ... وسامح الكل فيما قد مضى وجرى"

واستنكر قول البنا: "وأهم ما يجب أن تتوجه إليه همم المسلمين الآن توحيد الصفوف وجمع الكلمة ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً" (ص ٢٩).

ويستمر تهكم المؤلف على مُرشدي الإخوان فيقول عن عمر التلمساني:

ثم جاء عمر التلمساني ولم يكن عالماً من علماء الإسلام ولكنه كان يعمل بمهنة المحاماة وقد نشأ منتمياً إلى حزب الوفد وتربى على كتب العشق والهيام" (ص٣١).

وينتقد تصريح حامد أبو النصر الذي قال فيه :

"لا مانع عندنا من إنشاء حزب شيوعي في دولة إسلامية، وكذلك اعتراف مصطفى مشهور بمذهب الاثنى عشرية. ومهدي عاكف الذي فتح الأبواب لانضمام كل الطوائف والملل لجماعته حيث قال: .. الإخوان لهم رسالة ومنهج وكل من يوافق على هذا سواء أكان مسيحياً أو يهودياً فأهلاً به (ص٣٣).

– بل ويخرج جماعة الإخوان من أهل السنة والجماعة مستدلاً بقول الشيخ الراحل محمد حامد الفقي مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر قوله

---

(١) لمع الشهاب، ص ٣٠- ٣١.

"الإخوان خوان الفرق"، أنت حاطب ليل والمقصود بحاطب الليل من يجمع حشائش الأرض بالليل وقد تلدغه الحية أو هو الذي يجمع الغث مع الثمين وما يضره وما ينفعه (ص٣٨).

والغريب أن المؤلف ينتقد لإخوان المسلمين بتأييدهم للحكام!. يقول المؤلف: بايعوا الرئيس مبارك 4 مرات (ص١٤١).

وقال أيضاً: .. تلك الحركة التي قامت على مر السنين والأعوام بمبايعة الملوك والرؤساء مبايعة صريحة أو مشروطة (ص ٩٠) والغريب أن الإخوان كانوا يفعلون هذه التصرفات الغريبة التي يُأخذها المؤلف عليهم في الوقت الذي كان فيه رموز وشيوخ جماعة أنصار السنة المحمدية يفعلون نفس الأمر مع نفس الحكام (للتوسع انظر موضوع الموقف من الحاكم في مؤلفنا هذا بعد صفحات قليلة). والآن يا شيخنا .. ماذا تقول في شيوخ جماعتك الذين قاموا بنفس هذه التصرفات التي تعيبها على جماعة الإخوان المسلمين؟).

ويأتي لموضوع التقية التي يرمي بها تصرفات المرشدين وأعضاء الجماعة ، فنجده خصص – على سبيل المثال – الصفحات من ٢٣١حتى ٢٤٥ لسرد بعض القصص عن بعض رموز الجماعة تحت عنوان "التقية مُلكة ومنهج" ونقول له إن ما يعيبه على تصرفات الإخوان السياسية فعلها من قبلهم ويقرون الشيخ محمد بن عبد الوهاب ذكره ابن بشر المؤرخ الشهير صاحب كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد وكاتب السيرة الذاتية للشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث قال: حتى وقع بينه وبين أبيه كلام[1]، ووقع بينه وبين أهل بلده حريملاء جدال وخصام ولكنه لم يصدع بالدعوة!! ويُصرح بإنكار الشرك إلا بعد وفاة والده الشيخ عبد الوهاب سنة ألف

---

(١) عنوان المجد ، م س ، ص ٢٣.

ومائة وثلاث وخمسين من الهجرة[1]!!. وكما ورد في كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب قصة حديثه مع القاضي حسين حيث وردت القصة التالية:

"فتعذر هو من القاضي وحلف بالله بأنه ما قال شيئاً مما نُقل إليه – أي إلى القاضي – وأخذ يُظهر الإخلاص، ويُبدي العجز والانكسار، ويقول رجل غريب طالب علم حل بأرضكم إن رفقتم به فمثلكم من يكرم الضيف، وإن أسأتموه فلا ضرر ولا حيف[2].

كما أنه كان يُغير اسمه في كل بلد، قيل سمى نفسه في البصرة بعبد الله ، وفي بغداد بأحمد وفي الكرد بمحمد، وفي همذان بيوسف وهكذا لم يزل يتخذ التورية والإبهام[3].

هل هي تقية من الشيخ ابن عبد الوهاب أم مناورة سياسية أم ماذا بالضبط؟!

واستمراراً لحدة تعبيرات المؤلف يقول (ص ٢٤٠): إن الإخوان يزعمون أنهم الجماعة الأم وإنهم الأساس في النهضة الدينية.. ليتحقق لهم السبق في كل ما يخص الإسلام، وهذا كذب صريح مخالف لحقيقة الواقع لأن أول جماعة دعوية أنشئت بمصر كانت جماعة أنصار السنة المحمدية التي هي امتداد لدعوة السلف .. عام ١٩٢٦م، ثم نشأت بعدها الجمعية الشرعية عام ١٩٢٧م، ثم أنشأت حركة الإخوان في أواخر عام ١٩٢٨م"..

ونحن نقول لك يا شيخنا قد التبست عليك التواريخ؛ فأول الجمعيات الأهلية الإسلامية كانت الجمعية الخيرية الإسلامية أُسِست بالقاهرة عام ١٩٨٢م وتعد هذه الجمعية إحدى الخُطوات البارزة في مجال الإصلاح الاجتماعي وقد تولى رئاستها فيما بعد الإمام محمد عبده عام ١٨٩٠م، وبعد ذلك كان إنشاء الجمعية الشرعية للعاملين

(١) مشاهير علماء نجد ، م س ، ص ٢٢.

(٢) لمع الشهاب ، م س ، ص ١٧.

(٣) لمع الشهاب ، م س ، ص١٩.

بالكتاب والسنة أسسها الشيخ محمود خطاب السبكي في غرة المحرم ١٣٣١هـ الموافق ١١ ديسمبر ١٩١٢م فكانت بذلك أول جمعية منظمة تدعو إلى إحياء السنة وإماتة البدعة، ثم تأسست جمعية أنصار السنة المحمدية عام (١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م) بمدينة القاهرة، على يد الشيخ محمد حامد الفقي - وكان من أسباب نشأة جماعة أنصار السنة لوجود اختلاف في تفسير آيات الصفات، ثم تم إشهار جمعية الشبان المسلمين عام ١٩٢٧م ثم جمعية الإخوان المسلمين في أواخر عام ١٩٢٨م.

(وللتوسع يا شيخنا انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي وكذلك " الجمعيات الإسلامية في مصر ودورها في نشر الدعوة الإسلامية "د. محمد عبد العزيز داوود) ونتعفف أن نقول ما قلته سابقاً عن ادعاء الإخوان المسلمين السبق في الدعوة.

ويعيب المؤلف على دعاة الإخوان في تشكيكهم في نوايا الناصحين والمنتقدين لهم فيتهمونهم بالعمالة .. ظانين في أنفسهم الوصاية على الدين وأن غيرهم متطفل عليه (ص ٢٤٦) ونقول يا شيخ علي أنت اتبعت هذا المنهج أي التشكيك في النوايا في الكثير من صفحات كتابك حيث قلت عن عبد المنعم أبو الفتوح (.. هذا المذكور لا يريد الحق ولا مرضاة الله .. ص ٢٤٥)!!!

وتقول أيضاً في ذم الإخوان:.. وهم من الصنف الذي يظهر المودة والمحبة والسلام والتحية تظاهراً أمام من يسعون في كسب ودهم فقط، وهم في حقيقة الأمر يضيقون الخناق وينشرون الأكاذيب والشائعات (ص ٢٤٩).

العنف والجماعات التكفيرية

والغلطة العلمية التي وقع فيها بعض الكتاب عند ذكر الجماعات الإسلامية وقع فيها المؤلف (ص ٢٥٩ إلى ٢٨٨) وذلك من حيث جعل كل التيارات الإسلامية في كفة واحدة ونسبتها وعنفها إلى الإخوان المسلمين.

نعم .. الإخوان المسلمون كانت هي الأم بالنسبة إلى كل الحركات المتطرفة في العقود الثلاث الأخيرة من القرن الماضي حيث أن أغلب رموز وأعضاء هذه الحركات كانوا بشكل أو بآخر منتمين فكرياً أو تنظيمياً إلى الجماعة ولكن بسبب اختلافات وجهات النظر بينهم وبين الجماعة الأم حدثت انشقاقات وظهرت جماعات جديدة بأفكار جديدة وكانت أول من انتقد أسلوب جماعة الإخوان المسلمين وتفكيرهم ابتداء من شكري مصطفى وصالح سرية والظواهري الذي هاجم الإخوان بضراوة في كتابة الحصاد المر. ولكن انتماء بعض رموز العنف لم يكن إلى الإخوان المسلمين فقط ، فقد كان بعض هذه الرموز ضمن الجمعية الشرعية وأنصار السنة والتبليغ والدعوة كما أشرنا منذ قليل(*).

نعم للإخوان انحرافات وشطحات كبيرة وبلغت قمتها في التنظيم الخاص ولكن هذا التنظيم أصبح قوة داخل الجماعة حيث لم يقدر عليه البنا نفسه في حادث الخازندار ومن بعده الهضيبي وبسبب المحاكمات في صفوف الإخوان انكمش التنظيم أو تحول أعضاؤه إلى الجماعات المتطرفة الحركية ولم يبق من شيء إلا كبار رموزه الذين يتوفاهم الله عاماً وراء عام ولم تبرز أية قضية بخصوص التنظيم الخاص عقب محاكمات ١٩٦٥ والتي كانت نقطة فاصلة بالنسبة إلى التنظيم الخاص.

وعلى كل ما سبق لا يخرج القارئ العادي إلاّ بنتيجة واحدة ألا وهي ضرورة حل جماعة الإخوان المسلمين حتى تنصلح الحال بالبلاد والأمة العربية والإسلامية، اي أنه لا إمكانية للتعايش معها وهنا تثور عدة أسئلة:

أبسبب هذه النتيجة التي يتبناها الكاتب لم يحاول أن يضع آية خطوط عريضة للجماعة للسير عليها سوى أن تتبع السلف الصالح وأهل الحديث؟!

(*) انظر هذا الكتاب تحت عنوان (الموقف من جماعات العنف).

وإذا كانت كل التصرفات التي يعيبها الكاتب على الإخوان سياسية فلماذا يحاكمها بدعياً وليس سياسياً؟ هل لأنها جماعة ضد الحاكم والمؤلف ينتمي إلى تيار يؤيد الحاكم مهما طغى وتجبر؟

هل تعدد الجماعات والأفكار والآراء أمر يخالف السنة والسلف الصالح أم يجب أن يلتزم الجميع بما تراه جماعة أنصار السنة المحمدية باعتبارهم الجماعة الحامية للسنة فهم من أهل الحديث وغيرهم ليس كذلك؟

الموقف من الحاكم

وباعتبار الجماعة امتدادًا لمدرسة الإمام ابن تيمية وابن القيم والإمام محمد بن عبد الوهاب كما أسلفنا فموقفها متطابق مع موقف رواد الفكر السلفي فالجماعة "منبثقة من نظام الدولة وبالطبع تعترف بهذا النظام في حدود المعروف من الشرع، وتعتبر الحكام في بلاد الإسلام أولياء الأمور الذين تجب طاعتهم في المعروف ولا يجوز الخروج عليهم ولا منابذتهم بالسيف ولا التحريض عليهم بالكلام ولا بغيره، ومن مات وليس في عنقه بيعة لحاكم مات ميتة جاهلية"(١).

---

(١) الحاكمية والسياسة الشرعية، م س، ص ٥٤. ويجب أن نلفت النظر إلى أن الكتاب أثار الكثير من الاعتراضات داخل الجماعة ولاقى هجوماً من بعض الأعضاء، الذين رفضوا نسبته إلى الجماعة وقال الشيخ عادل السيد، معد الكتاب إن الكتاب يقدم مجموعة من الأقوال لشيوخ الجماعة كما أن الكتاب ضربة للتكفيريين، الذين كانوا يستندون فى مواقفهم بالخروج على الحاكم وعدم الطاعة له إلى بعض الفتاوى المنسوبة إلى هؤلاء الشيوخ، كم أن الذين لا يعجبهم الكتاب هم التكفيريون والإخوان الدخلاء على الجماعة الذين استطاعوا اختراق الجماعة منذ سنوات ويتولون الآن مناصب داخل مجلس إدارة الجماعة ويقومون على قراراته، لافتاً إلى أن السبب وراء انقسام مجلس الإدارة حول هذا الكتاب يرجع إلى هؤلاء الذين صدموا بالكتاب الذى يقتل الأفكار التكفيرية فى مقتل، لتركيزه على آراء شيوخ الجماعة القدامى، الذين كانوا حريصين على الدعاء للحاكم باستمرار. كما أكد الشيخ أحمد يوسف، الأمين العام للجماعة، أن الكتاب يضم مقالات لشيوخ الجماعة القدامى، وأن دور الشيخ عادل السيد، هو تجميع هذه المقالات وإعداد هذا الكتاب (المصري اليوم٣-٩-٢٠٠٩
http://www.almasry-alyoum.com/article2.aspx?ArticleID=224754

فعدم الخروج على الحاكم لأجل الظلم أو الفسق أو البدعة هو الأرجح[1] وإذا جال سؤال بخاطرنا عن كيفية مواجهة الحاكم الظالم فعلينا أن نصبر، فالصبر على الأذى في العرض أولى وأولى رغم أن السلفيين بالمفهوم الصحيح، كانوا دائمًا الأكثر ثورية، ويكفي أن نسترجع أسماء الأئمة الذين استندت الحركة الوهابية إلى تعاليمهم، لنجد أنهم رغم ما زعمه المغرضون، أو أصحاب النظرة السطحية، من أنهم محافظون، أو سلفيون، فقد كانوا هم خصوم السلطة، المدافعون عن حرية الإنسان المسلم، وحرية الوطن المسلم."[2]

هذا هو رأي الجماعة دائمًا وهو أن تسير في ركب السلطة أيًا كانت تتعدد الأسماء وتظل الطاعة الكاملة هي الحاكمة للعلاقة بين الطرفين وبتتبع العلاقة بينهما على مدار تاريخها من عام ١٩٢٦م تاريخ إنشائها حتى الآن يؤكد هذا الكلام فعندما كانت السلطة في يد الملك فاروق بايعت الجماعة الملك فاروق ملكًا للبلاد في بيان صدر في مساء الاثنين الموافق ١٧ شوال ١٣٥٦ هـ ٢٠ديسمبر ١٩٣٧ م قيل فيه "إن الجمعية العمومية لجماعة أنصار السنة المحمدية بمناسبة انعقادها السنوي لانتخاب مجلس الإدارة تقدم خالص الولاء لجلالة الفاروق الأول حامي الإسلام! وتسأل الله أن يطيل بقاءه حصنًا للإسلام وناصرًا للسنة المحمدية وأن يؤيده بنصره العزيز"[3].

قد يقول قائل إن هذا الأمر طبيعي حيث تمر البلاد وقتها مرحلة تفاؤل بالعهد الجديد وتستبشر خيرًا بالملك فاروق صاحب الشعبية الجارفة في هذه الأوقات حيث لم يفسد – كما يقول البعض – وقتها ولكن هل ظل فاروق في وجهة نظر الجماعة كما هو، وذلك في عام ١٩٥١ حيث أن الجماعة أرسلت عريضة إليه تستنجد به بتاريخ

(١) د.جمال المراكبي ،الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة ، ص ٤٨٤.

(٢) السعوديون والحل الإسلامي ، م س ، ص ٩٠.

(٣) الحاكمية والسياسة الشرعية ، م س ، ص ٦٤.

٢ مارس ١٩٥١ قائلة له "يا صاحب الجلالة، لقد نام رجال الدين عن الذود عن الدين الذي يتأكلون به وشغلهم الرغيف وألهتهم الدرجات، فمن للدين غير الفاروق !! فإلى ساحته نفزع وإلى رحابه نتقدم، فبكلمة منك توضع الأمور في نصابها وسيذكر التاريخ أن الفاروق أنقذ الإسلام في عصره، وسيدخر الله له الثواب يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم"![١]

وهو نفسه الملك فاروق الذي قالت عنه إنه "صار مثلاً أعلى للشعب في أداء الفرائض والواجبات الدينية كما كان الفاروق الأول رضى الله عنه أسوة للعرب والمسلمين في العدل والرحمة وفي البر بالفقير والعطف على المحروم !!.. والجمعيات الإسلامية تستبشر بهذا القران لأن (الفاروق) أصبح خير قدوة للشباب المسلم المتعلم ولما تعرفه عن جلالته من حبه للدين واستمساكه بالسنة النبوية[٢]".

والذي اقتدت به الشباب إذ "أقبل كثير من الشباب المصري على إقامة الصلاة والمحافظة على حضور الجمع والجماعات والمبادرة إلى كثير من الخيرات!"[٣]، حيث أن الشباب المصري لم يكن يعرف طريق المساجد إلا بعد أن صلى الملك في المسجد وهنا سؤال: أين هو دور الشيوخ في إرشاد الشباب إلى فريضة الصلاة ألم يكونوا هم أولى من جلالة الملك لتعليم هؤلاء الشباب أم أنه لم يكن لديهم الوقت لذلك حيث أنهم متفرغون لأمر أهم وأعظم؟

كانت هذه هى الحال في ظل حكم الملك فاروق الذي "صار مثلاً أعلى للشعب في أداء الفرائض والواجبات الدينية كما كان الفاروق الأول " رضى الله عنه فاروق هو نفسه فاروق الذي يشهد الجميع من قرار نفوسهم له بشدة حرص جلالته على

(١) الحاكمية والسياسة الشرعية، م س ، ص ١٠٢.

(٢) الحاكمية والسياسة الشرعية، م س ، ص٨٩.

(٣) الحاكمية والسياسة الشرعية، م س ، ص٩٣.

مصلحة شعبه والعطف عليهم والحنو على صغيرهم قبل كبيرهم والسهر الطويل الجاهد في دفع المكروه وإبعاد الأذى عنهم.."[1]

فلنر .. هل ظل فاروق كما هو بعد الثورة أم تغير؟ هل ثبت الرجال على أقوالهم أم تغيروا بتغير الدفة - دفة الحكم؟ أين هو دورهم تجاه الأمة في الدفاع وتأييد حاكم قدوة مثل الملك فاروق والذي بسببه تعلم الشباب المواظبة على الصلاة ألا يجب أن يكون لهم موقف ويعملون على بقاء الملك فاروق الشبيه خلقًا ومكانة – حسب وجهة نظرهم – بالفاروق عمر بن الخطاب أم أنهم رأوا أن السلامة في طي صفحات الماضي على أبطاله وبدء صفحة جديدة !

فعقب قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وتحديدًا في ظهر يوم الأربعاء ١٥ من ذي القعدة سنة ١٣٧١هـ الموافق ٦ أغسطس ١٩٥٢ قابل وفداً من جماعة أنصار السنة المحمدية وعلى رأسهم فضيلة الأستاذ العام الشيخ محمد حامد الفقي حضرة اللواء أركان حرب محمد نجيب قائد القوات المسلحة وألقى الرئيس كلمة تهنئة ووعظ[2]

ثم بعد ذلك تم إرسال برقية إلى رئيس الجمهورية ونائب رئيس الوزراء جاء فيها:

"جماعة أنصار السنة المحمدية تتقدم بأجل التهاني وأخلص التحيات وأصدق التمنيات لأبطال مصر! الذين بذلوا أنفسهم لإنقاذها من عناصر الفساد التي كانت تقعد بها عن النهوض بها والسير في طريق الحياة العزيزة ويبذلون أنفسهم في البلوغ بها إلى ما تحبه وتسعى إليه أنصار السنة من تطهيرها من الإنجليز وأشباههم وأذنابهم وتسأل الله القوى أن يؤيدكم بنصره ويمدكم بروح منه! ويوفقكم بإعزاز الإسلام الصحيح الذي جعله الله السبيل إلى كل خير وفلاح في الدنيا والآخرة"[3].

---

(١) الحاكمية والسياسة الشرعية ، م س ، ص ٩٣.

(٢) الحاكمية والسياسة الشرعية، م س ، ص ١١٩.

(٣) الحاكمية والسياسة الشرعية، م س ، ص ١٢٢.

ما كان مع الملك فاروق استمر بنفس الصدق والحماسة مع الرئيس محمد نجيب ومن بعده جمال عبد الناصر واستمر الموقف مع الرئيسين أنور السادات وحسني مبارك وسيستمر مع كل حاكم يأتى.

ووجهة نظرهم على تأييد كل حاكم تنبع من مبدأ السمع والطاعة وعدم الخروج على ولي الأمر مهما ظلم وتجبر حيث أن موقف الجماعة تجاه الحاكم والسلطة الفعلية يمكن أن يلخص كالتالي :

١. الاعتراف ببيعتهم وبولايتهم الشرعية وعدم الخروج عليهم لا بالقوة ولا بالفعل.

٢. الدعاء لهم في كل مناسبة أن يوفقهم الله إلى الهدى والصلاح وما في خير البلاد والعباد وأن يلهمهم! الحكم والشريعة.

٣. عدم تبرير أخطاء الحكام أو مداهنتهم فضلاً عن نفاقهم.

٤. دعوتهم إلى الحكم بما أنزل الله واستغلال الفرص والمناسبات لهذه الدعوة وتزيينها لهم وبيان خطورة ترك الحكم بغير ما أنزل الله على البلاد والعباد في الدنيا والآخرة وبيان فوائد الحكم بما أنزل الله.

٥. الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بضوابطه الشرعية مع الحكام وتقديم النصح لهم.[١]

المآخذ على الجماعة

بسبب تحريم الجماعة للخروج على الحاكم ومُوالاته يراها البعض بأنها جماعة سلفية أقرب إلى الأفيونة التي تمتص حالة الاحتقان لدى الشارع المصري وتأخذ من مساحة الرضا والاستسلام[١].

(١) الحاكمية والسياسة الشرعية ، م س ، ص ٢٧٨.

ويأخذ البعض على الجماعة عدة مآخذ وهي:

١. قصور المنهج وعدم شموله من حيث الاقتصار على جوانب العقيدة والعبادة فقط فعزلت نفسها سياسيًا واجتماعياً ولم تعمل على قيادة الرأي العام وتوجيهه إسلامياً في كل جوانب الحياة.

٢. عدم الاهتمام بتربية النشء فلم تول عنايتها لإنشاء مدارس أو رياض أطفال، الوقت الذي كانت فيه مدارس التبشير والإرسالات الأجنبية تستولي على خيرة أطفال المسلمين وتسيطر على عقولهم.

٣. عدم المشاركة في القضايا السياسية والابتعاد عن الكفاح الديني والوطني ضد أعداء الإسلام.

٤. الخلاف بين أنصار السنة والجمعيات العاملة في الدعوة : في الوقت الذي كان الاحتلال يجثم على صدور المسلمين ولم تُعر أنصار السنة ذلك بل كانت تعمل على إذكاء العداوة بين العاملين في الحقل الإسلامي بالنقد اللاذع بحيث لم تسلم جمعية من الجمعيات من ألسنة دُعاة أنصار السنة[٢] وبهذه التصرفات تقوم جماعة أنصار السنة بشق وحدة العاملين في الحقل الديني والهجوم عليهم ومعاداتهم لأمور ثانوية محل خلاف.

٥. استخدام آيات من القرآن ونصوص من الأحاديث في غير مواضعها في الترويج لأفكارها لكيلا يستطيع أحد أن يناقش فيكون وقتها مخالفًا ومنكرًا للكتاب والسنة فيخرج عند ذلك من الإسلام مثل الاستدلال بأحاديث قيلت وكانت خاصة بالرسول وإسقاطها للتدليل على موقف سياسي / فكري ما، مثل عدم الخروج على الحاكم مستشهدين بحديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال

(١) الحركات الإسلامية في الوطن العربي ، م س ، ص ٢٥.

(٢) الجمعيات الإسلامية في مصر ودورها في نشر الدعوة الإسلامية ، م س ، ص ١٩٢ ، ١٩٣.

"بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثره علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله، إلا أن ترون كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان".[1]

٦. تقتصر الدعوة السلفية على جمهور المتدينين بل على عدد محدد من هؤلاء ويبذل دعاتها وقتاً وجهداً كبيرين في الدعوة إلى فرعيات ليس من مصلحة الدعوة الإسلامية الاشتغال بها[2].

وهنا نقول إن المآخذ السابقة سواء على الجمعية الشرعية وجماعة أنصار السنة المحمدية توجه أيضاً لباقي الجماعات والجمعيات العاملة في الدعوة الإسلامية وليست تخص جماعة دون الأخرى، فبرغم تعدد المسميات فإن المعين الأساسي واحد والمبادئ واحدة والخلاف كان - كما سبق وقلنا - في جزئيات فرعية وبعض التفاصيل والرُؤى، ترتب على كل ذلك حدوث انشقاقات وتتولد جماعات جديدة من الجماعات القائمة.

* * *

(١)- الحاكمية والسياسة الشرعية، م س، ص ٣٩٠.

(٢) د. صادق أمين، الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، ط دار التوزيع للطبع والنشر، ص ٨٩.

خاتمة

- نتائج الحالة الدينية الحالية
- التحديات أمام الحركة السلفية

ومع عدم وجود تعدد آراء وسيادة ثقافة الرأي الواحد، وهو دومًا الصحيح وغيره دائماً على خطأ، ومعتنق الرأي الآخر خارج عن الجماعة!، أدى ذلك إلى وجود عدة ظواهر طفت على السطح وأصبحت وباءً يجتاح العقول ويهدد المجتمع بأسره وهذه الظواهر نجملها فيما يلي:[1]

١. التعصب للرأي : بحيث لا يعترف للآخرين بوجو، ويحجر على آراء مخالفيه ويلغيها، فهو يثبت رأيه ويتعصب لنفسه، وينفي كل ماعداه .ويزداد الأمر خطورة حين يريد فرض الرأي على الآخرين بالقوة، والغلبة عن طريق الاتهام بالابتداع أو بالكفر والمروق، وهذا الإرهاب الفكري أشد تخويفاً من الإرهاب الحسي .

٢. التمحور حول الشخصيات والأحزاب والجماعات : حيث لايقبلون النقد، فإذا ما وجه النقد إلى من ينتمون إليه، لا يقبلون النقد، ولو كان علمياً نزيهاً، ويحملون حملات عنيفة على مخالفيهم تحت ستار الانتصار للسلف، وما هو إلا الانتصار للأهواء والآراء والأغراض والمصالح الشخصية والمادية والرغبة في الحكم تحت شعار الدين، ويشوهون كل شيء، ويَسلكون كل السبل من أجل الشخصية التي تمحوروا حَولها وفُتنوا بها إلى درجة تأليهها وادعاء العصمة لها .

٣. التقليد الأعمى : حيث يجب التنبيه أولاً أن التقليد الأعمى ينشأ عن التعصب، وعن الثقة بالإمام المقلد ومنهجه وطريقة اجتهاده .. وهنا ننبه ابتداء إلى أن التقليد في أمور الفقه ضرورة شرعية لأننا لا نستطيع أن نوجب على كل إنسان أن يكون مجتهدا. ولكن يجب على المقلد – الذي ليس أهلاً للاجتهاد – أن يقلد إماماً مجتهداً مشتهراً بالعلم لا من لا يوثق بعلمه وعقله والمتابعة في الحكم على

---

(١) المتطرفون خوارج العصر، م س ، ص ٧٠: ٨٠ بتصرف .

الأشخاص والكتب والجماعات ولا يكلف الواحد من هؤلاء نفسه أن يلتقي بالمخالف أو أن يحاوره أو أن يقرأ كتابه .. ثقة وتقليدا لمن نقل له ولقّنَه الحكم على الآخرين ودربه على تصنيف الناس.

٤. الإنطواء والتقوقع : حيث يرى كل فرد منهم أن رأيه ووجهة نظره هي الدين وما سواها ضلال مبين .. ومع مرور الوقت ينطوي كل فرد على نفسه، لأنه أغلق باب الحوار والتفاهم، ويتقوقع الأفراد داخل ذواتهم ويدورون حول أفكارهم وآرائهم . وأكثر هؤلاء لم يطلعوا إلا على رأي واحد، ولم يقرؤوا سوى صفحات معينة من كتب محددة.. ويظنون أنه لا شيء قبل هذه الكتب ولا بعدها .. فيؤدي ذلك مع أسباب كثيرة أخرى إلى ظاهرة الانطواء والانزواء الفقهي والفكر التراثي الذي يحرمهم من الاستفادة والاستمتاع بثمرات عقول جمهور الفقهاء والمفكرين والباحثين.

٥. النقص العلمي وعدم الاتزان الفكري : حيث يقوم بعض شباب الجامعات بالانشغال عن تخصصه العلمي وهو في حقه فرض عين ليقوم بدراسة جوانب من علوم الشريعة التي تدق على كبار المتخصصين .. فأصبحنا نجد كثيراً من الأطباء والمهندسين والزراعيين .. بل والحرفيين من سباكين ونجارين وخبازين مشغولين بعلوم الجرح والتعديل! ومباحث الفقه وأصوله وترجيح دليل على آخر ! وانصراف هؤلاء عن علومهم وأعمالهم يمكن لأعدائنا التفوق علينا ، ويتركنا أذلاء تابعين لهم

٦. التجرؤ على الفتوى : بإصدار فتاوى التكفير والتبديع والتحليل والتحريم .. ويصدر هذه الأحكام من لا يملكون القدرة على فهم نصوص القرآن والسنة، وهم غير مؤهلين لا عقلاً ولا شرعاً لاستنباط الأحكام لذلك ظهرت فتاوى عجيبة غريبة ما أنزل الله بها من سلطان ، وفيها تجرؤ على دين الله .

٧. الطعن في العلماء والتشنيع على المخالفين : إن حصر الحق في شخص أو مذهب، واعتقاد أن الحق وقف عليهم، سيؤدي في النهاية إلى التشنيع على المخالف، تحت ستار الرد على المخالف من أصول الإسلام وما هو إلا الانتصار للنفس والهوى فى كثير من الأحيان حيث يصنف هؤلاء الغلاة العلماء، فمن وافقهم – وما أقلهم- فهو منهم، ومن خالفهم فهو مبتدع ضال يجب الرد عليه، لأن الرد من أصول الإسلام حيث تجد جرأة هؤلاء على أهل العمل والصلاح والمعروفين بالدين والتقوى، وعلى أئمة الدين من الحفاظ والمحدثين والمفسرين والفقهاء، بينما تجدهم يسالمون الأعداء ويهادنون فرق الضلال، ويجبنون عن التعرض للحركات الهدامة المارقة فرق الضلال .

٨. الجلافة والغلظة والخشونة : وافتعال الخصومات بين المسلمين، وما أكثر الخصومات التي تثير الفرقة والخلاف .. كيفية وضع اليد في الصلاة وبعد الرفع من الركوع، وطول شعر اللحية، ودرجة ميل القبلة والدعاء بعد الصلاة، ورفع اليدين في أثناء الدعاء ومسح الوجه بهما، والاحتفال بالمولد النبوي، والتوسل، والمسبحة إلى غير ذلك من المسائل الفقهية الفرعية، وفروع مسائل العقائد.

٩. الفهم الخاطي للسلفية: حيث تحولت السلفية والتي تعني فترة تاريخية لغة واصطلاحًا إلى مصطلح جديد، تندرج تحته فئة معينة من المسلمين، تمتاز عن بقية المسلمين ببعض الفهوم المعينة، وتختلف عنهم بمزاجها ومقاييسها وبعض هؤلاء لا يفهم من حياة السلف إلا ما يتعلق بالأمور الظاهرية ..فاهتمامهم ينصب على الثياب القصيرة، واللحى الطويلة، والشعور المفروقة. والبعض يحاول أن ينقل إلينا في عصرنا بعض المعارك والمسائل التي لا وجود لها.. وهم يقرون أن السلف الصالح القرون الثلاثة الأولى .. وينسبون ابن تيمية وابن القيم إلى تلك المرحلة الزمنية المباركة، ولا يدرون أنهم من أهل القرن الثامن حيث تمحوروا حول بعض الشخصيات، وأنزلوهم فوق منزلتهم، وجعلوا آراءهم واجتهاداتهم ميزاناً يقاس به اجتهادات وآراء العلماء الآخرين، بل سيفًا مُسلطًا على رقابهم، وتناسوا علماء

الإسلام من محدثين ومفسرين وفقهاء ومزبين، وحسبوا وظنوا أن كثرة الكتب وإطالة الكلام هو معيار العلم ودليل الخيرية.

١٠. التزام التشدد دائماً : وإلزام جمهور الناس به، حيث لم يلزمهم الله به، ومع وجود دواعي التيسير .. ولا مانع أن يختار الإنسان لنفسه الأشد والأثقل في بعض المسائل تورعاً واحتياطاً، ولكن لا ينبغي أن يكون هذا منهجه دائماً، وأن يعمم ذلك على الآخرين مع الحاجة إلى الرخصة والتيسير . والله سبحانه وتعالى يقول : "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ويقول : إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته والنبي ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً، أما هؤلاء فما خيروا بين أمرين إلا اختاروا أشدهما، إظهاراً لمتانة الدين، وتنقصاً بالآخرين، ومن التشديد على الناس محاسبتهم على النوافل والسنن كأنها فرائض، وعلى المكروهات كأنها محرمات.

١١. التركيز على الشكل عن المضمون: حيث يكون هَم هؤلاء المتدينين الجدد – وأغلبهم حسني النية والهدف والقصد – يركزون كفاحهم الديني على ميدان الملابس وأداء الفروض ومنع كل أشكال الاختلاط بين الجنسين[١].

غير أن من حق هؤلاء على المجتمع والمهتمين أن يعلمهم أن "القيمة الحقيقية للشعائر إنما يكمن في تلك القوة المعنوية التي تمكن الإنسان من مواجهة الظلم والطغيان والسعي إلى أداء عمل نافع للمجتمع، أما التركيز على شكلية الشعائر دون اكثراث لما تؤدي إليه من مضمون فهو في حقيقته تستر على الظالم ومساندة للاستبداد[٢].

(١) د. فؤاد زكريا ، الصحوة الإسلامية في ميزان العقل، (ط دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع) ، ص ١٥

(٢) الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ، م س ، ص ١٧

ويجب علينا أن نعرف أن الخطاب السلفي "يعرف كيف يقول ،غير أنه يستعمل الثقافة الدينية ومفاهيمها وأدلتها ونماذجها وخيالاتها ومأثوراتها وأبطالها ونصوصها التي ما زالت حية ومؤثرة في قلوب الجماهير ولكنه لا يعرف ماذا يقول لأن مضمونه تقليدي، ومعاركه مكسوبة من قبل مثل الإيمان والعقائد والشعائر والأخلاق"[1].

وتأكيدا على انفصال الخطاب الديني عن قضايا المجتمع المعاش والتي تشغل حيزاً كبيراً من التفكير اليومي جرّاء الأعباء التي يتحملها المواطن اتضح أن الخطاب الديني الإسلامي الشفاهي "الرسمي وغير الرسمي – والمكتوب والمرئي" البرامج الدينية في الفضائيات قد جاء في تناوله للتنمية الاقتصادية دون المستوى المتوقع الأمر الذي يمكن وصفه بأنه خطاب يميل إلى البعد أو تجاهل سواء مقصود أو غير مقصود للواقع الاقتصادي الذي يعايشه المجتمع المصري الذي يتسم بسيطرة طبقة رأسمالية توجه السياسات الاقتصادية لمصالحها الخاصة ولمصلحة علاقاتها بالمراكز الرأسمالية المتقدمة[2].

كما أن الخطابات الدينية الحالية والتي انفصلت عن الواقع المعاش وعن كل مشكلاته فإن أهم المآخذ وأخطرها هي إغراق الخطاب الإسلامي في الغيبيات بصورة واضحة.. مما يؤدي إلى تراجع المجتمع وذلك لعدم إعمال ملكة العقل، وذلك للارتكان على الغيبيات والقدرية وإرادة الله، وامتحان من الله.. إلى غير ذلك من المترادفات التي تروج للإدراك القدري للواقع المعاش لقبول الواقع على ما هو عليه من ناحية، والبعد عن الواقع المعاش[3]، وكذلك تجاهل الخطاب الإسلامي للعدالة بصفه عامة[4].

(١) حسن حنفي ، الإحياء الديني كيف يخدم التقدم ، م س ، ص ١٦١
(٢) الخطاب الإسلامي والتنمية في المجتمع المصري ، م س ، ص ١٣٤
(٣) الخطاب الإسلامي والتنمية في المجتمع المصري ، م س ، ص ١٣٥
(٤) الخطاب الإسلامي والتنمية في المجتمع المصري، م س ، ص ١٦٤

هذا رغم حجية أصحاب هذا الخطاب واستشهادهم الدائم بآيات القرآن بما يؤكد ويخدم خطابهم فإنهم في نفس الوقت يتجاهلون الآيات والأحاديث والمأثورات التي تدعو إلى التغير والتطوير والتعمير أو على أقل تقدير لو تطرقوا إليها فإنهم يمرون عليها مرور الكرام، لذا فإن الخطاب الحالي يُدَعِّم التواكل لا التوكل، والتغييب والانسحاب من الدنيا – دار الشرور والآثام والمعاصي – وإشاعة مناخ من اليأس العام تحت دعوى ليس في الإمكان أحسن مما كان، وهذه إرادة الله ومشيئته، وقضائه، وعلينا كمؤمنين التسليم بإراده الله.

وعلى الخطاب الديني اليوم أن "يرعى التوازن المنشود بين الدعوة إلى الاعتزاز بالعقيدة والرسالة من جانب، والدعوة إلى التسامح والحب من جانب آخر، وليحذر الخطاب الديني أن ينساق مع المغلقين من دعاة التعصب، أو دعاة الكراهية، الذين يريدون أن يعادوا البشرية كلها، حتى من يخالفهم من المسلمين في رأيهم، يضمرون له العداوة والبغضاء، ويتقربون إلى الله بذلك"[1].

(١) القرضاوي، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، ص ١٠٧ .

التحديات أمام الحركة السلفية

تواجه الحركات السلفية اليوم تحديات كبرى سواء على المستويين المحلي أو الدولي، خاصة التيارات السلفية تعيش حالة من الانتعاش واتساع لقاعدتها الجماهيرية بسبب سماح السلطات للكثير منها – في الكثير من الأحيان – بالعمل الجماهيري بلا تضييق بالنظر إلى غيرهم من الأحزاب والتجمعات المختلفة. ونعلم أن هذه التيارات تتنوع وليست كياناً واحداً متجانساً بل هي عدة كيانات، فهناك ما هو الفكري والعقدي والحركي ومنهم من يعمل بالسياسة على استحياء ومنهم من يهجر السياسة.

وأمام هذا التباين في الظاهرة فإنه يجمعهم رغم تشتتهم شيء واحد تفتقده الكثير من النظم الحاكمة ألا وهو: **القاعدة الشعبية**، فجميع هذه التيارات أصبح لها الكثير من المؤيدين والمشجعين لها والمريدين المدافعين بضراوة عنها، فللأسماء المعتدلة من الاتجاهات السلفية مريدوها ومؤيدوها، ولرموز السلفية الجهادية أيضاً مويديون ومرحبون بكل ما يصنعونه، ولكلا الطرفين على سبيل المثال نفس الأسباب فالمواطن البسيط يرى أن هذه الرموز تعمل لوجه الله وبلا أية استفادة ومن أجل رفعة الإسلام، فما الذي جعل شاب ثري يعيش حياة رغدة كأسامة بن لادن يسافر إلى أفغانستان وحياتها الخطرة القاسية سوى أنه يرغب في الجهاد لوجه الله وحتى الوجوه المعتدلة تواجه تضييق من النظم الحاكمة فلماذا تصبر وتستمر سوى أنها تريد إرضاء الله. هذا منطق ورؤية الكثيرين.

فالشكل العام للمجتمعات الإسلامية اليوم مصطبغ بالصبغة السلفية في الشكل والميول، وكل هذا التأثير يتم بلا أية حركة مؤسساتية منتظمة بل بجهود فردية غالباً ويتم الأمر بسلاسة **ولا يجب أن نغفل أن للحركة السلفية** – رغم المآخذ التي تؤخذ عليها – **مجهودات كبيرة منها** :

١. توسيع دائرة المتدينين، وتبصير الكثير من البسطاء بأمور دينهم، فرغم طول عهد المسلمين بالإسلام فإن هناك شرائح لا تعرف كيفية الوضوء والصلاة بعد.

٢. تنمية قيمة التكافل بين الناس، والإعلاء من فضل وثواب هذه الشعيرة.

٣. وجد الناس في خطابهم منهجاً أخلاقياً، يعلي من رحمة الضعيف واحترام الكبير وصلة الأرحام.

٤. التوسع في العمل الخيري والاجتماعي من بناء المساجد، والمراكز الخدمية من علاج وتكافل ورعاية أيتام وكفالة الأرامل والمسنات .

وبسبب حالة الانتشار السلفي السريع في المجتمع فقد رصدت مراكز أبحاث دولية ظاهرة صعود التيار السلفي في مصر وفي غيرها من الدول الإسلامية، وحاول بعض هذه المراكز أن يضع استراتيجية للتعامل مع هذه الظاهرة .

ففي تقرير صادر عن نشرة الإصلاح العربي الصادرة عن معهد كارنيجي الأمريكي للسلام(١) تناول فيه **ظاهرة صعود التيار السلفي في مصر** وأرجع السبب في ذلك إلى تعامل الحكومة مع الإخوان بعداء مستحكم منذ الانتخابات البرلمانية عام ٢٠٠٥م وهو ما دفع الرؤية الإسلامية الوسطية للإخوان خارج المعادلة السياسية، مما يُعدُ إفساحًا للمجال أمام المسارات الأكثر محافظة وربما أكثر عنفاً لكي تحل محلها. في العقود القليلة الماضية، وبشكل أدق خلال السنوات الخمس الأخيرة، بدأت موجة جديدة من السلفية ذات التوجه السياسي، الأكثر دوغماتية من التيارات الإسلامية الأخرى في مصر، تكسب قاعدة في المجتمع المصري مسببة قلقاً بين العلمانيين والإسلاميين على حد السواء.

ويستمر التقرير قائلاً إن "الحركات السلفية تتمتع بالتأييد الأكبر بين الأوساط الشعبية في المدن الشمالية من مصر، ولكن يظل لهم وجود ملحوظ على كل المستويات الاجتماعية – الاقتصادية. حالياً، تنحصر نشاطاتهم في العمل الدعوى في المساجد وعلى شاشات القنوات السلفية ذات الشعبية الجارفة مثل قناة الناس والرحمة.

(١) نشرة الإصلاح العربي الصادرة عن معهد كارنيجي الأمريكي للسلام بتاريخ ٩ مارس/ آذار، ٢٠٠٩

ويرصد التقرير أن السلفية تحقق لنفسها تواجداً أكبر بين الجماعات الإسلامية رغم أن قوات الأمن لا تزال تمنعهم من التحول إلى الإطار التنظيمي.

وعن الفروق بين السلفية والوسطية يرى التقرير أن "تركيز الحركة السلفية على إصلاح عقيدة المسلم يمثل الطريق للتجديد الديني. وبالرغم من تركيز الوسطيين على التنشئة الإيمانية للفرد، فهم لا يعتبرون أي فرد خارج على العقيدة طالما آمن بأركان الإسلام الخمس بصرف النظر عن نقص درجة التزامه. يتبنى القرضاوي والأخوان اقتراب أكثر شمولاً للإصلاح يتضمن تطبيق الشريعة. أما بالنسبة إلى السلفيين فلا يمكن الحديث عن تطبيق الشريعة إلا بعد أن يصل إيمان وسلوك المسلمين للمستوى الذي يرونه متوافقًا مع المعايير الإسلامية".

وعن الآثار الناجمة عن هذا الفكر يرى التقرير أن "التقسيم السلفي للمجتمع إلى فئتي المؤمن وغير المؤمن يعيد ضمنياً إدخال المجتمع المصري في دوائر فكرة التكفير- التي تعني أن المسلمين الذين لا يستوفون معاييرهم يعدوا مرتدين وبالتالي يصبح العنف نتيجة منطقية لذلك. قامت الجماعتان الأكثر عنفاً في مصر، الجهاد والجماعة الإسلامية، بتكفير الحاكم في الثمانينيات والتسعينيات".

وعن مستقبل هؤلاء السلفيين يقول التقرير "رغم سلبيتهم وابتعادهم الحالي عن السياسة، فالسلفيين لن يظلوا منشغلين بهدي الأفراد فقط. "كحركة إصلاح إسلامية يمكنهم الابتعاد عن السياسية لفترة ولكن ليس للأبد. في النهاية، فهم إما سيدخلون السياسية أو يغيروا نهجهم بحيث يتوافق مع الأوضاع التي يحاولون تغييرها.

وعن المشاركة السياسية يرصد التقرير موقف السلفيين حيث يرى "من حيث المبدأ لا يعارض السلفيون المشاركة السياسية في مجملها. في اليمن والكويت، حيث تتمتع الحركات السلفية بقوة في مواجهة الدولة، فهم يشاركون في السياسية الانتخابية. السلفيون في الإسكندرية والجماعة الإسلامية حالياً يظهرون الاهتمام

والقدرة على المشاركة في السياسة إذا ما منحوا الفرصة. ولكن نظراً إلى ترددهم في المساومة ونظراً إلى قوة الدولة في مصر، فلا يمكن توقع مشاركتهم في السياسة الانتخابية في أي وقت عما قريب.

وعن علاقة السلفيين بالعنف يقول التقرير "يرى العديد من المثقفين المصريين أن جذور المشكلة لم يتم تناولها بعد، فالعنف في مصر توقف ولكنه لم ينته. مع خروج أكثر من عشرين ألفاً من الجهاديين السابقين من السجون مؤخرًا وهم محظورين من ممارسة أي دور سياسي.

وينتهي التقرير والحديث عن مسؤولية الدولة حيث يطرح سؤال "هل تمثل السلفية المنبع الجديد للحركات الراديكالية من العقود السابقة؟ "

وينقل عن فهمي هويدي قوله: إن استمرار غياب البدائل السياسية، واستمرار الحكومة في استخدام العنف ضد معارضيها وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، يؤدي إلى دفع المصريين بشكل متزايد نحو الرؤى الجامدة والمتصلبة للسلفية، وذلك يجعل العودة إلى العنف أمرًا مرجحًا. من المحتمل أن الهجوم الإسرائيلي الأخير على غزة قد يزيد من الزخم، وكتب إبراهيم عيسى أن التطرف الإسلامي سيزيد بكل تأكيد بسبب الحرب والتصور أن موقف الحكومة المصرية تجاه حماس كان ضد الإسلام نفسه، مثل هذا التصور من شأنه أن يعزز من الميول التكفيري داخل السلفية ومناشدة الإسلاميين الآخرين بانتهاج نفس التفكير.

أما مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة راند فقد أصدر دراسة عن "**بناء شبكات إسلامية معتدلة**"(١)، والذي حاول فيه معدو الدراسة استعارة تجربة تاريخية، وهي الشبكات الديمقراطية والليبرالية التي قامت بها

---

(١) سنعتمد هنا على دراسة نبيل عبد الفتاح: تقرير "بناء شبكات إسلامية معتدلة"، والصادرة عن سلسلة ترجمات والتي يصدرها المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، والصادرة في نوفمبر ٢٠٠٧م، بتصرف.

الولايات المتحدة في أثناء الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي والكتلة الشيوعية السابقة، حيث ستقوم الولايات المتحدة بوضع خارطة طريق لعملية بناء شبكات إسلامية معتدلة وستعتمد على مجموعة مختارة وفقاً لمعايير أمريكية من مثقفين وأكاديميين وصحافيين وعلماء دين معتدلين وجماعات نسائية وغيرهم ممن سيكونون مُعتدلين حسب الرؤية الأمريكية، حيث ستقوم الإدارة الأمريكية بدور "المُحفز الخارجي" عن طريق تنمية القدرات والتمويل والتدريب لهذه الفئات أو الشبكات من المعتدلين، وأخذ المحللون على هذه الدراسة عدة مآخذ منها:

١. النزعة التعميمية بتجاهل التمايزات والخصوصيات بين البلاد الإسلامية.
٢. التعميم لا يساعد في فهم التمايزات بين أيدلوجيا سياسية وضعية وأيدلوجيا مؤسسة على الأديان، ولا سيما الديانة الإسلامية، وقصر التشدد على الجماعات الراديكالية متناسية أن بعض أكثر الفاعلين تأثيراً في الأسواق الدينية بعض المؤسسات الدينية الرسمية في دائرة الإسلام العربي والجماعات السلفية والسلفية الجهادية ووعاظ الشوارع ثم التأثير الجديد لمواقع الشبكة العنكبوتية.
٣. انتقال الرأسمال الديني من المجال السياسي العام إلى المجال الاجتماعي – أنماط السلوك الجمعي والشخصي والخطاب اليومي – أدى إلى النزعة الدعوية المتشددة التي تعتمد على الزجر والوعيد والحلال والحرام من وجهة نظر التفسير والتأويل الدعوي والديني السائد.

ومن العرض السريع السابق نتأكد من أن التركيز على الحركة – أو الحركات – السلفية، والمد السلفي العام ليس أمراً داخلياً فقط يهم الباحثين، والمهتمين بالشأن العام من الداخل فقط، بل أصبح أمرًا لافتاً لمراكزالأبحاث الغربية، والمتابعين للشأن الداخلي في الدول الإسلامية من أكاديميين وسياسيين غربيين. وبهذه الأساليب تعمل الولايات المتحدة – باعتبارها القوى العظمى الوحيدة على الساحة حالياً – على استيعاب الظاهرة الإسلامية، وإحكام قبضتها على المخالفين لها بدعوى أنهم متطرفون، فهم بالطبع بسبب موقفهم المعارض غير معتدلين، ومعنى هذا أن على

قيادات ومُرشدي هذه الحركات مسؤولية كُبرى، فعليهم أن يعو المسؤوليات والمهام المناط بهم القيام بها، والآمال المعلقة عليهم من البعض في الداخل أو الخارج، وأيضاً حجم التحديات التي تنتظرهم والتي تتمثل في:

أولاً: التحديات الداخلية

وتُمثل المقياس الحقيقي لهذه الحركات ومدى تواجدها وإمكانية استمرارها من عدمه، فلقد ظلت الحركة السلفية إلى حين قريب تمثل مخزوناً احتياطياً ورصيداً استراتيجياً للحركات الإسلامية السياسية والجهادية، دون أن تتحمل بنفسها عبئاً في الجهاد السياسي يتناسب مع حجمها وأثرها العلمي والاجتماعي. فكان أغلب السياسيين والحركيين الإسلاميين يتخذون من علماء السلفية ومنشوراتها مرجعاً في كثير من رؤاهم التأصيلية، ويستمدون من الحركة السلفية جانباً مهماً من مددهم البشري، دون أن يعولوا كثيراً على الحركة نفسها في الجهاد السياسي، نظراً إلى الموقف المتوجس التي عبر عنه علماء السلفية وقادتها تجاه العمل السياسي، وبقاء تفكيرهم محصوراً بطوق الفكر التاريخي الموروث، الذي تحكم فيه هاجس الخوف من الفتنة، والتشاؤم تجاه جهود الإصلاح السياسي الإسلامي، ولم يعد يرى للعالم والمصلح دورًا وراء النصح باللسان(١).

وقد أخذ البعض على بعض الاتجاهات المنتسبة إلى الفكر السلفي عدة مآخذ(٢) منها:

أولاً: تحول مفهوم السلفية عند البعض في العصر الحديث من منهج سليم في المعتقد، مبني على التسليم والتفويض وعدم التكلف.. إلى مذهبية في أمور الفقه والحياة المتغيرة تقيد الفكر والعمل أحياناً.

---

(١) محمد بن المختار الشنقيطي، مخاض الفكر السلفي ، منشور على الرابط http://shinqiti.net/makhadh.htm ، زيارة (٠٦ ابريل، 2010 ، 11:26:52 م).

(٢) مخاض الفكر السلفي، م س

ثانياً: تحول بعض الجماعات السلفية المعاصرة إلى ما يشبه المدرسة الكلامية التي تطنب في الحديث عن دقائق العقائد دون داع شرعي.

ثالثاً: عدم التمييز بين كليات العقيدة التي لا اجتهاد فيها، لقطعية الأدلة ثبوتاً ودلالة، وبين جزئياتها التي جاءت النصوص فيها محتملة، فالخلاف فيها متسع.

رابعاً: جفاء بعض السلفيين في إنكارهم على إخوانهم المسلمين المتلبسين ببعض البدع، دون لطف أو ترفق.

خامساً: خلط بعض السلفيين – ضمناً – بين الوحي والتاريخ في المرجعية، جراء نقص في الوعي بالتاريخ لا يميز بين صورته ومعناه، وتقصير في دراسة حياة السلف دراسة استقصائية تلم بكل جوانبها المضيئة والقاتمة، ولا تقف عند سرد المناقب فقط، وذلك تجسيد للمبادئ في أشخاص، مهما يكونوا عظماء فهم غير معصومين، وفي وسائل مهما تكن ناجحة، فهي محدودة بحدود الزمان والمكان.

سادساً: انفصال العلم الشرعي عن الواقع المعاش، مما يعمق تهميش الدين في الحياة العامة، ويسهل توظيف حملة العلم الشرعي توظيفاً سياسياً لا يخدم الدين.

سابعاً: الانفعال في الدفاع عن السلف بشكل يهدر قدسية المبادئ، حرصاً على مكانة الأشخاص، ويرد الغلو بغلو.

ولأن حركة بهذا التأثير الكبير والوجود الفعلي على أرض الواقع، وعليها تتعلق الكثير من آمال البسطاء الذين يرون في هؤلاء السلفيين طوق النجاة، وجب على هؤلاء أن يعملوا على تجاوز هذه السلبيات التي يأخذها البعض عليهم، ليس هذا فقط بل تستنفذ مجهوداتهم ووقتهم بلا أدنى فائدة.

وهذا .. وجب على هذه الحركات أن:

١. تُطور من نفسها وتواكب التغير الحادث في عصرها، وذلك بربط الدين بالحياة بشكل فعلي بدلاً من الكلام العام الذي لا يفيد، وبخاصة الحياة السياسية ويكون ذلك عن وعي وفهم. وعليهم أيضاً الاشتباك الفعال مع كل الأفكار والمشروعات المطروحة في حوار فعال لا جدال عقيم، وطرح إسهامات جديدة في الفكر الإنساني والإسلامي. فالملاحظ عزوف أغلب مشايخ السلفية عن السياسة ولست أعني ممارستها بشكل مباشر، بل أعني عزوفهم حتى بالرأي وإن اضطروا إلى التعليق فإن تعليقهم إن دل فإنما يدل على خَواء فكري وعدم وعي سياسي، أو حتى دُنيوي. ومن أمثلة ذلك فتوى الألباني لأهل الضفة الغربية بالخروج والهجرة من الأرض التي لم يتمكنوا من طرد الكافر منها إلى أرض يتمكنون فيها من القيام بشعائرهم الإسلامية، وأيضاً نذكر تعليقات محمد حسين يعقوب وسُخريته من المقاومة الفلسطينية وتعليقات محمد الزغبي في نفس الاتجاه وأيضاً استهزاء الحويني من الدعوات إلى التظاهرات وسخريته اللاذعة لهم. وأخيراً وليس آخرًا ما طرحه الشيخ سعيد عبد العظيم تحت ما سماه: "مبادرة السلفية لإصلاح المجتمع" ويكفي ما جاء في هذه المبادرة للتأكيد على الخواء الفكري إلى هذا التيار، ونستثني من هؤلاء بعض المحاولات الفردية القليلة مثل ما قدمه الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق فرغم الملاحظات الكثيرة على مثل هذه المبادرات فإنها تُؤثر على ما في الحركات السلفية أو جزء منها من إظهار حيوية وتجديد، ومحاولة وجود تواصل مع الحياة، للتأكيد على عدم انفصالها عن الواقع كما يقول معارضوها.

٢. تعمل على إيجاد مشروع خاص بها يحقق أهدافها التي يجب أن تكون واضحة أمام قيادات هذه الحركات وضرورة إيجاد حلول حقيقية للمشكلات الحياتية للمسلم المعاصر وذلك بطرح مشروع اجتماعي عادل وشامل يأخذ بأسباب التطور،

ويعتمد على التخصص. وكذلك التجاوب مع الدعوات المُنادية بالحريات العامة، فعلى الفكر الإسلامي أن يُناضل من أجل ترسيخ قيمة الحرية في النفوس، فالحرية دليل على وجود إنسان يستطيع التفكير والتأمل، يعي حقوقه وواجباته، وبذلك يستطيع أن ينتخب مُمثليه في المجالس النيابية يُراقبوا الحكومات ويُحاسبوها إن أخطأت، ويستطيع تنفيذ مشروعات تنموية للنهوض بكل الطاقات المتاحة وعدم إهدارها، وبذلك تكون هناك حلول اجتماعية آمنه للمشكلات الحالية، فبالحرية وحدها تتحقق العدالة. والذي على هذه الحركات أن تعيه هو أن الخطاب الأخلاقي والعقائدي - والذي تتبناه أغلب هذه الحركات - سيفقد تأثيره وجاذبيته بمرور الوقت، حيث سيجد المنطوي تحت راية هذه الحركات أنه رغم اتباعه الإرشادات التي تُلقى على مسامعه سيجد نفسه في نهاية المطاف بلا أي تقدم، سيكون واقفاً في مكانه، فمشكلات حياته اليومية كما هي، وسوء استغلال الثروة والسلطة في تزايد، والحلول التي يقدمها شيوخه لم تعد تجدي.

٣. **فتح باب الاجتهاد بضوابطه** الموضوعة منذ قرون، والخروج من أسر تراث الفتاوى الموروثة، والتي أصبح أغلبها لا يوائم العصر الحديث بما فيه من تطور، فالفتوى ابنة العصر، ولا نقصد أن نُهيل على هذا الكنز الفقهي العظيم التراب، ولكن نتعلم منه ونُبدع الجديد الذي يُناسب حياتنا المعاصرة. والتحدي الأهم والأبرز أمام هذه الحركات خاص بوضع حد لهوس التكفير المتنامي بشكل مرضي، بشكلٍ يسبب فتنة ويؤدي إلى انهيار منظومة التعايش بين أفراد المجتمع، فالجميع في الأمر سواء مسلمين وغير مسلمين يُحكم عليهم حسب المظهر الخارجي.

٤. **إعادة تحديد شكل العلاقة مع :**

(أ) **النظم الحاكمة**: فبدلاً من أن تسير في ركاب السلطة تحت زعم طاعة أُولي الأمر، فيجب عليها أن تُقوِّم الحاكم إن مال عن الحق وذلك بوضع قواعد

محددة تحدد سلطات وحقوق وواجبات الشعب والحاكم، وأيضاً عليها أن تقول رأياً صريحاً في الموقف من العنف وإن اتخذ راية الدفاع عن الإسلام والتبرير للعنف، وهل مثل هذه التيارات يصح أن تسمى بـ"السلفية" أم ماذا؟

(ب) **غيرها من أصحاب الاتجاه الإسلامي المخالف لها في الرؤية**: هل سيتم التعامل معها أو نبذها وتصفيتها، هل سيتم الاعتراف بها أم سيكون المختلف معهم خارج عن الجماعة .

(جـ) **غيرهم من المواطنين المخالفين لهم في الدين**: فكيف سيتم التعامل مع دعوات المواطنة واستيعاب المُختلف دينياً بدلاً من نبذه والاستعلاء عليه ونذكر قول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود: ١١٨] .

(د) المرأة : ما هي الرؤية للمرأة ؟ فهل سيسمح لها بالعمل والمشاركة المجتمعية والحزبية والسياسية ؟ ما مدى حدودها في المجتمع ؟.

وأيضاً عليهم تحديد موقفهم الواضح من نظم وأشكال الحكم المعاصرة، وموقفهم من مفاهيم مثل الأمة والدولة، وذلك بالاشتراك مع الأحزاب والمهتمين في نقاشات علمية جدية حول الشكل المناسب للدولة العصرية بدلاً من الخطب الرنانة والبكاء والدعوة إلى عودة الخلافة، مع العلم أن الخلافة ليست نظام الحكم الواجب في الإسلام وإنما كانت تعبيراً عن الفكر السياسي الذي وصل إليه المجتمع في حينه.

٤. **محاولة استيعاب الفكر الإنساني بشكل عام** : فالإنسان عدو ما يجهله، وعليه فعلينا الأخذ بأسباب التطور للنهوض بالمجتمع، فالنهضة التي حققها المسلمون قديماً ارتكزت على ما حققته أمم غيرهم، واعتمدوا على فلسفات أصحابها ليسوا

بمسلمين واجتهدوا وصنعوا نهضتهم، فلا نقف عند ما صنعه السلف ونتباهى بإنجازاتهم، فهم كانوا رجالاً عملوا وأبدعوا وفق ظروف حياتهم، وفي نطاق زمانهم فاستحقوا الخلود في الوجدان بأعمالهم وإبداعهم، رغم مئات السنين على وفاتهم، فلننظر ماذا سنترك لأحفادنا والأجيال القادمة من إنجاز يذكرونا به.

أما التحديات التي يجب على الجماعات السلفية بمختلف تقسيماتها واتجاهاتها التعامل معها بوضوح وشفافية هي **مجال العلاقات الدولية**، والتي يلاحظ فيها أنه: لا تتمتع أي من هذه الجمعيات بعلاقات دولية سوي الشبان المسلمين العالمية، والتي تحولت بعد تولي محمد توفيق الطحاوي (رجل الدولة) لها ونشاطها كرنفالي ولا يقف على أرض حقيقية – ولكن يركز الجميع في العمل المحلي والقطري[1].

وبسبب النظرة الغربية إلى المسلمين والجماعات الإسلامية باعتبارها راعية العنف حسب تحليلات الكثير من مراكز الأبحاث الغربية خصوصاً بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م ونظرة الغرب عموما إلى الإسلام بأنه مصدر عنف والمسلمين عموماً والسلفيين بخاصة بأنهم مصدر أساسي للإرهاب والعنف والدمار، فيجب عليها أن تجد إجابات أولاً على عدة أسئلة مطروحة على الصعيدين المحلى والدولي مثل:

١. **الموقف من المجتمع الدولي المعاصر**: وما به من مؤسسات ومنظمات دولية وما هو مُوَقّع من اتفاقيات ومعاهدات وكل ما يخص النظام الدولي وبشكل عام تحديد شكل العلاقة بالغرب بكل ما يعنيه سواء بالتعامل معه سياسياً واقتصادياً وعلمياً، وثقافياً ومعرفياً، فكيف سيكون التعامل؟ وما هي الرؤية التي ستحكم هذا التعاون؟ والأسس التي سيتم على أساسها الاختيار؟ وما هو الإطار الذي سيكون الحكم في حالة الخلاف، هل سيكون القانون الدولي أم ماذا وهل سيكون الغرب عند ذلك دار كفر ؟

(١) الجمعيات الخيرية والإنسانية الإسلامية في مصر دراسة نظرية وميدانية ، م س .

٢. **إيصال الصورة السمحة للإسلام**، وإبراز أنه دين يدعو إلى السلام لا العنف، وتوضيح الصورة الحقيقية عن الإسلام، واتخاذ مواقف حاسمة وصريحة من الدعوات إلى أسلمة أوروبا وأمريكا وما يحاوله البعض من المسليمين المهاجرين من فرض الإسلام ومبادئه كما يرونه على أهالي البلاد التي استضافوهم بالقوة وبشكل يسيء إلى الإسلام مستغلين حالة الحرية التي تسمح بها هذه الدول ولم يكتفوا بذلك بل أعلن البعض أوروبا وأمريكا أرض كفر ودار حرب.

هذه بعض التحديات التي ستجد الحركات الإسلامية نفسها أمامها، وعليها أن تحدد كيفية ووسيلة التصرف معها، وهل ستكون على مستوى المسؤولية والآمال المعلقة عليها أم لا؟

ملاحظات حول سلفيو مصر

يمثل سلفيو مصر حالة من الجدل بسبب اتهامات البعض لهم بأنهم يعملون بأجندة سعودية غريبة عن أرض مصر في حين يدافع البعض بأن ولائهم لمصر ويعملون على خلفية مصرية وإن كانت هناك ارتباطات شخصية بين السلفيين في مصر والسعودية وليس مع النظام السعودي. والأمر هنا بعيد عن التخوين أو الإتهامات بالعمالة فلا هذا مكانه أو هدفنا من هذا البحث. وهنا لنا ملاحظات على هذه المسألة يجب التنبيه عليها وهي:

١. رموز العمل السلفي في مصر بدأت اتجاهاتهم السلفية العملية في المملكة العربية السعودية أثناء وجودهم فيها على يد علماء الدين في المملكة مثل بن باز والألباني وغيرهم وتتلمذوا على أيديهم واكتسبوا معارفهم الدينية في معاهد المملكة وكلياتها وعمل البعض أساتذه في جامعاتها .

٢. إذا نظرنا للمرجعيات الفقهية لهؤلاء لوجدناها مرجعيات سعودية وهابية صرفة. وغاب عن هؤلاء قامات فقهية عظيمة وخالدة بداية من الإمام محمد عبده مروراً بمصطفى المراغي ومحمود شلتوت والخضر حسين وحسنين مخلوف وجاد الحق وسيد طنطاوي وليس آخرهم على جمعة وغيرهم من رموز الفقة في مصر.

٣. أما عن القضايا التي تشغل بَالهم فهي بعيدة كل البعد عن الواقع المصري المعاش فلا نجد أي خطبة ضد الفقر وضرورة التكافل، أو ضد البطالة أو إي اسهام لمعالجة الآثار الناجمة عنها مثل العنوسة وزيادة المهور والبذخ في الأفراح. اقتصرت قضاياهم على الهجوم على الشيعة الروافض، والهوس المبالغ فيه بزي المرأة ودفاعهم المستميت عن النقاب وعدم الإختلاط.

وما سبق يدفعنا للتساؤل الهادئ حول أجندة هؤلاء الدُعاة الغريبة عن أرض البلاد، وأيضا عن السبب في حالة التماهي فكراً وروحاً ومنهجاً مع الفكر السعودي

الوهابي واقتصارهم على فقهاء المملكة مع التجاهل التام لرموز الفقه سواء في مصر أو في غيرها بشكل يثير التساؤل

وهذا التماهي يظهر في المواقف المشتركة والمتوافقة مع فقه المملكة وأجندتها مثل الموقف من المرأة وما يتفرع منها من موضوعات- كالزي (عدم الاختلاط وتحبيذ عدم العمل تجنبا للفتنة - وأيضاً الشيعة وما يترتب عليهم من رفض تام لأي محاولة للتقريب واخراجهم من ملة المسلمين ووضع جميع فرق الشيعة في كفة واحدة بلا تمييز، وأيضاً الموقف من غير المسلمين وخاصة الأقباط فهم في فقههم كفار[1]

ما سبق بعض من كل يحتاج للتأمل والإجابة عن هذه التساؤلات والوقوف مع النفس من قبل هؤلاء السلفيون والذين لا نشكك في وطنيتهم أو نواياهم بل نرجو أن تستفيد البلاد فعلاً من شعبيتهم بتوجيه الناس إلى ما فيه خير للبلاد وتعميرها بجد وإخلاص.

خاتمة :

ما سبق لا يعني أننا نسيء إلى الأفكار المطروحة فالأكيد أن الكثير من أصحابها ذوو نوايا طيبة يريدون الإضافة إلى الإسلام ولكن النوايا الطيبة لا تكفي، فلا بد لها من رؤية واضحة وتخطيط قوي وكوادر مدربة وبرنامج عملي تفصيلي للنهوض بالمجتمع وإحداث تغيير. وليس الركون إلى الأحلام وبعض التفسيرات هنا أو هناك.

(١) يراجع في هذه النقطة حلقة الشيخ د.مصطفى العدوى على قناة الرحمة في سؤال له من مشاهد حول تصريح وزير الأوقاف د. محمود حمدي زقزوق لمجلة آخر ساعة (عدد٣٩٢٤ بتاريخ٦ يناير ٢٠١٠م) حول أن الأقباط ليسوا كفرة، وهو ما نفاه الشيخ في تعليقه في تأكيد على أنهم كفار في توافق مع رؤية الشيخ عبد العزيز بن باز وغيره من شيوخ المملكة العربية السعودية .

لسنا ضد الدين ولكن ضد من يحاولون تحويله إلى كهنوت خاص بهم يحولون الدين إلى قدس الأقداس ويعيدون بصيغة إسلامية سلطة رجال الدين المسيحي في العصور الوسطى ويجعلون أي أمر مرتبط بالإسلام حكر عليهم فقط يعطون صكوك الغفران ويمنعونها بمزاجهم الخاص.

من يريد بحق تقديم خدمة للإسلام فليعمل على:

نشر التسامح لا التعصب.

يبشر لا ينفر.

يُبين حقائق الإسلام من حق وخير وتراحم وترابط.

تواضع لا تعصب وتنابز واستعلاء.

وحدة لا تفرقة.

مساواة لا طبقية واستعلاء، حتى ولو باسم العلم والدين / التدين.

احترام العقل البشري، فالله تعالى لم يميز البشر عن باقي مخلوقاته سوى بالعقل فلنعمل بهذا التفضيل الإلهي.

الملاحق

لرغبتنا في تسجيل بعض الوقائع لتكون مرجعاً وتأريخاً الحالة الدينية المعاصرة والفكر المعاصر سواء من ناحية طالب الفتوى أو من يقوم بالإفتاء .

لذا ..

كانت هذه الملاحق .

(١)

قناة الرحمة

تعتبر قناة الرحمة الفضائية من أهم القنوات الدينية في الفترة الحالية وأكثرها مشاهدة وإقبالاً من الجماهير[1]، وتلعب شخصية وكاريزما الشيخ محمد حسان – صاحب القناة – الدور الأكبر في هذه الشعبية، فهذه القناة تدور حول الرجل، هو أساسها والرقم الصعب فيها – رغم وجود العديد من الوجوه الدعوية – ولكن تظل شعبية الشيخ محمد حسان هي الأكبر، فبلاغته لها تأثيرها وحماسته الشديدة في حديثه تجعل الكثير يؤمن بكل ما يقوله دون تردد وكذلك دراسته في قسم العلاقات العامة بإعلام القاهرة ساعدته كثيراً، وتجلت ذروة هذه الشعبية والتأثير إثر أزمته الصحية من أعوام قليلة ماضية – ٢٠٠٧- وما صاحبها من ردود أفعال من الجماهير العادية البسيطة لتضع هذه الأزمة الشيخ بعدها في مكانة عالية لا يطاوله فيها غيره.

حيث تحول الإعجاب إلى وله بالشيخ، وتحولت كلماته إلى دستور يحرك الناس، أينما يحل في مسجد لدرس أو خطبة تمتلىء الشوارع المحيطة بالمسجد فقط لرؤية

---

(١) وإن كان البعض يرى من خلال الأزمة الحالية لقناة الرحمة أن قرار شركة النايل سات بوقف بث قناة الرحمة السلفية، قد كشف عن عدة أزمات داخل التيار السلفي نفسه، لعل أبرزها هو انتشاره الظاهري عبر الفضائيات دون أن يكون لديه قدرة على الحشد والتعبئة في مواجهة مشكلة أو طارئ يهدد وجودهم، راجع: عبد المنعم منيب، جريدة الدستور المصرية، بتاريخ : ٢٦/ ٥/ ٢٠١٠م.

الشيخ وتصويره ويا حبذا إن استطاع أي من الحضور أن يلمس يديه ويقبلها أو يأخذ صورة معه للذكرى. أصبح لا راد لكلمات الشيخ شيء أو شخص لا يستطيع أحد أن يتوجه إليه بخطاب نقد، فمن هذا الذي ينتقد الشيخ محمد حسان؟ وكيف ينجو من دراويش الشيخ ومريديه؟.

قناه الرحمة وغيرها من القنوات لم تكن لتجد هذه الشعبية لولا حالة الفراغ الديني بين الناس، بل الأمية الدينية التي تعانيها قطاعات كبيرة من المجتمع أدى بها إلى أنها أصبحت في مرمى القنوات الفضائية الدينية وسط انسحاب كامل من الدولة ومؤسساته الدينية الرسمية في تناغم مع انسحاب الدولة من كل صور الحياة لمواطنيها، الدولة هي رمانة الميزان ونقطة التوازن والإعلام سلاحها الأهم، والساحة الدينية الإعلامية تعاني من غياب بل خطف لدور الدولة نظير أجندة فقهية وفكرية غريبة عن أرض البلاد.

ومع وجود هذه الأجندة ومصاحبتها للأمية الدينية نجد النتيجة حالة من السطحية والتغييب والتعصب باسم الدين والإلهاء باسم الدين والانشغال بالفروع والإغراق فيها بدلاً من الأصول. الحالة الدينية في خطر وكذلك الوعي الديني، وعلى الدولة ممثلة في الأزهر وباقي العلماء المستقلين العودة إلى شغل الوعي الديني من جديد بأجندة وطنية معتدلة وبناء وعي جمعي معتدل في إطار مشروع قومي لا بد أن يخلق من جديد للنهوض بالمجتمع .

وتتمثل القاعدة الأساسية للشيخ الآن في قناة الرحمة والتي تتمثل رسالتها فيما يلي[1]:

* **اسم هو الرحمة**: كلمة خضرة حلوة - كلمة نوارنية مشرقة ومضيئة - كلمة رقراقة رقيقة كلها الرأفة والعطف، صفة من صفات الرحمن الرحيم جل وعلا

(١) http://www.alrahma.tv/Pages/Static/?type=AboutUs

قال تعالى "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ" ومن هذه المعانى وغيرها تستمد قناة الرحمة وجودها وعملها وعطائها. بإذن الله جل وعلا.

* **شعار قناة الرحمة**: وما أرسلناك الإ رحمة للعالمين إنه الرحمة المهداة إنه رسول الله ﷺ وآله ومن ولاه. كان رحمة فى ذاته كانت رسالتة رحمة كان قوله رحمة، كان صمته رحمة، كان عطاؤه رحمة، كان منعه رحمة فهو رسول الله يتلقى الوحى من السماء وهو رجل سياسة يقيم للإسلام دولة وهو رجل حرب يضع الخطط ويقود الجيوش بنفسه وهو رجل إنسانى من طراز فريد وهو رجل عابد خاشع خاضع أواب ﷺ.

* **ومنهج قناة الرحمة**: فهم الواقع والثاني* فهم الواجب في الواقع، فهو منهج يجمع بين الأصالة وفهم الواقع - ليس منهجاً متعصباً لا يتعصب لأحد ولا ينتمي إلى أحد فقناة الرحمة لا تنتسب إلى جماعة ولا تنتسب إلى حزب من الأحزاب بل جماعتها التي تعتز بها وتفخر بالانتساب إليها هي جماعة المسلمين وإمامنا وأسوتنا وقدوتنا الذي نسير على دربه هو إمام النبيين وسيد المرسلين ﷺ بفهم الصحابة الأخيار والأئمة الأطهار والعلماء الأبرار الذين ساروا على هذا الدرب إلى يومنا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

* **الغاية**: هي أن نوصل هذا الإسلام بشموله وكماله برحمة وحكمة وفهم دقيق ووعي عميق للأمة خاصة وللبشرية عامة – الغاية سعادة الدنيا والآخرة - الغاية أن نبلغ هذا الحق لأهل الأرض بحق.

وعن الأزمة الحالية التي تواجه القناة فتبدأ – بحسب موقع إسلام أون لاين[1] – عندما طالب "المجلس التمثيلي للمؤسسات اليهودية" بفرنسا (الكريف) بمنع البث

(١) http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1239888663749 &pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout

الفضائي لقناة الرحمة المصرية الإسلامية في فرنسا "إذا لم تتوقف عن بث برامجها المعادية للسامية"، وتقدم "الكريف" بملف إلى "المجلس الأعلى السمعي البصري" يتضمن مقاطع بثت على القناة اعتبرها المجلس اليهودي" بمثابة معاداة صريحة للسامية، وتحض على الكراهية بين الشعوب" .حيث يعتبر المجلس الأعلى السمعي البصري بفرنسا أعلى هيئة تراقب احترام وسائل الإعلام الفرنسية لحرية التعبير، كما أنها تشدد على تطبيق قانون ٣٠ سبتمبر ١٩٨٦ المتعلق بحرية الاتصال.

حيث تلقى "ميشال بايون" - مدير المجلس الأعلى السمعي البصري (س إس أ) - رسالة من "ريتشارد باسكي" رئيس المجلس التمثيلي للمؤسسات اليهودية بفرنسا (الكريف) يدعوه إلى تطبيق القانون المتعلق بمنع الدعوة إلى الكراهية والعداء للسامية على قناة الرحمة المصرية"، وهو ما فسرته المصادر بأنه دعوة ضمنية إلى منع بث القناة على الأراضي الفرنسية.

ويتضمن الملف الذي تقدم به "المجلس التمثيلي للمؤسسات اليهودية بفرنسا" مقاطع من برامج بثتها قناة الرحمة في الفترة الممتدة بين ٢ يناير و٦ مارس من هذه السنة، وفيها يتم تعليم الأطفال كيفية أن يكونوا "خطباء المستقبل"، وتمكينهم من إبراز قدراتهم على القيام "بالأدعية"، وقد بدأ أحد الأطفال دعاءه في يوم ٦ مارس بقوله: "اللهم دمر اليهود تدميراً، وحطمهم تحطيماً.. اللهم ابتلهم بمرض ليس فيه شفاء، وداء ليس فيه دواء".-

وفضلاً عن خطب الأطفال تضمن الملف أيضاً أحاديثاً لشيوخ كثيرين اعتبرت "معادية للسامية" مثل برنامج للشيخ سلامة عبد القوي بثته القناة يوم ١٥ يناير تحدث فيه عما يعرف بكتاب "حكماء صهيون"، وكلمة أخرى ألقاها الشيخ "محمد حسين يعقوب" يوم ١٧ يناير قال في مقدمتها: "لو أن اليهود تركوا لنا فلسطين.. فهل يصبحون أحباءنا؟ لا طبعاً"، بحد قول الشيخ.

وتضمن الملف أيضاً أقوالاً للداعية علاء سعيد اتهم فيه اليهود بكونهم سبب نشر الفساد والشذوذ الجنسي والحروب في العالم، كما ورد ذكر اسم الشيخ محمد الزغيبي والشيخ سعيد الفاني على أنهما أوردا أيضاً أقوالاً اعتبرت معادية للسامية.

ويعتبر المجلس التمثيلي للمؤسسات اليهودية، والذي يعتبر الممثل الرسمي ليهود فرنسا، والذي يحتج على تواصل بث قناة الرحمة على التراب الفرنسي أكبر منظمة يهودية داعمة لإسرائيل بفرنسا، ويقوم المجلس بلعب دور "اللوبي اليهودي بفرنسا" مثل "الإيباك" بالولايات المتحدة، ويحظى بتأثير كبير في وسائل الإعلام والساسة الفرنسيين.

وكان المجلس التمثيلي للمؤسسات اليهودية بفرنسا سبباً في منع قناة المنار اللبنانية التابعة لحزب الله من البث على التراب الفرنسي، بعد أن قام بحملة انتهت بقرار بوقف برامج القناة على التراب الفرنسي في شهر ديسمبر ٢٠٠٤؛ حيث اتهمت القناة ببث برامج "متشددة وذات مضامين معادية للسامية".

ونحن نرى أن حالة الاضطراب والتخبط التي تعاني منها قناة "الرحمة" - على أثر القرارات الفرنسية وموافقة الجهات الرسمية في النايل سات - أمر طبيعي لأية قناة أو مشروع يتهدده خطر الغلق، ولكن أن تتحول قناة أغلقتها دولة ما لظروف خاصة بها وتتعامل القناة مع الأمر بأن تصرف هذه الدولة ضد الإسلام وحقداً عليه وكأن الإسلام هو القناة والقناة هي الإسلام فهذا أمر خطير لا يجب أن يكون أبداً، فبمنطق المشروع المالي تتحرك القناة ورجالها ويصبح واجب على فريق العمل أن يعمل على استغلال شعبيته وتجييش الجماهير المسلمة ضد الدولة الفرنسية الكافرة. ونسأل سؤالاً ماذا تريد القناة من الجماهير أن تفعله، هل تريد استخدام الضغط الشعبي على فرنسا أم تريدها حرباً كلاميه أسلحتها الدعاء عليها؟ هل قناة الرحمة هي الإسلام أم أن الإسلام هو قناة الرحمة؟

أعطت قناة الرحمة الحق لنفسها في توجيه الانتقادات لمن تشاء، لها منطقها الذي تراه صحيحاً، فكيف تمنع غيرها من أن يفعل ما يشاء؟

فرنسا ترى أن لها الحق في الحفاظ على كيانها ضد عنصرية قناة الرحمة – من وجهة نظرها – وقد رأى المجلس التمثيلي للمؤسسات اليهودية بفرنسا أن له حقاً ضد قناة الرحمة فعمل ما يراه حماية للكيان اليهودي الذي يمثله بمخاطبة "المجلس الأعلى السمعي البصري" في فرنسا ليأخذ موقف مما يتعرض اليهود له من قبل المسلمين باعتبارهم مُعادين للسامية، منطق كلا الطرفين له حجته ولكن أن تبادر الدولة بالاستجابة للمطالب الموجهه إليها بإغلاق القناة لهو أمر بالغ الخطورة ينتقص من قيمة وهيبة الدولة ويؤكد على مدى الهوان الذي أصبحت عليه مصر. فهل تستطيع الدولة أن تمنع القنوات التي تسيء للإسلام دين الأغلبية فيها حفاظاً على كيانها ضد عنصرية هذه القنوات؟ وماذا سيكون رد فعل فرنسا وغيرها من الدول والمؤسسات؟ هل سيتباكوا على الحرية والعداء للسامية أم ماذا؟

الفرنسيون ومن ورائهم المؤسسات اليهودية أصحاب حق كما يرون أنفسهم مُهددين من الفكر الذي تبثه قناة الرحمة. والمسلمون يروا أنهم أصحاب حق في انتقاد اليهود جراء مجازرهم ضد الفلسطينين. أما الدولة فهي أين كانت وهي تسمع وترى مدى التردي الذي أصبحت فيه الحالة الدينية ومحتوى القنوات الفضائية الهشة! سكتت عليها ولم تتحرك وأمام ضغط دولي تحركت ليس لأن واجبها التحرك ولكن بسبب ضعفها أمام الضغوط واستسلامها لهذه الضغوط. والعلماء الحقيقين – وليسوا مُدعي العلم – يشاركون الدولة في المسؤولية عن حالة التردي الذي تعيش فيه الدولة بمواطنيها.

أزمة قناة الرحمة هي أزمة الخطاب الديني وأزمة مؤسسة دينية كاملة وأزمة ثقافة دينية للدعاة، لا تتحرك الجهات المسؤولة إلا بعد ضغط دولي عليها . غاب الأزهر ووسطيته تحت وطأه النفط السلفي بأمواله الكثيفة ولم تتحرك الدولة .

والتيجة خطاب غث يهتم بالقشور ولا يهتم بالجوهر لا تحركه القضايا الجوهرية التي تهدد الوجود البشري بأكمله من فساد وظلم وضعف وسفه الاستيراد والبطالة والعنوسة والفقر والمرض، واكتفوا بالنقاب واللحى وعدم الاختلاط، وأدعيتهم لا تخرج عما أسماها القرضاوي الأدعية الاستفزازية في كتابه "خطابنا الإسلامي في عصر العولمة" ومنها أن يهلك الله اليهود والنصارى جميعاً وأن ييتم أطفالهم ويرمل نساءهم ويجعل أموالهم وأولادهم غنيمة للمسلمين، واستفاض القرضاوي في كتابه المذكور سابقا في شرح موضوع أحفاد القردة والخنازير (وهو الدعاء الذي ساهم في أزمة قناة الرحمة بشكل كبير) قائلاً: هذا القول غير صحيح فالذين مسخوا قردة وخنازير لم يكن لهم أولاد ولا أحفاد ولا نسل بنص الحديث الشريف" إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً، ولا عقباً.

وأيضاً هذا أسلوب استفزازي والمسلم مأمور أن يتألف الناس ويحبب الله ودينه ورسوله إليهم "بشروا ولا تنفروا، يسروا ولا تعسرو" ولم يستثن اليهود من هذا التوجيه. وأيضاً هذا سب مكشوف والمسلم – ناهيك بالداعية – ليس سباباً ولا لعاناً وأخيراً: الإنسان لا يؤخذ – في الإسلام – بذنب آبائه وأجداده.

لذا وجب على هؤلاء الدعاة أن يقرؤوا أولاً ثم يتحدثوا على الناس، وعلى الدولة أن تقوم بدورها في الاهتمام بالثقافة والوعي الديني الحقيقي بدلاً من حالة الوعي المُتفسِّخ والمُشوه بالدين وبالآخر أياً كان.

أزمة قناة الرحمة حلها في منتهى السهولة وهو تغيير التردد والقمر الذي تبث منه – وهو ما فعلته القناة بالفعل – ولكن تحويل الأمر إلى صراخ وبكاء وأدعية بأن ينصر الله القناة وتردد الجماهير في بكاء – لم يبكوه يوماً على القدس وهوان المسلمين وهوان الجماهير الباكية على حالهم في دولهم يوماً أو على حكامهم – الشيخ لن يفيد في شيء، بل على القناة أن تتجه إلى القضاء الدولي ومنظمات حقوق الإنسان لتقاضي الجهات المسؤولة عن منع القناة.

ونظرة على بعض الأخبارالتي يقوم موقع القناة بعرضها للجمهور وعدد الزيارات قد تفيدنا في معرفه الاتجاهات العامة واهتمامات الزوار والقناة[1]:

- خبر هام لمشاهدى قناة الرحمة (عدد الزيارات :٢٩.٢٨٩) بشأن تردد القناة الجديد.
- لقاءات الرحمة مع الشيخ يوسف استس (عدد الزيارات : ٢٨.٥٣٧).
- حلقة نهاية العالم للشيخ علاء سعيد (عدد الزيارات : ٢٨.٤٣٨).
- مجموعة حلقات الرحمة باقية بإذن الله تعالى (عدد الزيارات : ١٩.٠٧٢).
- الرد على الشبهات الباطلة حول السنة المطهرة .. للشيخ محمد حسان (عدد الزيارات : ١٨.٣٠٠).
- حلقات قناة الرحمة عن النقاب (عدد الزيارات : ١٤.١١٣).
- اربح الصحابة ولا تخسر آل البيت (عدد الزيارات : ١١.٦٦٥) عن عاشوراء .
- حلقات الرحمة عن المآذن (عدد الزيارات : ٧.٦١٦) ومكانتها فى الإسلام والأحداث الأخيرة حول منع الآذان فى سويسرا.
- حلقات الناسخ والمنسوخ (عدد الزيارات : ٦.٠٤٥).
- حلقات قناة الرحمة عن القدس (عدد الزيارات : ٥.٨٦٤).

ونلاحظ تصدرالأخبار عن القناة وترددها ثم لقاءات الشيخ يوسف استس – الداعية الأمريكي – وحلقة نهاية العالم وفي النهاية تتربع حلقات القناة عن القدس، في دلالة لا تخفى على أحد .

وعن معدلات الزيارات لموقع القناة[2] لمعرفة مواعيد البرامج التي تبثها القناة نجد أن البرامج التعليمية (اللغة العربية) (عدد الزيارات : ١٠٣.١٢١) وبرامج الكيمياء (عدد الزيارات : ٨٤.٣١٩).

---

(١) http://www.alrahma.tv/Pages/News/ByDate.aspx زيارة الجمعة ٢٨/ ٥/ ٢٠١٠م.

(٢) http://www.alrahma.tv/Pages/Programs/?Type=2 زيارة الجمعة ٢٨/ ٥/ ٢٠١٠م.

وتفوق برنامج "جبريل يسأل والنبي يجيب" لفضيلة الشيخ محمد حسان- يشرح فيه حديث جبريل الذي جمع فيه الدين كله فيرسخ الشيخ عقيدة الإسلام في القلوب بأسلوب يناسب كل الفئات – عن غيره من البرامج بإجمالي عدد الزيارات : (١٤٥.٧٦٧)، بينما كان برنامج فضائل الصحابة !! في ذيل القائمة حيث بلغ عدد الزيارات ٩٠٨ فقط .

(٢)

حكم ظهور المرأة الداعية على التلفاز بحجابها الشرعي[1]

السؤال : ما حكم ظهور المرأة الداعية على التلفاز بحجابها الشرعي وذلك لغرض الدعوة والفتوى؟

الجواب: الحمد لله وبعد.

الأصل أن المرأة فتنة بصورتها وصوتها، قال ﷺ: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) (متفق عليه)، ولذلك حرص المتبعون للشهوات على إدخال المرأة في جميع برامج الإعلام المسموعة والمرئية؛ وعلى هذا فلا يجوز للمرأة أن تخرج في القنوات ولو كانت متحجبة باسم الدعوة والفتوى، فإنه يستمع إليها ما لا يحصى من الرجال، وهي إنما خرجت في القناة بدعوى تعليم النساء، ثم إنه لا حاجة إلى قيامها بالدعوة والإفتاء بواسطة القنوات فإن الأصل أن يقوم بذلك الرجال، بل وقيام الرجال به أكمل، ولم يزل الرجال في تاريخ الإسلام يقومون بالتعليم والدعوة والفتوى في المساجد ونحوها، فهم الخطباء والأئمة، ولا يجوز أن تتولى المرأة شيئاً من ذلك إلا في أوساط النساء.

(١) http://www.dawatalhak.com/newsdetails.asp?id=606

ثم من المعلوم أن مشاركة المرأة في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة تترتب عليها مخالفات شرعية من خروج بلا حاجة، ومخالطة للرجال، وتصوير لشخصها وإن كانت محجبة، وفي ذلك ما فيه من المفاسد التي جاءت الشريعة بسد الطرق إليها كما قال الله تعالى:﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ ﴾ [(الأحزاب : ٣٢، ٣٣].

وقد تتبرج المرأة في لباسها وإن كانت متحجبة؛ وبناء على ما تقدم أقول: لا يجوز للمرأة أن تخرج في القنوات الفضائية داعية أو مفتية أو معلمة، بل يجب أن يقتصر نشاطها في الدعوة العامة على بنات جنسها في بيت أو مدرسة أو مسجد في مصلى النساء.

وبهذه المناسبة ننصح إخواننا القائمين على القنوات الإسلامية بأن يتقوا الله، ولا يغتروا بأقوال المتأولين الذين لا يرون بأساً من إدخال عنصر المرأة في القنوات الإسلامية بل يدعون إلى ذلك ويؤيدونه بشبهات، ويكفي أن ذلك يوافق أهواء العصرانيين الذين لا يهوون إلا باطلاً، أو ما يجر إلى الباطل، ولهذا تعجبهم القنوات الإسلامية التي تخرج فيها المرأة، ويعدونها مسايرة للعصر، ولا تعجبهم القنوات التي لا تخرج فيها المرأة بل يعدونها متأخرة، ويصفون القائمين عليها بالتشدد، ولهؤلاء نصيب من قول الله تعالى: (وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً) (النساء: من الآية ٢٧).

نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل، وأن يجنبنا سبيل المغضوب عليهم والضالين آمين.

. ٨-٦-١٤٣٠ هـ ١٠-٦-٢٠٠٩ م فتوى رقم ٣٢٣٥٧

(٣)

بسبب الآراء اللاغية لحق المرأة فى الدعوة ومن حقها في تعليم غيرها طالما كان لديها القدرة العلمية والفقهية لذلك استناداً إلى فهم البعض للإسلام كان لا بد من هذا المقال أو البحث التاريخي الصغير لإعطاء كل ذي حق حقه.

أعلام النساء

دور المرأة المسلمة في النَّهضة العلميَّة

أحمد أبو زيد [١]

نماذج رائعة لمحدّثات وفقيهاتٍ وعالِمات عَبْرَ العُصُور الإسلامية

فكيف يَكونُ ثُلُثَا عدَدِ الأُمِّيّين في العالم الإسلامي اليوم من النساء؟!

الأميَّة سرطان ينخر في جسد المجتمعات البشريَّة، ويُوهن قوَّتَها، والإحصائيات تشير إلى أنَّ واحدًا من أصل خَمسةٍ كبار عبر العالم، أي ما يقارب ٨٦٠ مليون شخص، لا يَزالون من الأميين، وثلثا هذا العدد من النساء، ويعيش حوالي ٧٠ ٪ من هؤلاء في جنوب الصحراء الإفريقية، وجنوب وغرب آسيا، والدول العربية وإفريقيا الشمالية.

والذي يهمُّنا هنا هو ارتفاع نسَبة الأمية بين النساء في مجتمعنا العربي والإسلامي لدرجة أن ثلثي عدد الأميين من النساء، فكيف يَحدث ذلك والمرأة كان لها حضور في المجتمع الإسلامي منذ اللحظة الأولى لظهور الإسلام، فكانَتْ تتعلَّم وتُعَلِّم، وترحل لطلب العلم، ويقصدها الطلاب لأخذ العلم عنها، وتصنِّفُ الكتب، وتُفْتِي، وتُستشار في الأمور العامَّة، ولم تَكُنْ حبيسةَ منزِلٍ أو حجرة، أو أسيرةً في مهنة معيَّنة، بل كان المجال مفتوحًا أمامها تظله الشريعة الغراء، ويرعاه العفاف والطهر.

---

(١) http://www.alukah.net/articles/1/3234.aspx

فالسيدة خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - هي أوَّل مَنْ آمَنَ بالنَّبيِّ - ﷺ - على الإطلاق، وكانت ملاذًا وحصنًا منيعًا للدَّعوةِ الإسلامية حتَّى وفاتِها في العام العاشِر من البعثة، وهو العامُ الَّذي سمَّاه النبي - ﷺ- بعام الحُزْن، كذلك كانتِ المرأة أوَّل مَن ضحَّتْ بِنَفْسِها في سبيل الله، فالسَّيِّدة سُمَيَّة بنت خيَّاط - رضي الله عنها - هي أوَّل شهيدة في الإسلام، كما كانت المرأة أوَّل مَن هاجر في سبيل الله؛ فالسيدة رقيَّة بنت محمد - ﷺ - هي أوَّل مَن هاجرتْ إلى الله تعالى مع زَوْجِها عُثْمان بن عفَّان - رضي الله عنهما - إلى الحبشة.

• **المرأة فقيهة ومفتية:**

وامتدَّ عطاء المرأة المسلمة بعد الإيمان والهجرة والتضحية إلى المجال العلمي والتعليمي، فظهرت الفقيهة والمُحدِّثة والمفتية، التي يَقْصِدُها طلاب العلم، ويأخذ عنها بعض أساطين العلماء، وتفتي في بعض الأمور التي تخص عامة المسلمين، وظهر من العالمات المسلمات من تعقد مجالس العلم في كبريات المساجد الإسلامية، ويحضُر لها الطلاب من الأقطار المختلفة، وعُرف عن بعض الفقيهات والمحدثات المسلمات أنَّهن أكثَرْنَ من الرحلة في طلب العلم إلى عدد من المراكز العلمية في مصر والشام والحجاز، حتَّى صِرْنَ راسخاتِ القَدَم في العلم والرواية، وكان لبعضهن مؤلفات وإسهامات في الإبداع الأدبي.

ففي صدر الإسلام كانتْ أمهات المؤمنين وعدد من كبار الصحابيات من روَّاد الحركة العلميَّة النِّسائية، وكانت حُجُرات عدد من أمَّهات المؤمنين الفُضْليات مناراتٍ للإشعاع العلميّ والثَّقافي والأدبي، وتأتي أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - في الذّروة والمقدّمة، فكانت من الفصيحات البليغات العالمات بالأنساب والأشعار، وكان النبي - ﷺ- يستمع منها إلى بعض ما ترويه من الشعر.

وتَروي بعض الآثار أنَّ عائشة عندها نصف العلم؛ لذا كانت مقصد فقهاء الصحابة عندما تستعصي عليهم بعض المسائل العلميَّة والفقهيَّة، خاصَّة فيما يتعلَّق بِجوانب حياة النبي ﷺ ، وكانت عائشة تحثُّ سائلها ألا يستحيي من عرض مسألته، وتقول له "سل فأنا أمك"، وقد أخذ عنها العلم حوالي (٢٩٩) من الصحابة والتابعين، منهم (٦٧) امرأة.

أمَّا أمّ سلمة - رضي الله عنها - فكانتْ كما وصَفَها الذَّهبيُّ "من فقهاء الصحابيات"، وممن روى كثيرًا من الأحاديث عن النَّبيّ ﷺ ، وروى عنها كثير من الصحابة والتابعين بلغوا حوالي (١٠١)، منهم (٢٣) امرأة.

وتتعدد أسماء الصحابيات والتَّابعيات اللاتي اشتهَرْنَ بالعلم وكثرة الرواية، وتحفل كتب الحديث والرواية والطبقات بالنساء اللاتي روين ورُوِيَ عنهنَّ الحديث الشريف، مثل: أسماء بنت أبي بكر الصديق، وأسماء بنت عُمَيْس، وجويرية بنت الحارث، وحفصة بنت عمر، وزينب بنت جحش، رضي الله عنهن.

ولم يغفل كبار كتاب الطبقات الترجَمة للمرأة المسلمة خاصَّة في الرواية، فمحمد بن سعد ذكر كثيرًا من الصحابيات والتَّابعيات والراويات في كتابه "الطبقات الكبرى"، و"ابْنُ الأثير" خصَّص جُزءًا كاملاً للنساء في كتابه "أسد الغابة"، وفي كتاب "تقريب التهذيب" لابن حجر العسقلاني ذكر أسماء (٨٢٤) امرأة مِمَّن اشتهرن بالرواية حتى مطلع القرن الثالث الهجري.

• **معلمة الرجال:**

وقد ساهمت المرأة العالمة بأناملها الرقيقة في صناعة وتشكيل كثير من كبار العلماء؛ فالمؤرخ والمحدث الشهير "الخطيب البغدادي" صاحب كتاب "تاريخ بغداد" سمِعَ من الفقيهة المحدثة "طاهرة بنت أحمد بن يوسف التنوخية" المتوفاة (٤٣٦هـ).

وكانت "أَمَةُ الواحد بنت الحسين بن إسماعيل" المتوفاة (٣٧٧هـ) من أفقه الناس في المذهب الشافعي، وكانت على علم بالفرائض والحساب والنحو، وكانت تُفْتِي ويكتب عنها الحديث، أمَّا "جليلة بنت علي بن الحسن الشجري" في القرن الخامس الهجري، فكانَتْ مِمَّنْ رَحَلْنَ في طلب الحديث في العراق والشام، وسمع منها بعض كبار العلماء كالسمعاني، وكانت تعلم الصبيان القرآن الكريم.

وكانت "زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحراني" المتوفاة سنة (٦٨٨هـ) من النساء اللاتي قضين عمرهن كله في طلب الحديث والرواية، وازدحم الطلاب على باب بيتها في سفح جبل قاسيون بدمشق، فسمِعوا منها الحديث، وقرؤوا عليها كثيرًا من الكتب.

فأمَّا "زينب بنت يحيى بن العز بن عبد السلام" المتوفاة (٧٣٥هـ) فقد تفرَّدَتْ بِرواية المعجم الصغير بالسَّماع المتصل، وقال عنها مؤرخ الإسلام "شمس الدين الذهبي" إنَّه كان فيها خيرٌ وعبادةٌ وحُبٌّ للرِّواية بِحَيْثُ إنَّه قُرِئ عليها يوم موتِها عدَّة أجزاء، وكانت "زينب بنت أحمد بن عمر الدمشقية" المتوفاة (٧٢٢هـ) من المحدّثات البارعات ذات السند في الحديث، ورحل إليها كثير من الطلاب.

• **محدثات في العلم والحديث:**

ويحكي الرَّحَّالة "ابن بطوطة" أنه في رحلته زار المسجد الأموي بدمشق، وسمع فيه من عدد من محدّثات ذلك العصر، مثل "زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم"، وكانت امرأة ذات قدم راسخة في العلم والحديث، و"عائشة بنت محمد بن المسلم الحرانية" التي كان لها مجلس علم بالمسجد، وكانت تتكسب بالخياطة، وقرأ عليها "ابن بطوطة" عددًا من الكتب.

وقد تفرَّدَتْ بعْضُ المحدّثات ببعض الروايات، مثل "زينب بنت سليمان بن إبراهيم" المتوفاة (٧٠٥هـ)، والتي أخذ العلم عنها "تقي الدين السبكي"، كما

أجازت بعض العالمات المحدثات لعدد من كبار العلماء، فزينب بنت عبد الله بن عبد الحليم بن تيمية المتوفاة (٧٢٥هـ) أجازت "ابن حجر العسقلاني" الذي روى - أيضاً - عن "عائشة بنت محمد بن عبد الهادي" التي كانت ذات سند قويم في الحديث، وحدّث عنها خلق كثير، وكانت توصف بأنها سهلة الإسماع لينة الجانب، وروت عن محدثتين هما: "ست الفقهاء بنت الواسطي"، و"زينب بنت الكمال".

وقد أورد "ابن حجر" في كتابه "المعجم المؤسس للمعجم المفهرس" كثيرًا من شيخاته اللاتي أخذ عنهن العلم، وعن اشتراكه في السماع عن الشيوخ مع بعضهن، ووصف بعضَهُنَّ بأنَّها مصنِّفة وهي عائشة بنت عبد الله الحلبية".

وأورد الإمام "الذهبي" قبله في كتابه "معجم شيوخ الذهبي" كثيرًا من شيخاته، وكان يقول عن بعضهن "توفِّيَتْ شيخَتُنا".

وكان للنساء دور بارز في تثقيف وتربية الفقيه والعالم الجليل "ابن حزم الأندلسي"؛ حيث علمنه القرآن الكريم والقراءة والكتابة والشعر وظل في رعايتهن حتى مرحلة البلوغ، ويحكي تجربته فيقول: "ربيتُ في حِجْرِ النساء، ونشأت بين أيديهنَّ، ولم أعرف غيرهنَّ ولا جالستُ الرِّجال إلا وأنا في حدّ الشباب.. وهنَّ علَّمْنَنِي القُرآن، وروَّيْنَنِي كثيرًا من الأشعار، ودرَّبْنَنِي في الخط"، وكان لهذه التربية والتثقيف أثرها الكبير في ذوقه وشخصيته.

وتأتي العالمة الجليلة "فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي" لتحتل المكانة العالية الرفيعة في الفقه والفتوى، وتصدرت للتدريس وألفت عددًا من الكتب، وكان الملك العادل "نور الدين محمود"، يستشيرها في بعض أمور الدولة الداخلية، ويسألها في بعض المسائل الفقهية، أما زوجها الفقيه الكبير "الكاساني" صاحب كتاب "البدائع" فربَّما هام في الفتيا فتردُّه إلى الصواب وتعرِّفه وجه الخطأ فيرجع إلى قولِها، وكانت تُفْتِي ويَحْترم زوجها فتواها، وكانت الفتوى تَخرج وعليها توقيعها

وتوقيع أبيها وزوجها، فلما مات أبوها كانت توقع على الفتوى هي وزوجها "الكاساني" لرسوخها في العلم وفقهها الواسع.

• تراجم النساء:

وقد أورد "السخاوي" في موسوعته الضخمة "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" أكثر من (١٠٧٠) ترجمة لنساء برزن في ذلك القرن، معظمهن من المحدثات الفقيهات.

أمَّا العالِم الموسوعي "جلال الدين السيوطي" فكَان لشيخاته دور بارز في تكوينه العلمي، فأخذ عن "أم هانئ بنت الهوريني" التي لقّبها بالمسند، وكانت عالمة بالنحو، وأورد لها ترجمة في كتابه "بغية الوعاة في أخبار النحاة"، وأخذ - أيضاً - عن "أم الفضل بنت محمد المقدسي" و"خديجة بنت أبي الحسن المقن" و"نشوان بنت عبد الله الكناني" و"هاجر بنت محمد المصرية" و"أمة الخالق بنت عبد اللطيف العقبي"، وغيرهن كثير.

وعرفت تلك الفترة من التاريخ عالمة وأديبة عظيمة هي "عائشة الباعونية" التي كانت من الصوفيات والشاعرات المجيدات، وكانت تتبادل قصائد الشعر الصوفي مع أدباء عصرها، ووصفها الغزي في كتابه "الكواكب السائرة في أخبار المائة العاشرة" بقوله: "إنها العالمة العاملة الصوفية الدمشقية أحد أفراد الدهر، ونوادر الزمان، فضلاً وعلمًا وأدبًا وشعرًا وديانة وصيانة"، وكان لها عدد غير قليل من المصنفات والدواوين والقصائد الصوفية.

وقد تولَّت بعضُ هؤلاء العالمات مشيخات بعض الأربطة، مثل "زين العرب بنت عبد الرحمن بن عمر" المتوفاة سنة (٧٠٤هـ) التي تولّت مشيخة رباط السقلاطوني، ثم مشيخة رباط الحرمين.

ولم تكتف العالمة المسلمة بالعطاء العلمي في أوقات السلم والرخاء، ولكنها كان لها عطاء علمي بارز في أشد أوقات المحن والأزمات، فعندما سقطت قلاع الإسلام في الأندلس وفُرض على المسلمين التَّنصُّر، ومارست مَحاكم التحقيق أشدَّ وأبْشَعَ أنواعِ التَّعذيب ضدَّ المسلمين، اضطرَّ بعضُ الناس إلى إظهار التنصُّر وإخفاء الإسلام، ورغم هذه السياسات الأسبانية القصرية، فإنَّ المسلمين هناك كانوا يُمارسون نشاطَهُم العلمي، وكانت هناك امرأتان يمثلان المرجعية العليا للمسلمين في علوم الشريعة حيث تخرج على أيديهن كثيرٌ من الدعاة المسلمين الذين حفظوا وحملوا الإسلام سنوات، وهما "مسلمة أبده" و"مسلمة آبلة" حيث تخرج عليهما الفقيه "أبيرالو" المورسكي الذي ألف كثيرًا من كتب التفسير والسنة باللغة الألخميادية التي ابتدعها المسلمون هناك.

• المرأة أديبة وشاعرة:

ولم يقتصر دور المرأة في المجتمع الإسلامي على العلم والفقه فقط، بل برعت المرأة في مجال الأدب والشعر، حتى فاق بعضهن الرجال، مثل الخنساء " تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد السلمية "التي تعتبر من أشهر نساء العرب قبل الإسلام وبعده، وهي من المخضرمين، لأنها عاشت في عصرين: عصر الجاهلية وعصر الإسلام، وقد شهدت مجيء الدعوة الإسلامية، ووفدت مع قومها على رسول الله فأسلمت معهم في العام الثامن من الهجرة، وصارت صحابية جليلة ذات مكانة وفضل، وهي من أشهر شاعرات العرب، ولم تكن امرأة أشعر منها، وبعد أن أسلمت استطاعت بإيمانها أن تكون قدوة طيبة لنساء عصرها والعصور التَّالية لها، واشتهرت بشعر الرثاء في الجاهلية والإسلام.

وكان الرسول - ﷺ- يُعْجِبُه شعر الخنساء، ويُنْشِدُها بقولِه لها: (هيه يا خناس ويومي بيده).

وقد عرفت بحرية الرأي وقوة الشخصية، حيث نشأت في بيت عز وجاه مع والدها وأخويها معاوية وصخر، وأجمع علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها.

• المراجع:

١ - جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب - أحمد إبراهيم الهاشمي - مؤسسة التاريخ العربي - بيروت لبنان - الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٢ - الحركة العلمية النسائية تراث غابت شمسُه - مصْطفى عاشور - شبكة الإسلام على الإنترنت - ١٣ سبتمبر ٢٠٠١م.

٣- نساء حول الرسول - محمد مهدي الإستانبولي، ومصطفى أبو النصر شلبي - مكتب السوادي للتوزيع - جدة - الطبعة الرابعة ١٩٩٢م.

٤- الخنساء - د. عائشة عبد الرحمن - دار المعارف - مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٧٠م.

٥- مكانة العلم في القرآن والسنة - الدكتور يوسف القرضاوي - شبكة الإسلام على الإنترنت - ٣١ أكتوبر ٢٠٠٠م.

(٤)

نصوص بعض الفتاوى

للشيخ عبد العزيز بن باز يرحمه الله

- ما يخص العلاقة بين المسلم وغير المسلم هناك أمور متعددة منها[1]:

الإجابة :

أولاً: الدعوة إلى الله عز وجل، وهي أن يدعوه إلى الله ويبين له حقيقة الإسلام حيث أمكنه ذلك وحيث كانت لديه البصيرة.

ثانياً: لا يظلمه في نفس ولا في مال ولا في عرض، إذا كان ذمياً أو مستأمناً أو معاهدا، فإنه يؤدي إليه حقه، فلا يظلمه في ماله لا بالسرقة ولا بالخيانة ولا بالغش ولا يظلمه في البدن بالضرب ولا بالقتل؛ لأن كونه معاهداً أو ذمياً في البلد أو مستأمناً يعصمه.

ثالثاً: لا مانع في معاملته في البيع والشراء والتأجير ونحو ذلك، فقد صح عن رسول الله ﷺأنه اشترى من الكفار عباد الأوثان واشترى من اليهود.(•)

رابعاً: لا يبدؤه بالسلام ولكن يرد لقول النبي ﷺ : (لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام) رواه مسلم. وقال: (إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم) متفق عليه، فالمسلم لا يبدأ الكافر بالسلام، ولكن متى سلم عليه اليهودي أو النصراني أو غيرهما من الكفار يقول وعليكم كما أمر به النبي عليه الصلاة والسلام.

---

(١) http://ibnbaz.org/mat/79

(•) نلاحظ أن الشيخ يرحمه الله ساوى بين الكفار عباد الأوثان واليهود.

وفي الحديث الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أن أمها وفدت عليها وهي مشركة في فترة الصلح الذي عقد بين النبي ﷺ وأهل مكة تريد المساعدة فاستأذنت أسماء النبي ﷺ في ذلك هل تصلها؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: (صليها)، وليس للمسلم مشاركتهم في احتفالاتهم أو أعيادهم، لكن لا بأس أن يعزيهم في ميتهم إذا رأى المصلحة الشرعية في ذلك بأن يقول: جبر الله مصيبتك أو أحسن لك الخلف بخير، وما أشبهه من الكلام الطيب، ولا يقول غفر الله له، ولا يقول رحمه الله إذا كان كافراً، أي لا يدعو للميت وإنما يدعو للحي بالهداية وبالعوض الصالح ونحو ذلك.

تبادل الزيارات بين المسلمات وغير المسلمات[1]

الإجابة : تبادل الزيارات في مثل هذا إذا كان للتوجيه والنصح والتعاون على البر والتقوى طيب مأمور به، والحكم يعم الرجلين والمرأتين، فإذا كانت الزيارة لمسلمة أو نصرانية أو غيرهما لقصد الدعوة إلى الله وتعليم الخير والإرشاد إلى الخير لا لقصد الطمع في الدنيا والتساهل بأمر الله فهذا كله طيب، فإذا زارت المسلمة أختها في الله ونصحتها عن التبرج والسفور وعن التساهل بما حرم الله من سائر المعاصي، أو زارت جارة لها نصرانية أو غير نصرانية كبوذية أو نحو ذلك لتنصحها وتعلمها وترشدها فهذا شيء طيب

أما الزيارة من أجل الدنيا أو اللعب أو الأحاديث الفارغة أو الأكل أو نحو ذلك - فهذه الزيارة لا تجوز للكافرات من النصارى أو غيرهن؛ لأن هذا قد يجر الزائرة إلى فساد دينها وأخلاقها؛ لأن الكفار أعداء لنا وبغضاء لنا، فلا ينبغي أن نتخذهم بطانة ولا أصحاباً، لكن إذا كانت الزيارة للدعوة إلى الله والترغيب في الخير والتحذير من الشر فهذا أمر مطلوب، كما تقدم، وقد قال الله سبحانه وتعالى في سورة

(١) http://ibnbaz.org/mat/123

المتحنة: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [المتحنة : ٤] (•)

تفضيل العمال الكفار على العمال المسلمين

(١)

* فضيلة الشيخ يعقد السائل مقارنة أو موازنة بين العمال من المسلمين وغير المسلمين فيقول: إن غير المسلمين هم من أهل الأمانة، وأستطيع أن أثق فيهم، وطلباتهم قليلة، وأعمالهم ناجحة، أما أولئك فهم على العكس تماماً، فما رأيكم سماحة الشيخ؟(١)

الإجابة : هؤلاء ليسوا بمسلمين على الحقيقة، هؤلاء يدعون الإسلام، أما المسلمون في الحقيقة فهم أولى وأحق وهم أكثر أمانة وأكثر صدقاً من الكفار، وهذا الذي قلته غلط لا ينبغي أن تقوله: والكفار إذا صدقوا عندكم وأدوا الأمانة حتى يدركوا مصلحتهم معكم، وحتى يأخذوا الأموال عن إخواننا المسلمين، فهذه لمصلحتهم، فهم ما أظهروا هذا لمصلحتكم ولكن لمصلحتهم هم، حتى يأخذوا الأموال وحتى ترغبوا فيهم.

فالواجب عليكم ألا تستقدموا إلا الطيبين من المسلمين، وإذا رأيتم مسلمين غير مستقيمين فانصحوهم ووجهوهم، فإن استقاموا، وإلا فردوهم إلى بلادهم واستقدموا غيرهم، وطالبوا الوكيل الذي يختار لكم أن يختار الناس الطيبين

(•) هنا تصرف ممقوت لدى التيار السلفي عموماً وأحد مآخذه على الشيعة، ألا وهو التُقية فهل هذا التصرف تقية أم ماذا؟ وهل هو انتهازية يحبذها الإسلام أم لها اسم آخر حيث أنني كمسلم لا يجب أن أقيم أية علاقة مع غير مسلم إلا لكي أدعوه إلى الإسلام وفقط وغير ذلك أكون آثم؟

(١) http://ibnbaz.org/mat/4879

المعروفين بالأمانة، المعروفين بالصلاة، المعروفين بالاستقامة، لا يستقدم من هب ودب، وكثير من الناس يدعي الإسلام وهو كافر ليس بمسلم كالمنافقين.

ولكن أنتم أرباب الأعمال عليكم أن تستقدموا الطيبين، ولا تغتروا بهؤلاء الكفرة الذين يتصنعون عندكم ويظهرون عندكم ما يرغبكم فيهم، من أمانة وصدق ونحو ذلك، فهذا لا ينبغي منكم، بل إخوانكم المسلمين أولى بأموالكم وأولى بخدمتكم، وإذا حصل منهم نقص فوجهوهم وعلموهم ولاحظوهم حتى يستقيموا.

وهذا لا شك أنه من خداع الشيطان، أن يقول لكم: إن هؤلاء الكفار أحسن من المسلمين، أو أكثر أمانة، أو كذا أو كذا، كله لما يعلمه عدو الله وجنوده من الشر العظيم في استقدام الكفرة واستخدامهم بدل المسلمين؛ فلهذا يرغِّب فيهم ويزين لكم استقدامهم حتى تدعوا المسلمين، وحتى تستقدموا أعداء الله، إيثاراً للدنيا على الآخرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد بلغني عن بعضهم أنه يقول: إن المسلمين يصلون ويعطلون الأعمال بالصلاة، والكفار لا يصلون حتى يأتوا بأعمال أكثر، وهذا أيضاً من جنس ما قبله، ومن البلاء العظيم، أن يعيب المسلمين بالصلاة ويستقدم الكفار؛ لأنهم لا يصلون، فأين الإيمان؟ وأين التقوى؟ وأين خوف الله؟ أن تعيب إخوانك المسلمين بالصلاة!

(٢)

إذا تواجد عاملان أحدهما مسلم والثاني كافر، وهما متكافئان في العمل، ومطلوب من هذا رجل مسلم أن يُقوم عملهما، فهل يجوز أن يغمط الكافر حقه بسبب ديانته[١]

(١) http://ibnbaz.org/mat/126

يرى فضيلته أن "الواجب العدل بينهما، ولكن يجب إبعاد الكافر ولو كان أنشط(*)؛ لأن المسلم أبرك، ولو كان أقل كفاءة، فما بالك إذا كان مساوياً له وقد صح عن النبي ﷺ أنه أوصى بإخراج الكفار من هذه الجزيرة وأن لا يبقى فيها دينان

فيما يقال للكافر إذا مات

*** يقول السائل: إذا مات رجل أو امرأة وهو كافر فهل يمكن أن نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، وكذلك هل نقول أيضاً: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفجر: ٢٧،٢٨] إلى آخره؟**

الإجابة : الكافر إذا مات فلا بأس أن نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله، ولو كان من غير أقربائك؛ لأن كل الناس إليه راجعون، وكل الناس ملك لله سبحانه وتعالى، فلا بأس بهذا، ولكن لا يدعى له ما دام كافراً، ولا يقال له: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفجر: ٢٧،٢٨]؛ لأن نفسه ليست مطمئنة، بل نفسه فاجرة، فلا يقال له هذا، وإنما يقال هذا في المؤمن.

فالحاصل: أن الكافر إذا مات، لا بأس أن نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا بأس أن يقول لك غيرك: أعظم الله أجرك فيه، وأحسن عزاءك فيه؛ لأنه قد يكون له مصلحة في حياته، وقد يكون في حياته يحسن إليك وينفعك، فلا بأس لكن لا يدعى له، ولا يستغفر له، ولا يتصدق عنه إذا مات كافراً.

* * *

• هنا تناقض بين وجوبية العدل ووجوبية إبعاد الكافر ولو كان أنشط فكيف يكون العدل وكيف تكون المصلحة وكيف يكون هذا من أخلاقيات الإسلام السمح وتصرفه الرسول ص باستعانته بأحد مشركي قريش دليلاً في هجرته

التبرع بالدم لغير المسلم [1]

*** هل يجوز لي التبرع بنقل دم لمريض أوشك على الهلاك وهو على غير دين الإسلام؟**

الإجابة : لا أعلم مانعاً من ذلك، لأن الله تعالى يقول جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾[الممتحنة: ٨]. فأخبر سبحانه أنه لا ينهانا عن الكفار الذين لم يقاتلونا ولم يخرجونا من ديارنا أن نبرهم ونحسن إليهم، والمضطر في حاجة شديدة إلى الإسعاف، وقد جاءت أم أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنها إلى بنتها، وهي كافرة، في المدينة في وقت الهدنة بين النبي ﷺ وأهل مكة تسألها الصلة، فاستفتت أسماء النبي ﷺ ذلك فأفتاها أن تصلها، وقال: (صلي أمك) وهي كافرة.

فإذا اضطر المعاهد أو الكافر المستأمن الذي ليس بيننا وبينه حرب، إذا اضطر إلى ذلك فلا بأس بالصدقة عليه من الدم، كما لو اضطر إلى الميتة، وأنت مأجور في ذلك؛ لأنه لا حرج عليك أن تسعف من اضطر إلى الصدقة.

السفر للخارج والسكن مع العوائل في الخارج

*** ما حكم السكن مع العوائل لمن سافر إلى الخارج للدراسة لأجل الاستفادة من اللغة أكثر؟**

الإجابة : لا يجوز السكن مع العوائل لما في ذلك من تعرض الطالب للفتنة بأخلاق الكفرة ونسائهم، والواجب أن يكون سكن الطالب بعيداً عن أسباب الفتنة، وهذا كله على القول بجواز سفر الطالب إلى بلاد الكفرة للتعلم، والصواب

(١) http://ibnbaz.org/mat/4876

أنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار للتعلم إلا عند الضرورة القصوى، بشرط أن يكون ذا علم وبصيرة وأن يكون بعيداً عن أسباب الفتنة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يقبل الله من مشرك عملاً بعدما أسلم أو يزايل المشركين) أخرجه النسائي بإسناد جيد. ومعناه: حتى يزايل المشركين، وقال ﷺ: (أنا بريء من كل مسلم يقيم بين المشركين) رواه أبو داود والترمذي والنسائي بإسناد صحيح، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

الواجب على المسلمين الحذر من السفر إلى بلاد أهل الشرك إلا عند الضرورة القصوى، إلا إذا كان المسافر ذا علم وبصيرة ويريد الدعوة إلى الله والتوجيه إليه فهذا أمر مستثنى، وهذا فيه خير عظيم؛ لأنه يدعو المشركين إلى توحيد الله ويعلمهم شريعة الله، فهو محسن وبعيد عن الخطر لما عنده من العلم والبصيرة(١).

* * *

* بعض المسلمين يشاركون النصارى في أعيادهم فما توجيهكم ؟(٢)

الإجابة : لا يجوز للمسلم ولا المسلمة مشاركة النصارى أو اليهود أو غيرهم من الكفرة في أعيادهم بل يجب ترك ذلك؛ لأن من تشبه بقوم فهو منهم، والرسول عليه الصلاة والسلام حذرنا من مشابهتهم والتخلق بأخلاقهم.

فعلى المؤمن وعلى المؤمنة الحذر من ذلك، ولا تجوز لهما المساعدة في ذلك بأي شيء، لأنها أعياد مخالفة للشرع.

فلا يجوز الاشتراك فيها ولا التعاون مع أهلها ولا مساعدتهم بأي شيء لا بالشاي ولا بالقهوة ولا بغير ذلك كالأواني وغيرها، ولأن الله سبحانه يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ

(١) http://ibnbaz.org/mat/127

(٢) http://ibnbaz.org/mat/387

﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة الآية ٢] ، فالمشاركة مع الكفرة في أعيادهم نوع من التعاون على الإثم والعدوان .

الكافر ليس أخاً للمسلم[1]

* يقول: يسكن معي واحد مسيحي ويقول لي أخي ونحن إخوة ويأكل معنا ويشرب هل يجوز هذا العمل أم لا؟

الإجابة : الكافر ليس أخاً للمسلم والله سبحانه يقول: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ [الحجرات الآية ١٠] ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم) فليس الكافر: يهودياً أو نصرانياً أو وثنياً أو مجوسياً أو شيوعياً أو غيرهم - أخاً للمسلم، ولا يجوز اتخاذه صاحباً وصديقاً، لكن إذا أكل معه بعض الأحيان من غير أن يتخذه صاحباً أو صديقاً إنما قد يقع ذلك في وليمة عامة أو وليمة عارضة فلا حرج في ذلك، أما اتخاذه صاحباً وجليساً وأكيلاً فلا يجوز، لأن الله قطع بين المسلمين والكفار الموالاة والمحبة، قال سبحانه في كتابه العظيم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة الآية ٤]، وقال سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة الآية ٢٢].

فالواجب على المسلم البراءة من أهل الشرك وبغضهم في الله، ولكن لا يؤذيهم لا يضرهم ولا يتعدى عليهم بغير حق إذا لم يكونوا حرباً لنا، لكن لا يتخذهم أصحاباً ولا إخواناً ومتى صادف أنه أكل معهم في وليمة عامة أو طعام عارض من

(١) http://ibnbaz.org/mat/362

غير صحبة ولا موالاة ولا مودة فلا بأس، ويجب على المسلم أن يعامل الكفار إذا لم يكونوا حرباً للمسلمين معاملة إسلامية بأداء الأمانة، وعدم الغش والخيانة والكذب، وإذا جرى بينه وبينهم نزاع جادلهم بالتي هي أحسن وأنصفهم في الخصومة عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ويشرع للمسلم دعوتهم إلى الخير ونصيحتهم والصبر على ذلك مع حسن الجوار وطيب الكلام لقول الله عز وجل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله سبحانه: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، وقول النبي ﷺ: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

مصافحة اليهودي أو النصراني والطعام معهم

*** إذا توضأ الرجل للصلاة، وقابل في طريقه نصرانياً أو يهودياً وصافحه، فهل يبطل وضوؤه؟ وما الحكم في دعوة المسيحي إلى تناول الطعام في بيت المسلم؟(1)**

الإجابة: إذا صافح المسلم النصراني، أو اليهودي، أو غيرهما من الكفرة فالوضوء لا يبطل بذلك، لكنه ليس له أن يصافحهم، وليس له أن يبدأهم بالسلام؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام)، والمصافحة أشد من البدء بالسلام، فلا يبدؤهم ولا يصافحهم إلا إذا بدؤوه هم بالسلام فصافحوه، فلا بأس بالمقابلة؛ لأنه لم يبدأهم، وإنما هم الذين بدؤوا.

أما دعوتهم إلى الوليمة وتناول الطعام فهذا فيه تفصيل: فإن كان دعاهم لأجل الترغيب في الإسلام ونصيحتهم وتوجيههم للإسلام فهذا لا بأس به، وهكذا إن

(1) http://ibnbaz.org/mat/2261

كانوا ضيوفاً، أما أن يدعوهم إلى الطعام من أجل الصداقة والمؤانسة فلا ينبغي له ذلك؛ لأن بيننا وبينهم عداوة وبغضاء كما قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤]، والله ولي التوفيق.

* * *

حكم قبول هدايا المشركين(١)

*** عندنا مسجد يبنى وبجواره نصارى، والنصارى إذا أرادوا التبرع في بناء المسجد بالمال هل على المسلمين أن يأخذوا المال منهم؟**

الإجابة: إذا كان فيه شرط يخالف الشرع فلا، أما التبرع المجرد فإنه ليس فيه شيء، والنبي ﷺ قبل كثيراً من هدايا المشركين

دخول غير المسلمين المساجد

*** يقول السائل: بالنسبة إلى دخول غير المسلمين من المشركين والشيوعيين المساجد هناك من يقول: يجوز لهم دخول المساجد لعل الله أن يهديهم، وهناك من يقول: لا يجوز لهم، فنرجو إفادتنا بالصواب أفادكم الله؟(٢)**

الإجابة: أما المسجد الحرام فلا يجوز دخوله لجميع الكفرة: اليهود، والنصارى وعباد الأوثان، والشيوعيين، فجميع الكفرة لا يجوز لهم دخول المسجد الحرام لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا

(١) http://ibnbaz.org/mat/4161

(٢) http://ibnbaz.org/mat/4880

يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ﴾ [التوبة : ٢٨] ، فمنع سبحانه من دخولهم المسجد الحرام.

والمشركون يدخل فيهم اليهود والنصارى عند الإطلاق، فلا يجوز دخول أي مشرك المسجد الحرام، لا يهودي، ولا نصراني، ولا غيرهما، بل هذا خاص بالمسلمين.

وأما بقية المساجد فلا بأس من دخولهم للحاجة والمصلحة، ومن ذلك المدينة وإن كانت المدينة لها خصوصية، لكنها في هذه المسألة كغيرها من المساجد، لأن الرسول ﷺ ربط فيها الكافر في مسجد النبي ﷺ ، وأقر وفد ثقيف حين دخلوا المسجد قبل أن يسلموا، وهكذا وفد النصارى دخلوا مسجده عليه الصلاة والسلام، فدل ذلك على أنه يجوز دخول المسجد النبوي للمشرك، وهكذا بقية المساجد من باب أولى إذا كان لحاجة، إما لسؤال، أو لحاجة أخرى، أو لسماع درس ليستفيد، أو ليسلم ويعلن إسلامه، أو ما أشبه ذلك.

والحاصل: أنه يجوز دخوله إذا كان هناك مصلحة، أما إذا لم يكن هناك مصلحة فلا حاجة إلى دخوله المسجد، أو أن يخشى من دخوله العبث في أثاث المسجد، أو النجاسة فيمنع.

قول: يا سيد للكافر (١)

*** يقول السائل: فضيلة الشيخ: هل يجوز أن يقال للكافر: يا سيد. مثل أن يكتب بالفاتورة أو غيرها: السيد فلان، وهو يعلم أنه كافر، أو في أثناء الحديث معه بالإنجليزية مثلاً مستر فلان؟ وإذا كان لا يجوز أن يقال للكافر: يا سيد، فما الدليل؟ أفيدونا أفادكم الله.**

(١) http://ibnbaz.org/mat/4882

الإجابة : نعم، لا يقال للكافر: سيد، ولا للفاسق سيد؛ لأنه ورد عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تقل للفاسق سيداً)، فنهى النبي عليه الصلاة والسلام عن هذا الشيء، فلا ينبغي للمؤمن أن يقول للكافر ولا للفاسق سيداً؛ لأن هذا وصف عظيم لا يليق بالكافر والفاسق، والسيد هو الرئيس والكبير والفقيه، فلا ينبغي أن يقال للكافر بالله أو المعروف بالمعاصي الظاهرة، لا يقال له سيد، بل يدعى باسمه المعروف، فلان، أو: أبو فلان، كما قال النبي ﷺ في عبد الله بن أبي: (ما فعل أبو الحباب؟).

فإذا دعي بلقبه أو باسمه أو قيل فلان المدعو كذا وكذا فلا بأس، ويكفي هذا، أما أن يقال: السيد فلان، أو يأتي بما هو أعظم من ذلك فلا يجوز؛ لكونه فاسقاً معروفاً بالفسق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

مشاركة المسلم لنصراني في التجارة والزراعة وسائر المعاملات[1]

*** هل يجوز للمسلم أن يكون شريكاً للنصراني في تربية الأغنام أو تجارتها أو أية تجارةٍ أخرى؟ أفيدونا أفادكم الله.**

الإجابة : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد: فإن اشتراك المسلم مع النصراني أو غيره من الكفرة في المواشي أو في الزراعة أو بشيء آخر الأصل في ذلك جوازها إذا لم يكن هناك موالاة وإنما تعاون في شيء من المال كالزراعة أو الماشية أو نحو ذلك، وقال جماعة من أهل العلم بشرط أن يتولى ذلك المسلم، أن يتولى العمل في الزراعة أو بالماشية المسلم ولا يتولى ذلك الكافر؛ لأنه لا يُؤمن، وهذا فيه تفصيل فإن كانت هذه الشركة تجر إلى موالاة أو إلى فعل ما حرم الله أو إلى ترك ما أوجب الله حرمت

(١) http://ibnbaz.org/mat/18146

هذه الشركة لما تفضي إليه من الفساد، أما إن كان لا تفضي إلى شيء من ذلك والمسلم هو الذي يباشرها ويعتني بها حتى لا يخدع فلا حرج في ذلك، ولكن بكل حال فالأولى به السلامة من هذه الشركة، وأن يشترك مع إخوانه المسلمين دون غيرهم حتى يأمن على دينه ويأمن على ماله، فالاشتراك مع عدوٍ له في الدين فيه خطر على خلقه ودينه وماله، فالأولى بالمؤمن بكل حال أن يبتعد عن هذه الخلطة حفظاً لدينه وحفظاً لعرضه وحفظاً لماله، وحذراً من خيانة عدوه في الدين إلا عند الضرورة والحاجة التي قد تدعو إلى ذلك فإنه لا حرج عليه بشرط السلامة كما تقدم بشرط أن لا يكون في ذلك مضرة على دينه أو عرضه أو ماله، وبشرط أن يتولى ذلك فإنه أحوط له، لا يتولاها الكافر بل يتولى الشركة والعمل فيها المسلم، أو مسلم ينوب عنهما جميعاً.

شكل العلاقة ما بين المسلمين وبعضهم البعض عن مخالطة من لا يتمسكون بشعائر الإسلام[1]

* من السائل: س ، أ . ع من العراق محافظة ديالي، يقول: أنا شاب مسلم أعبد الله وأريد أن أعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ولكن المشكلة أنني أعيش وسط قوم أكثرهم لا يصلون ولا يصومون ولا يتصدقون، ويعملون بالبدع ومحدثات الأمور، ويحلفون بغير الله، وينذرون لغير الله، وبعض الناس يكفر بالله ورسوله باللفظ، وأنا شاب أدرس في المرحلة المتوسطة، وأكثر طلابها سيؤو الأخلاق، لا يفعلون أوامر الله، وتوجد معنا فتيات غير محجبات، والمدرسات كذلك، حتى أصبح فعل الشر سهلاً وارتكاب المحرم ميسوراً، وأموراً يطول شرحها، لكن والدي لا يسمح لي أن أترك الدراسة وأنا أرغب أن أترك هذه المدرسة، وأبتعد عن هذا الجو، وأعمل في الزراعة وأعبد الله بعيداً عن شر الناس، لكن والدي

(١) http://ibnbaz.org/mat/317

لا يسمح لي بذلك، وأريد أن أسأل هل يجوز لي أن أترك المدرسة؟ وهل يجوز لي السفر من هذه البلاد إلى بلاد أخرى، ولو لم يرض والدي؟ أفيدوني أفادكم الله.

الإجابة : إذا كانت الحال ما ذكره السائل فالواجب عليك ترك هذه المدرسة والحذر من شرها والبعد عنها وعن أهلها، حفاظاً على دينك وحذراً على عقيدتك وأخلاقك من هؤلاء السيئين من طلبة وطالبات ومجتمع سيئ، عليك أن تبذل وسعك في الانتقال إلى مدرسة سليمة أو إلى بلدة سليمة أو إلى مزرعة أو إلى ما تكون فيه بعيداً عن الخطر على دينك وعلى أخلاقك، هذا هو الواجب عليك، ولو لم يرض والدك؛ لقول النبي ﷺ : (إنما الطاعة في المعروف)، ولقوله ﷺ أيضاً: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)، فالجلوس بين أهل الشر وأهل الشرك وتاركي الصلوات وبين الفتيات المتبرجات والسافرات فيه خطر عظيم على العقيدة والأخلاق، فلا يجوز للمسلم البقاء على هذه الحال، بل يجب عليه أن يحذر هذا المجتمع ويبتعد عنه إلى مجتمع أصلح وأسلم لدينه ولو بالسفر من بلد إلى بلد آخر كمكة والمدينة للدراسة في المسجد الحرام والمسجد النبوي، لوجود مدرسين فيهما من أهل العلم والفضل والعقيدة السلفية، سواء رضيا والداه أم لم يرضيا؛ لأن الطاعة لهما إنما تكون في المعروف لا في المعاصي(*)

مجالسة الأصدقاء الذين لا يصلون(1)

*** أنا شاب في الثانية والعشرين من عمري، متدينٌ والحمد لله، ولكني أجالس أصحاباً لي لا يصلون، نصحتهم مراراً وتكراراً ولكن دون جدوى، ولم يزدهم نصحي إلا إصراراً على المعاصي، حاولت هجرهم ولكن لم أستطع على ذلك؛ لأنهم أصحاب لي منذُ الصغر ولا أحب سواهم من الشباب.**

(*) يُلاحظ هنا التأثر بآراء سيد قطب التكفيرية وبخاصة ما ورد في معالم في الطريق وما يخص الجاهلية والهجرة ويتفق أيضاً مع آراء محمد بن عبد الوهاب فيما يخص الهجرة وقد أشرنا إلى ذلك في مكانه.

(1) http://ibnbaz.org/mat/18139

الإجابة : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعد.. فالحمد لله الذي هداك ووفقك لما فيه رضاه سبحانه، ورزقك الاستقامة على دينه فاحمد الله على هذا الخير العظيم واشكر الله، ونوصيك بالحذر من هؤلاء الأصحاب الذين لا يصلون فإن صحبتهم تضرك في دينك ودنياك وسمعتك، فاتقِ الله واحذرهم وسوف تجد -إن شاء الله- خيراً منهم، فالتمس الأخيار والزملاء الطيبين فإنهم يعينوك على الخير ويرشدونك إلى أسباب النجاة، أما الأشرار فهم شرٌ عليك وضرر عليك في دينك ودنياك فاحذرهم وابتعد عن صحبتهم ما داموا لم ينتفعوا بالنصيحة فاحذرهم واهجرهم وابتعد عنهم، واسأل الله لهم الهداية، نسأل الله أن يهديهم وأن يكفيك شرهم، فالحذر الحذر منهم ما داموا على حالهم الرديئة والتمس الأصحاب الطيبين وأبشر بالخير والله يعينك كما قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢-٣] . فاستقم على أمر الله وحافظ على طاعته، واسأل ربك التوفيق والإعانة وابتعد عن الأشرار غاية البعد لعلك تنجو من شرهم وسوف يعوضك الله خيراً منهم. جزاكم الله خيراً.

* * *

ترك مؤاكلة ومجالسة قطاع الصلاة (١)

*** أسكن في حجرة مع بعض الإخوة المصريين وهم لا يصلون، وأنا أصلي والحمد لله ، ولكنني أنصحهم بالصلاة فيعتذرون بأعذار غير مقنعة ، ولذلك فأنا لا أقبل أن أشترك معهم في الأكل وآكل وحدي، وعندما تكلموا كثيراً حول سبب أكلي وحدي ذكرت لهم أني لا آكل مع مسلمٍ لا يصلي، فهل فعلي هذا معهم صحيح أم لا؟**

---

(١) http://ibnbaz.org/mat/18151

الإجابة : نعم، قد أحسنت وأصبت، ما داموا يكابرون في ترك الصلاة ولم يقبلوا نصيحتك فالواجب بغضهم في الله وعدم مصاحبتهم وعدم الأكل معهم؛ لأن هؤلاء مرتدون عن الإسلام في أصح قولي العلماء، من ترك الصلاة صار مرتداً في أصح قولي العلماء، فالواجب نبذهم وعدم صحبتهم وينبغي أن لا تبقى معهم في الحجرة أيضاً بل تكون في محل آخر حتى لا يضرك قربهم؛ لأن صحبة الأشرار والقرب منهم فيه خطر عظيم، فنسأل الله أن يمن عليهم بالتوبة وأن يهديهم إلى رشدهم، وأن يعيذهم من شر الشيطان والنفس الأمارة بالسوء ، وأن يمن عليهم بالتوبة ، أما أنت فقد أحسنت في نصيحتهم ، وقد أحسنت في مفارقتهم حتى لايصيبك شيء من شرهم.

***

مقاطعة وهجر تارك الصلاة

* لي أخٌ من أبي وأمي لا يصلي، وقد نصحته وبينت له ما وعد الله به قاطع الصلاة في الدنيا وفي الآخرة، وما يحل به من عذاب في القبر، ولم يستجب للنداء، وقد أمضى معي في الغربة حوالي أربع سنوات وأنا أنصحه ولكن بدون فائدة، والسؤال: هل يجوز لي مقاطعته، وهل يجوز رد السلام عليه، وهل إذا قاطعته وكانت هذه المقاطعة سبب في غضب والدتي على هل على في ذلك إثم؟ ويسأل عن الأكل والشرب معه... إلخ.

الإجابة : قد أحسنت في نصيحته والاستمرار في ذلك، أما كونه استمر في مقاطعة الصلاة ولم يوفق لقبول النصيحة فهذا إلى الله سبحانه وتعالى، هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فعليك أن تدعو له كثيراً بالهداية، وهكذا الوالدة تدعو له بالهداية أن الله يهديه ويرده إلى الصواب في السجود في آخر الصلاة في أوقات الإجابة مثل آخر الليل مثل بين الآذان والإقامة لعل الله يهديه ولعل الله يستجيب دعاءك ودعاء الوالدة. أما المقاطعة فالواجب مقاطعته ما دام لم يقبل فالواجب هجره ومقاطعته لعله يستفيد من هذا الهجر ولعل الله يهديه بذلك، ولا

تتخذه جليساً يكون أكيلك أو شريبك، ولا تجب دعوته إذا كان في بيت آخر إذا دعاك بل تظهر له المقاطعة والبغضاء حتى يهديه الله عز وجل، وهكذا الوالدة عليها أن تنكر عليه وعليها أن تبغضه في الله وعليها أن تقاطعه حتى يهديه الله؛ لأن ترك الصلاة كفر أكبر في الصحيح من قولي العلماء، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة) ويقول النبي أيضاً عليه الصلاة والسلام: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) ويقول عليه الصلاة والسلام: (بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة) فالصلاة عمود الإسلام من أضاعها أضاع دينه، نسأل الله العافية، ويقول النبي - ﷺ- لما ذكر الصلاة يوماً قال: (من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وحشر يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف)، وهؤلاء من صناديد الكفار ومن أخبث الكفار فبين -ﷺ- أن من ضيع الصلاة يحشر مع هؤلاء الكفرة، نسأل الله العافية. فالمقصود أن الواجب عليك وعلى الوالدة النصيحة وقد بذلت منك النصيحة وعلى الوالدة أن تبذل النصيحة وبعد ذلك لا بد من المقاطعة ولا بد من إعلان البغضاء له حتى يعرف أنكما تبغضانه في الله، وأنكما تقاطعانه في هذا الأمر لعل الله يهديه ويمن عليه بالتوبة ولا مانع من النصيحة بعد ذلك بين وقت وآخر بالكلام أو بالتلفون أو بالبرقيات والكتابة ونحو ذلك لا مانع أن يستمر المؤمن في النصيحة، لكن مع البغضاء في الله ومع الهجر في الله كما قال الله عز وجل: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة : ٣] فترك الصلاة كفر وضلال، نسأل الله العافية، نسأل الله له الهداية، ونسأل الله أن يعينك والوالدة على كل خير، وأن ينفع بنصيحتكما وأن يقبل دعواتكما له حتى يهديه الله.

* * *

مرافقة الصديق الذي لا يصلي[1]

*** إن لي صديقاً لا يصلي، هل أمشي معه أم أتركه في حال سبيله، وأبقى في سبيلي جزاكم الله خيراً؟**

الإجابة : الرفيق الذي لا يصلي لا تجوز مرافقته بل يجب الحذر منه وهجره مع نصيحته وحثه على تقوى الله وإرشاده إلى الخير وإعلامه بأن الصلاة عمود الإسلام وأنها أحد أركان الإسلام الخمسة، بل هي أعظم الأركان وأكبر الأركان بعد الشهادتين، فعليك أن تنصحه وأن تبلغه أمر الله وأن تجتهد في دعوته إلى الخير لعله يهتدي بأسبابك حتى يكون لك مثل أجره، فإن أبى وأصر فارفض رفقته ولا تزره ولا يزرك ولا تتخذه صاحباً بل اتخذه عدواً وفارقه واهجره حتى يتوب إلى الله سبحانه وتعالى. جزاكم الله خيراً.

* * *

العيش في بلاد لا تطبق الشريعة

يقول السائل: أنا أعيش في مجتمع لا يطبق الشرع الإسلامي في جميع النواحي ولا أستطيع جعلهم يطبقونه: فهل عليَّ شيء في ذلك؟

الإجابة : إذا أمكن من يعيش في بلاد لا تطبق الشريعة أن يهاجر إلى بلاد تطبق الشريعة وجب عليه الهجرة إذا استطاع ذلك، فإن لم يستطع فلا حرج عليه في الإقامة، ويتقي الله ما استطاع ويرشد إلى الخير وينصح العباد، ويدعو إلى تحكيم الشرعية حسب طاقته وهو مأجور في هذه الحالة.

وإذا كان هناك قدرة على الإلزام بالحق ومنع باطل لكونه رئيساً أو شيخ قبيلة أو أمير قرية فمثل هذا يستطيع فعل هذه الأشياء إذا علم الله منه الصدق أعانه فهو

(١) http://ibnbaz.org/mat/18144

يفعل ما يستطيع من تحكيم الشريعة حسب طاقته، كأن يكون شيخ قبيلة فيحكم الشرعية فيهم إذا كان يعلم وعنده معلومات في دينه.

إذا كان أمير قرية يستطيع أن يحكم الشريعة فيما يتنازعون فيه عنده وما أشبه ذلك.

المقصود أنه يجتهد ويتقي الله ما استطاع ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ويدعو الله لولاة الأمور بالهداية أن يهديهم ويوفقهم أو يأتي بغيرهم يحكموا الشريعة هكذا.

أما إن قدر أنه يهاجر وينتقل إلى بلاد تحكم الشريعة فهذا واجب عليه، إلا إذا كان عالماً ذا علم وبصيرة وهدى، ويرى أن إقامته في هذه البلد فيها دعوة إلى الله وفيها توجيه الناس إلى الخير وفيها إرشادهم إلى توحيد الله وإخراجهم من الظلمات إلى النور هذا له أجر في ذلك من أجل الدعوة، ومن أجل التوجيه إلى الخير، ومن أجل إنقاذ الناس مما هم فيه من الباطل، فهو على خير عظيم ولا تلزمه الهجرة في هذه الحال؛ لأنه ينشر دينه ، ولأن عنده علماً في دينه لا يخشى على نفسه من شبهاتهم فلا بأس..

* * *

في ذكر النبي وأهله(١)

*** نعلم أن هناك مجلساً لذكر الله، وعندنا أصبح مجلساً اسمه مجلس الصلاة على النبي، فنقول: اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى والديه وسلم!!! أو: اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم على حسب الإمام، فهل هذا المجلس جائز؟ أفيدونا.**

(١) http://ibnbaz.org/mat/18140

الإجابة : الصلاة على والدي النبي لا تجوز؛ لأن والدي النبي ماتا على الجاهلية فلا يصلى عليهما ولا يدعىَ لهما، وقد ثبت عنه -ﷺ- أنه قال: (استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي)، وقال لرجل سأله عن أبيه: (إن أبي وأباك في النار)، فلا يجوز الصلاة عليهما ولا الدعاء لهما، ولكن تصلي على النبي -ﷺ- تقول: "اللهم صل على محمد" "اللهم صل على نبينا محمد، على سيدنا محمد" هذا طيب، يقول النبي -ﷺ-: (من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشراً) في أي وقت، أما جعل مجالس خاصة للصلاة على النبي بصوت جماعي أو بلفظ جماعي هذا لا أصل له، لكن إذا سمعت من يصلي على النبي تصلي عليهِ عليه الصلاة السلام، إذا سمعت من يذكر النبي صليت عليهِ عليه الصلاة والسلام، وأنت في طريقك في بيتك في المسجد تصلي على النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشراً) والله يقول في كتابه العظيم في القرآن: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) سورة الأحزاب، اللهم صل عليه وسلم وعلى آله وأصحابه، وإذا قلت: "اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه، أو اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته" كله طيب، المقصود الصلاة عليه وعلى آله كله طيب. أما ذكر والديه فهذا لا، ولا يدخل والداه في آله؛ لأنهما لم يسلما، فهما غير داخلين في آله، آله يعني أهل بيته المسلمين وأتباعه هم آله، أتباعه وأهل بيته الطيبون كفاطمة وكزوجاته وكعلي وكالحسن والحسين وغيرهم ممن أسلم من بني هاشم هم من آله، أما أبواه فليسا من آله الذين يصلى عليهم ويدعى لهم؛ لأنهما ماتا على دين الجاهلية.

* * *

حول كلمة الولاء للوطن[1]

*** يبالغ البعض بالقول إن كلمة الولاء للوطن من التوثين في بلد إسلامي يدين أهله بالولاء لله، فما ترون سماحتكم في ذلك؟**

الإجابة : الواجب الولاء لله ولرسوله بمعنى أن يوالي العبد في الله ويعادي في الله وقد يكون وطنه ليس بإسلامي فكيف يوالي وطنه، أما إن كان وطنه إسلامياً فعليه أن يحب له الخير ويسعى إليه، لكن الولاء لله؛ لأن من كان من المسلمين مطيعاً لله فهو وليه، ومن كان مخالفاً لدين الله فهو عدوه وإن كان من أهل وطنه وإن كان أخاه أو عمه أو أباه أو نحو ذلك، فالموالاة في الله والمعاداة في الله. أما الوطن فيحب إن كان إسلامياً، وعلى الإنسان أن يشجع على الخير في وطنه وعلى بقائه إسلامياً، وأن يسعى إلى استقرار أوضاعه وأهله، وهذا هو الواجب على كل المسلمين، نسأل الله لنا ولكم ولجميع المسلمين التوفيق والهداية وصلاح النية والعمل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * *

جماعة الإخوان وجماعة التبليغ هل هما من أهل السنة؟

أخ يسأل عن بعض الجماعات الإسلامية، مثل جماعة التبليغ وجماعة الإخوان المسلمين، ويقول: هل هؤلاء من أهل السنة والجماعة؟

الإجابة : كلهم عندهم نقص، جماعة التبليغ وجماعة الإخوان المسلمين، يجب أن يحاسبوا أنفسهم وأن يستقيموا على الحق، وأن ينفذوا ما دل عليه الكتاب والسنة، في توحيد الله والإخلاص له، والإيمان به واتباع شريعته، وعلى الإخوان المسلمين وفقهم الله أن يحاسبوا أنفسهم وأن يحكموا شرع الله فيما بينهم، وأن يستقيموا على دين الله: قولاً وعملاً وعقيدة، وأن يحذروا مخالفة أمره أينما كانوا، وعلى جماعة التبليغ أيضاً

(١) http://ibnbaz.org/mat/2078

أن يحذروا ما كان يفعله أسلافهم من تعظيم القبور، والبناء عليها أو جعلها في المساجد أو دعائها والاستغاثة بها، كل هذا من المنكرات، والاستغاثة بها من الشرك الأكبر، فعليهم أن يحذروا ذلك، لهم نشاط في الدعوة إلى الله، وكثير منهم ينفع الله به الناس، لكن عند أسلافهم عقيدة غير صالحة، فيجب على الخلف أن يتطهروا منها، وأن يحذروا العقيدة الرديئة وأن يستقيموا على توحيد الله حتى ينفع الله بهم وبجهادهم.

(مجموع فتاوى ومقالات متنوعة المجلد الثامن والعشرون)

المرأة والرجل في العمل

خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله[1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن الدعوة إلى نزول المرأة للعمل في ميدان الرجال المؤدي إلى الاختلاط سواء كان ذلك على جهة التصريح أو التلويح بحجة أن ذلك من مقتضيات العصر ومتطلبات الحضارة أمر خطير جداً له تبعاته الخطيرة، وثمراته المرة، وعواقبه الوخيمة، رغم مصادمته للنصوص الشرعية التي تأمر المرأة بالقرار في بيتها والقيام بالأعمال التي تخصها في بيتها ونحوه.

ومن أراد أن يعرف عن كثب ما جناه الاختلاط من المفاسد التي لا تحصى فلينظر إلى تلك المجتمعات التي وقعت في هذا البلاء العظيم اختيارًا أو اضطرارًا بإنصاف من نفسه وتجرد للحق عما عداه يجد التذمر على المستوى الفردي والجماعي، والتحسر على انفلات المرأة من بيتها وتفكك الأسر، ويجد ذلك واضحاً على لسان الكثير من الكتاب بل في جميع وسائل الإعلام وما ذلك إلا لأن هذا هدم للمجتمع وتقويض لبنائه.

---

(١) http://ibnbaz.org/mat/8194

والأدلة الصحيحة الصريحة الدالة على تحريم الخلوة بالأجنبية وتحريم النظر إليها، وتحريم الوسائل الموصلة إلى الوقوع فيما حرم الله أدلة كثيرة قاضية بتحريم الاختلاط؛ لأنه يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه.

وإخراج المرأة من بيتها الذي هو مملكتها ومنطلقها الحيوي في هذه الحياة إخراج لها عما تقتضيه فطرتها وطبيعتها التي جبلها الله عليها.

فالدعوة إلى نزول المرأة في الميادين التي تخص الرجال أمر خطير على المجتمع الإسلامي، ومن أعظم آثاره الاختلاط الذي يعتبر من أعظم وسائل الزنا الذي يفتك بالمجتمع ويهدم قيمه وأخلاقه.

ومعلوم أن الله تبارك وتعالى جعل للمرأة تركيباً خاصاً يختلف تماماً عن تركيب الرجال هيأها به للقيام بالأعمال التي في داخل بيتها والأعمال التي بين بنات جنسه.

ومعنى هذا: أن اقتحام المرأة لميدان الرجال الخاص بهم يعتبر إخراجاً لها عن تركيبها وطبيعتها، وفي هذا جناية كبيرة على المرأة وقضاء على معنوياتها وتحطيم لشخصيتها، ويتعدى ذلك إلى أولاد الجيل من ذكور وإناث؛ لأنهم يفقدون التربية والحنان ذا العطف، فالذي يقوم بهذا الدور هو الأم قد فصلت منه وعزلت تماماً عن مملكتها التي لا يمكن أن تجد الراحة والاستقرار والطمأنينة إلا فيها وواقع المجتمعات التي تورطت في هذا أصدق شاهد على ما نقول.

والإسلام جعل لكل من الزوجين واجبات خاصة على كل واحد منهما أن يقوم بدوره ليكتمل بذلك بناء المجتمع في داخل البيت وفي خارجه.

فالرجل يقوم بالنفقة والاكتساب، والمرأة تقوم بتربية الأولاد والعطف والحنان والرضاعة والحضانة والأعمال التي تناسبها لتعليم الصغار وإدارة مدارسهن والتطبيب والتمريض لهن ونحو ذلك من الأعمال المختصة بالنساء؛ فترك واجبات البيت من قبل المرأة يعتبر ضياعاً للبيت بمن فيه، ويترتب عليه تفكك الأسرة حسياً ومعنوياً وعند ذلك يصبح المجتمع شكلاً وصورة لا حقيقة ومعنى.

قال الله جل وعلا: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ﴾[النساء : ٣٤]، فسنة الله في خلقه أن القوامة للرجل بفضله عليها كما دلت الآية الكريمة على ذلك، وأمر الله سبحانه للمرأة بقرارها في بيتها ونهيها عن التبرج معناه: النهي عن الاختلاط وهو: اجتماع الرجال بالنساء الأجنبيات في مكان واحد بحكم العمل أو البيع أو الشراء أو النزهة أو السفر أو نحو ذلك؛ لأن اقتحام المرأة في هذا الميدان يؤدي بها إلى الوقوع في المنهي عنه، وفي ذلك مخالفة لأمر الله وتضييع لحقوقه المطلوب شرعاً من المسلمة أن تقوم به.

والكتاب والسنة دلا على تحريم الاختلاط وتحريم جميع الوسائل المؤدية إليه قال الله جل وعلا: ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأحزاب : ٣٣ ، ٣٤]، فأمر الله أمهات المؤمنين -وجميع المسلمات والمؤمنات داخلات في ذلك- بالقرار في البيوت لما في ذلك من صيانتهن وإبعادهن عن وسائل الفساد؛ لأن الخروج لغير حاجة قد يفضي إلى التبرج كما يفضي إلى شرور أخرى، ثم أمرهن بالأعمال الصالحة التي تنهاهن عن الفحشاء والمنكر وذلك بإقامتهن الصلاة وإيتائهن الزكاة وطاعتهن لله ولرسوله ﷺ، ثم وجههن إلى ما يعود عليهن بالنفع في الدنيا والآخرة وذلك بأن يكن على اتصال دائم بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية المطهرة اللذين فيهما ما يجلو صدأ القلوب ويطهرها من الأرجاس والأنجاس ويرشد إلى الحق والصواب، وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الأحزاب : ٥٩]، فأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام

- وهو المبلغ عن ربه - أن يقول لأزواجه وبناته وعامة نساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن وذلك يتضمن ستر باقي أجسامهن بالجلابيب وذلك إذا أردن الخروج لحاجة مثلاً لئلا تحصل لهن الأذية من مرضى القلوب. فإذا كان الأمر بهذه المثابة فما بالك بنزولها إلى ميدان الرجال واختلاطها معهم، وإبداء حاجتها إليهم بحكم الوظيفة، والتنازل عن كثير من أنوثتها لتنزل في مستواهم وذهاب كثير من حيائها ليحصل بذلك الانسجام بين الجنسين المختلفين معنى وصورة.

قال الله جل وعلا: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ ﴾ [النور: ٣٠، ٣١]، الآيتان.

يأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يبلغ المؤمنين والمؤمنات أن يلتزموا بغض النظر وحفظ الفرج عن الزنا ثم أوضح سبحانه أن هذا الأمر أزكى لهم. ومعلوم أن حفظ الفرج من الفاحشة إنما يكون باجتناب وسائلها ولا شك أن إطلاق البصر واختلاط النساء بالرجال والرجال بالنساء في ميادين العمل وغيرها من أعظم وسائل وقوع الفاحشة، وهذان الأمران المطلوبان من المؤمن يستحيل تحققهما منه وهو يعمل مع المرأة الأجنبية كزميلة أو مشاركة في العمل له؛ فاقتحامها هذا الميدان معه واقتحامه الميدان معها لا شك أنه من الأمور التي يستحيل معها غض البصر وإحصان الفرج والحصول على زكاة النفس وطهارتها.

وهكذا أمر الله المؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة إلا ما ظهر منها، وأمرهن الله بإسدال الخمار على الجيوب المتضمن ستر رأسها ووجهها؛ لأن الجيب محل الرأس والوجه، فكيف يحصل غض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة عند نزول المرأة ميدان الرجال واختلاطها معهم في الأعمال؟ والاختلاط

كفيل بالوقوع في هذه المحاذير، كيف يحصل للمرأة المسلمة أن تغض بصرها وهي تسير مع الرجل الأجنبي جنباً إلى جنب بحجة أنها تشاركه في الأعمال أو تساويه في جميع ما تقوم به؟

والإسلام حرم جميع الوسائل والذرائع الموصلة إلى الأمور المحرمة، وكذلك حرم الإسلام على النساء خضوعهن بالقول للرجال لكونه يفضي إلى الطمع فيهن كما في قوله عز وجل: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ ﴾ [الأحزاب : ٣٢]، يعني مرض الشهوة. فكيف يمكن التحفظ من ذلك مع الاختلاط؟

ومن البدهي أنها إذا نزلت إلى ميدان الرجال لا بد أن تكلمهم وأن يكلموها، ولا بد أن ترقق لهم الكلام وأن يرققوا لها الكلام، والشيطان من وراء ذلك يزين ويحسن ويدعو إلى الفاحشة حتى يقعوا فريسة له، والله حكيم عليم حيث أمر المرأة بالحجاب، وما ذاك إلا لأن الناس فيهم البر والفاجر والطاهر والعاهر فالحجاب يمنع- بإذن الله- من الفتنة ويحجز دواعيها، وتحصل به طهارة قلوب الرجال والنساء، والبعد عن مظان التهمة قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] الآية.

وخير حجاب المرأة بعد حجاب وجهها باللباس هو بيتها. وحرم عليها الإسلام مخالطة الرجال الأجانب؛ لئلا تعرض نفسها للفتنة بطريق مباشر أو غير مباشر، وأمرها بالقرار في البيت وعدم الخروج منه إلا لحاجة مباحة مع لزوم الأدب الشرعي، وقد سمى الله مكث المرأة في بيتها قراراً، وهذا المعنى من أسمى المعاني الرفيعة ففيه استقرار لنفسها وراحة لقلبها وانشراح لصدرها. فخروجها عن هذا القرار يفضي إلى اضطراب نفسها وقلق قلبها وضيق صدرها وتعريضها لما لا تحمد

عقباه، ونهى الإسلام عن الخلوة بالمرأة الأجنبية على الإطلاق إلا مع ذي محرم وعن السفر إلا مع ذي محرم، سداً لذريعة الفساد وإغلاقاً لباب الإثم وحسما لأسباب الشر، وحماية للنوعين من مكايد الشيطان، ولهذا صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) وصح عنه ﷺ أنه قال: (اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء).

وقد يتعلق بعض دعاة الاختلاط ببعض ظواهر النصوص الشرعية التي لا يدرك مغزاها إلا من نور الله قلبه وتفقه في الدين وضم الأدلة الشرعية بعضها إلى بعض وكانت في تصوره وحدة لا يتجزأ بعضها عن بعض، ومن ذلك خروج بعض النساء مع الرسول ﷺ في بعض الغزوات، والجواب عن ذلك أن خروجهن كان مع محارمهن لمصالح كثيرة لا يترتب عليه ما يخشى عليهن من الفساد، لإيمانهن وتقواهن وإشراف محارمهن عليهن وعنايتهن بالحجاب بعد نزول آيته بخلاف حال الكثير من نساء العصر، ومعلوم أن خروج المرأة من بيتها إلى العمل يختلف تماماً عن الحالة التي خرجن بها مع رسول الله ﷺ في الغزو فقياس هذه على تلك يعتبر قياساً مع الفارق. وأيضاً فما الذي فهمه السلف الصالح حول هذا، وهم لا شك أدرى بمعاني النصوص من غيرهم، وأقرب إلى التطبيق العملي لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فما هو الذي نقل عنهم على مدار الزمن؟ هل وسعوا الدائرة كما ينادي دعاة الاختلاط فنقلوا ما ورد في ذلك إلى أن تعمل المرأة في كل ميدان من ميادين الحياة مع الرجال تزاحمهم ويزاحمونها وتختلط معهم ويختلطون معها؟ أم أنهم فهموا أن تلك قضايا معينة لا تتعداها إلى غيرها؟

وإذا استعرضنا الفتوحات الإسلامية والغزوات على مدار التاريخ لم نجد هذه الظاهرة، أما ما يدعى في هذا العصر من إدخالها كجندي يحمل السلاح ويقاتل، كالرجل فهو لا يتعدى أن يكون وسيلة لإفساد وتذويب أخلاق الجيوش باسم الترفيه عن الجنود؛ لأن طبيعة الرجال إذا التقت مع طبيعة المرأة كان منهما عند

الخلوة ما يكون بين كل رجل وامرأة من الميل والأنس والاستراحة إلى الحديث والكلام، وبعض الشيء يجر إلى بعض، وإغلاق الفتنة أحكم وأحزم وأبعد من الندامة في المستقبل، فالإسلام حريص جداً على جلب المصالح ودرء المفاسد وغلق الأبواب المؤدية إليها.

ولاختلاط المرأة مع الرجل في ميدان العمل تأثير كبير في انحطاط الأمة وفساد مجتمعها كما سبق؛ لأن المعروف تاريخياً عن الحضارات القديمة: الرومانية واليونانية ونحوهما أن من أعظم أسباب الانحطاط والانهيار الواقع بها هو خروج المرأة من ميدانها الخاص إلى ميدان الرجال ومزاحمتهم مما أدى إلى فساد أخلاق الرجال، وتركهم لما يدفع بأمتهم إلى الرقي المادي والمعنوي.. وانشغال المرأة خارج البيت يؤدي إلى بطالة الرجل وخسران الأمة، وعدم انسجام الأسرة وانهيار صرحها، وفساد أخلاق الأولاد، ويؤدي إلى الوقوع في مخالفة ما أخبر الله به في كتابه من قوامة الرجل على المرأة. وقد حرص الإسلام أن يبعد المرأة عن جميع ما يخالف طبيعتها فمنعها من تولي الولاية العامة كرئاسة الدولة والقضاء وجميع ما فيه مسؤوليات عامة لقوله ﷺ: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) رواه البخاري في صحيحه. ففتح الباب لها بأن تنزل إلى ميدان الرجال يعتبر مخالفاً لما يريده الإسلام من سعادتها واستقراره، فالإسلام يمنع تجنيد المرأة في غير ميدانها الأصيل، وقد ثبت من التجارب المختلفة -وخصوصاً في المجتمع المختلط- أن الرجل والمرأة لا يتساويان فطرياً ولا طبيعياً، فضلاً عما ورد في الكتاب والسنة واضحاً جلياً في اختلاف الطبيعتين والواجبين. والذين ينادون بمساواة الجنس اللطيف - المنشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين - بالرجال، يجهلون أو يتجاهلون الفوارق الأساسية بينهم.

لقد ذكرنا من الأدلة الشرعية والواقع الملموس ما يدل على تحريم الاختلاط واشتراك المرأة في أعمال الرجال ما فيه كفاية ومقنع لطالب الحق، ولكن نظراً إلى أن بعض الناس قد يستفيدون من كلمات رجال الغرب والشرق أكثر مما يستفيدون من

كلام الله وكلام رسوله ﷺ وكلام علماء المسلمين، رأينا أن ننقل لهم ما يتضمن اعتراف رجال الغرب والشرق بمضار الاختلاط ومفاسده لعلهم يقتنعون بذلك، ويعلمون أن ما جاء به دينهم العظيم من منع الاختلاط هو عين الكرامة والصيانة للنساء وحمايتهن من وسائل الإضرار بهن والانتهاك لأعراضهن.

قالت الكاتبة الإنجليزية اللادي كوك: (إن الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا وههنا البلاء العظيم على المرأة... إلى أن قالت: علموهن الابتعاد عن الرجال أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد).

وقال شوبنهور الألماني: (قل هو الخلل العظيم في ترتيب أحوالنا الذي دعا المرأة إلى مشاركة الرجل في علو مجده وباذخ رفعته، وسهل عليها التعالي في مطامعها الدنيئة حتى أفسدت المدنية الحديثة بقوى سلطانها ودنيء آرائها).

وقال اللورد بيرون: (لو تفكرت أيها المطالع فيما كانت عليه المرأة في عهد قدماء اليونان لوجدتها في حالة مصطنعة مخالفة للطبيعة ولرأيت معي وجوب إشغال المرأة بالأعمال المنزلية مع تحسن غذائها وملبسها فيه وضرورة حجبها عن الاختلاط بالغير) اهـ.

وقال سامويل سمايلس الإنجليزي: (إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد فإن نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية، لأنه هاجم هيكل المنزل، وقوض أركان الأسرة، ومزق الروابط الاجتماعية، فإنه يسلب الزوجة من زوجها والأولاد من أقاربهم فصار بنوع خاص لا نتيجة له إلا تسفيل أخلاق المرأة، إذ وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية مثل ترتيب مسكنها وتربية أولادها والاقتصاد في وسائل معيشتها مع القيام بالاحتياجات البيتية، ولكن المعامل تسلخها من كل هذه الواجبات بحيث أصبحت المنازل خالية وأضحت الأولاد تشب على عدم التربية، وتلقى في زوايا الإهمال

وأطفئت المحبة الزوجية وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة والقرينة المحبة للرجل، وصارت زميلته في العمل والمشاق، وباتت معرضة للتأثيرات التي تمحو غالباً التواضع الفكري والأخلاقي الذي عليه مدار حفظ الفضيلة).

وقالت الدكتورة إيدايلين: (إن سبب الأزمات العائلية في أمريكا وسر كثرة الجرائم في المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق ثم قالت: إن التجارب أثبتت أن عودة المرأة إلى الحريم هو الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الذي يسير فيه).

وقال أحد أعضاء الكونجرس الأمريكي: (إن المرأة تستطيع أن تخدم الدولة حقاً إذا بقيت في البيت الذي هو كيان الأسرة).

وقال عضو آخر: (إن الله عندما منح المرأة ميزة إنجاب الأولاد لم يطلب منها أن تتركهم لتعمل في الخارج بل جعل مهمتها البقاء في المنزل لرعاية هؤلاء الأطفال).

وقال شوبنهور الألماني أيضاً: (اتركوا للمرأة حريتها المطلقة كاملة بدون رقيب ثم قابلوني بعد عام لتروا النتيجة ولا تنسوا أنكم سترثون معي للفضيلة والعفة والأدب وإذا مت فقولوا: أخطأ أو أصاب كبد الحقيقة)، ذكر هذه النقول كلها الدكتور مصطفى حسني السباعي رحمه الله في كتابه (المرأة بين الفقه والقانون).

ولو أردنا أن نستقصي ما قاله منصفو الغرب في مضار الاختلاط التي هي نتيجة نزول المرأة إلى ميدان أعمال الرجال لطال المقال ولكن الإشارة المفيدة تكفي عن طول العبارة.

والخلاصة: أن استقرار المرأة في بيتها والقيام بما يجب عليها من تدبيره بعد القيام بأمور دينها هو الأمر الذي يناسب طبيعتها وفطرتها وكيانها، وفيه صلاحها وصلاح المجتمع وصلاح الناشئة فإن كان عندها فضل ففي الإمكان تشغيلها في الميادين النسائية كالتعليم للنساء والتطبيب والتمريض لهن ذلك مما يكون من الأعمال

النسائية في ميادين النساء كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وفيها شغل لهن شاغل وتعاون مع الرجال في أعمال المجتمع وأسباب رقيه، كل في جهة اختصاصه، ولا ننسى هنا دور أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ومن سار في سبيلهن، وما قمن به من تعليم للأمة وتوجيه وإرشاد، وتبليغ عن الله سبحانه وعن رسوله ﷺ فجزاهن الله عن ذلك خيراً، وأَكْثَرَ في المسلمين اليوم أمثالهن مع الحجاب والصيانة والبعد عن مخالطة الرجال في ميدان أعمالهم.

والله المسؤول أن يبصر الجميع بواجبهم، وأن يعينهم على أدائه على الوجه الذي يرضيه، وأن يقي الجميع وسائل الفتنة وعوامل الفساد ومكايد الشيطان، إنه جواد كريم وصلى الله على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

ما حكم اقتناء الصور للذكرى؟

الجواب: اقتناء الصور للذكرى محرم لأن النبي ﷺ أخبر أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة، وهذا يدل على تحريم اقتناء الصور في البيوت. والله المستعان.

(المجموع الثمين: ابن عثيمين،ج١ ص ٢٠٠) نقلاً عن (فتاوى علماء البلد الحرام، ص ١٢٢٠).

فتوى الشيخ عبد الله بن جبرين في الجهاد ضد الشيعة ووجوب البصق في وجوههم، والله المستعان[1]

يكثر الابتلاء بالشيعة في كثير من الدوائر من مدارس وجامعات ودوائر حكومية، في هذه الحال نرى إذا كانت الأغلبية لأهل السنة أن يظهروا إهانتهم وإذلالهم وتحقيرهم وكذلك أن يظهروا شعائر أهل السنة فيذكرون دائماً فضائل

(١)tp://www.maktoobblog.com/redirectLink.php?link=http%3A%2F%2Fummanas.netfirms.com%2Fig.htm

الصحابة ويذكرون الترضي عنهم ومدائحهم وتشتمل مجالسهم على ذكر فضل القرآن وعلى ذكر تكفير من حرفه أو ما أشبه ذلك، لعلهم أن ينقمعوا بذلك وأن يذلوا ويبصق في وجوههم ويُهانوا ؛ لتضيق بذلك صدورهم ويبتعدوا، أما معاملتهم فيعاملهم الإنسان بالشدة فيظهر في وجوههم الكراهية ويظهر البغض والتحقير والمقت لهم ولا يبدأهم بالسلام ولا يقوم لهم ولا يصافحهم، لكن يمكن إذا ابتدؤوا بالسلام أن يرد عليهم بقوله وعليكم أو ما أشبه ذلك.

وعلى هذا إن كان لأهل السنة دولة وقوة وأظهر الشيعة بدعهم، وشركهم، واعتقاداتهم، فإن على أهل السنة أن يجاهدوهم بالقتال، بعد دعوتهم ليكفوا عن إظهار شركهم، وبدعهم، ويلزموا شعائر الإسلام، وإذا لم تكن لأهل السنة قدرة على قتال المشركين، والمبتدعين، وجب عليهم القيام بما يقدرون عليه من الدعوة، والبيان، لقوله تعالى: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها).

* * *

التقريب بين الرافضة وأهل السنة غير ممكن(١)

التقريب بين الرافضة وبين أهل السنة غير ممكن؛ لأن العقيدة مختلفة، فعقيدة أهل السنة والجماعة توحيد الله وإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى، وأنه لا يدعى معه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم الغيب، ومن عقيدة أهل السنة محبة الصحابة رضي الله عنهم جميعاً والترضي عنهم، والإيمان بأنهم أفضل خلق الله بعد الأنبياء، وأن أفضلهم أبو بكر الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عن الجميع، والرافضة خلاف ذلك فلا يمكن الجمع بينهما، كما أنه لا يمكن الجمع بين اليهود والنصارى والوثنيين وأهل السنة، فكذلك لا يمكن التقريب بين الرافضة وبين أهل السنة لاختلاف العقيدة التي أوضحناها.

---

(١) http://ibnbaz.org/mat/1744

العمل في الجيش

ما حكم تحية العلم في الجيش وتعظيم الضابط وحلق اللحية فيه ؟

الجواب

لا تجوز تحية العلم، بل هي بدعة محدثة، وقد قال النبي ﷺ: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ"، وأما تعظيم الضباط باحترامهم وإنزالهم منازلهم فجائز، أما الغلو في ذلك فممنوع سواء كانوا ضباطاً أم غير ضباط. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

(فتاوى علماء البلد الحرام ، ص ٨٠)

أفيدوني عن حكم من يعمل بالجيش، وهذا مصدر رزقه، وتفرض عليه نظم الجيش وقوانينه أن يحلق لحيته، ويعظم بعضنا بعضاً، كما تفعله الأعاجم، وأن نلقي التحية بكيفية ليست بالتي أمرنا بها الله ورسوله، وأن نعظم العلم ، ونحكم ونحتكم فيما بيننا بشريعة غير شريعة الله (قوانين عسكرية)، وإذا حاربت دفاعا عن الوطن، ولكن ليس تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وشاء الله أن أقتل، فما حكمي من القرآن والسنة؟

وهل يمكن أن أحارب بنية مغايرة لنية الجيش الذي أحارب ضمن صفوفه؟ وإذا عملت ما قد سلف دفعاً لأذى يمكن أن يلحق بي فهل أأثم بهذا؟ وهل يمكن لمسلم أن يعمل في الجيش بنية تعلم فنون القتال التي لا يمكن أن يتعلمها خارجه في ظروفنا الحالية؟

وأفيدوني عن طاعة الوالدين في هذا الأمر، إذا اختلفت وجهات النظر، في حالة إذا كان الوالدان لا يحتكمان لقرآن ولا لسنة، ولكن لتقاليد مجتمع وما اجتمع عليه

الناس، ويعتبران أن الدين ليس سوى صلاة وصيام، وغير هذا فهو تطرف. وفقكم الله إلى ما فيه رضاه، وسدد خطاكم وحفظكم.

الجواب : الحمد لله

أولاً : يحرم حلق اللحية، ويجب إعفاؤها.

ثانياً : لا تجوز تحية العلم .

ثالثاً : يجب الحكم بشريعة الإسلام، والتحاكم إليها، ولا يجوز للمسلم أن يحيي الزعماء أو الرؤساء تحية الأعاجم، لما ورد من النهي عن التشبه بهم، ولما في ذلك من الغلو في تعظيمهم.

رابعاً : من قاتل لإعلاء كلمة الله، والذود عن المسلمين، والحفاظ على بلاد المسلمين من العدو، فهو في سبيل الله، وإن قتل فهو شهيد؛ لأن العبرة بالمقاصد والغايات. ويمكن أن تنوي نية مغايرة لنية الجيش، كأن تنوي إعلاء كلمة الله بجهادك (ما دام الطرف الذي تقاتله يجوز قتاله شرعاً)، وإن كان غيرك ينوي خلاف ذلك، كالجهاد للوطن.

خامساً : طاعة الوالدين واجبة في غير معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

(فتاوى علماء البلد الحرام، ص ٨٠)

* * *

العمل في الفرق الموسيقية

أحد أقاربي من الذين أنعم الله عليهم بعمل في إحدى القطاعات العسكرية ولكن للأسف كان تخصصه في الفرقة الموسيقية، والسؤال هو هل ما يتقاضاه من راتب حلال أم حـــرام؟

الفتوى:

بسم الله الرحمن الرحيم وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد :

سئلت اللجنة الدائمة هذا السؤال :

الرجل يحترف الموسيقى ويقتات منها كأجواق الإذاعات مثلاً، ما حكم الله؟

فأجابت اللجنة: لا يجوز للمسلم أن يحترف الموسيقى، والكسب الذي يحصل عليه محرم، وينبغي له أن يحترف حرفة يكون كسبها طيباً؛ لكونها من آلات اللهو المحرمة التي دل الكتاب والسنة على تحريمها، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾ [لقمان : ٦] وقد فسر أهل العلم لهو الحديث باتخاذ آلات اللهو، ولقوله صلي الله عليه وسلم: صحيح البخاري العلم (١١٦)، صحيح مسلم فضائل الصحابة (٢٥٣٧)، سنن الترمذي الفتن (٢٢٥١)، سنن أبو داود الملاحم (٤٣٤٨)، مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٨٨). ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف الحديث رواه البخاري، والمعازف... تشمل: الموسيقى وغيرها من آلات اللهو.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (الجزء رقم : ٢٦، الصفحة رقم: ٢٤٤) رقم

الفتوى (٢٧٦٨).

* * *

حكم قيادة المرأة للسيارة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد :

فقد كثر حديث الناس في صحيفة الجزيرة عن قيادة المرأة للسيارة، ومعلوم أنها تؤدي إلى مفاسد لا تخفى على الداعين إليها، منها : الخلوة المحرمة بالمرأة، ومنها: السفور، ومنها: الاختلاط بالرجال بدون حذر، ومنها: ارتكاب المحظور الذي من أجله حرمت هذه الأمور، والشرع المطهر منع الوسائل المؤدية إلى المحرم واعتبرها محرمة، وقد أمر الله جل وعلا نساء النبي ونساء المؤمنين بالاستقرار في البيوت، والحجاب، وتجنب إظهار الزينة لغير محارمهن لما يؤدي إليه ذلك كله من الإباحية التي تقضي على المجتمع قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [الأحزاب : ٣٣].

وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [الأحزاب : ٥٩] وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

وقال النبي ﷺ : " ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما " فالشرع المطهر منع جميع الأسباب المؤدية إلى الرذيلة بما في ذلك رمي المحصنات الغافلات

بالفاحشة وجعل عقوبته من أشد العقوبات صيانة للمجتمع من نشر أسباب الرذيلة.

وقيادة المرأة من الأسباب المؤدية إلى ذلك، وهذا لا يخفى ولكن الجهل بالأحكام الشرعية وبالعواقب السيئة التي يفضي إليها التساهل بالوسائل المفضية إلى المنكرات، مع ما يبتلي به الكثير من مرضى القلوب من محبة الإباحية والتمتع بالنظر إلى الأجنبيات، كل هذا يسبب الخوض في هذا الأمر وأشباهه بغير علم وبغير مبالاة بما وراء ذلك من الأخطار وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

وقال ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء».

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاء الله بهذا الخير فهل بعده من شر؟ قل: "نعم" قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: "نعم ، وفيه دخن" قلت: وما دخنه؟ قال: "قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر" قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: "نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها" قلت يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: "هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا". قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم". قلت: فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة؟ قال: "فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك متفق عليه.

وإنني أدعو كل مسلم أن يتق الله في قوله وفي عمله، وأن يحذر الفتن والداعين إليها، وأن يبتعد عن كل ما يسخط الله جل وعلا أو يفضي إلى ذلك، وأن يحذر كل الحذر أن يكون من هؤلاء الدعاة الذين أخبر عنهم النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف. وقانا الله شر الفتن وأهلها، وحفظ لهذه الأمة دينها وكفاها شر دعاة السوء، ووفق كتاب صحفنا وسائر المسلمين لما فيه رضاه وصلاح أمر المسلمين ونجاتهم في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

مجموع فتاوى ابن باز ج ٣ عن

(فتاوى علماء البلد الحرام ، ص ١٠٩٨)

رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

التاريـخ: ٧/ ٩/ ١٤٢١ هـ

الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

بسم الله الرحمن الرجيم

بيان من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بشأن تحريم المسلسلات المخالفة للشرع المطهر ومنها مسلسل (طاش ما طاش)

الحمد لله وحده، والصلاة على من لا نبي بعده وبعد :

فنظراً إلى كثرة التشكيات والاستفتاءات على مدى ست سنوات متواليات من عام ١٤١٦هـ إلى عام ١٤٢١هـ بشأن مسلسلات (**طاش ما طاش**) لما فيها من مخالفات للشرع المطهر والآداب والقيم ويمكن إجمال ما لاحظه الناصحون والمستفتون على المسلسلات المذكورة على النحو الآتي :

١ - السخرية بأهل الخير والصلاح وإلصاق المعايب بهم.

٢- خروج المرأة مع الرجال الأجانب وما يتبع ذلك من اختلاط وتبرج وسفور وخضوع بالقول وغير ذلك .

٣ - العمل على توهين الأخذ بأحكام الشرع المطهر والترغيب فيما نهى عنه كترك الحجاب وإبداء الزينة للأجانب وقيادة المرأة للسيارة والسفر إلى بلاد الكفر وإلى البلاد التي تشتهر بالرذيلة وتحارب الفضيلة .

٤- لمزة المتصفين بالغيرة على محارمهم ونسائهم .

٥ -إثارة الشهوات في مشاهد بشعة تقتل الحياء وتقضي على العفة.

٦ - القيام بأفعال رعونة وسخرية وخرم مروءة كالتزيي باللحى المصطنعة ونحوها.

٧ - تناول عادات بعض البلدان والمناطق ومحاكاة لهجاتهم على وجه التحقير لأهلها وإظهار معايبهم .

وإنه بعد دراسة اللجنة لتلك الاستفتاءات واطلاعها على رصد موثوق لهذا المسلسل فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء تبين لعموم المسلمين ما يلي :

أولاً : يحرم إنتاج هذه المسلسلات وبيعها وترويجها وعرضها على المسلمين لأمور منها :

١ - اشتماله على الاستهزاء ببعض أمور الدين والسخرية ممن يعمل بها. وهذا أمر في غاية الخطورة على من ينتجها ويخشى عليهم سوء عاقبتها الوخيمة .

٢ - اشتماله على ما يعارض الشرع المطهر، وحمل الناس والخروج على أحكام دينهم وشريعة ربهم وذلك من خلال: ترسيخ العلاقات غير المشروعة بين النساء والرجال الأجانب، وعيب الغيرة على المحارم، والتهاون بالحجاب وغير ذلك.

٣- اشتماله على الدعاية للبلاد التي تظهر فيها شعائر الكفر، والبلاد التي اشتهرت بالفساد الأخلاقي .

٤ -اشتماله على ما يثير النعرات والعصبيات الجاهلية عن طريق السخرية بالعادات واللهجات وهذا ينافي مقاصد الشرع المطهر من الحث على المحبة والألفة والإخاء والصفاء بين المسلمين والبعد عن أسباب الشحناء والبغضاء قال الله تعالى (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون. يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون).

٥ - إفضاؤه إلى نشر الرذيلة، وطمس معالم الفضيلة، وإشاعة الفساد، ومحبة المنكرات والاستئناس بها .

ثانيـاً : تحرم مشاهدة هذه المسلسلات والجلوس عندها لما فيها من المنكرات وتعدي حدود الله، قال الله تعالى في وصف عباده المتقين: (والذين لا يشهدون الزور) أي : لا يحظرون القول والفعل المحرم وأعياد الكفار، وقال سبحانه: (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) قال أهل العلم : المراد بالخوض في آيات الله: التكلم بما يخالف الحق: من تحسين المقالة الباطلة، والدعوة إليها، ومدح أهلها، والإعراض عن الحق، والقدح فيه وفي أهله. وفي الآية دليل على أن مجالسة أهل المنكر لا تحل. وقال الله جل وعلا : (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم) قال أهل العلم : ويدخل في عموم الآية حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه .

ثالثـاً : تحرم الدعاية لهذه المسلسلات وتشجيعها والإعلان عنها بأية وسيلة لأن ذلك من التعاون على الإثم والعدوان وقد نهى الله عن ذلك فقال جل وعلا : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) والواجب هو الإنكار على هؤلاء وبغضهم في الله حتى يتوبوا إلى الله تعالى ويقلعوا عن معصيته .

رابعاً : إن تخصيص الكلام في هذا المسلسل (طاش ما طاش) لا يعني سلامة غيره من المسلسلات بل الحكم يتعدى إلى كل مسلسل يشتمل على مخالفة للشرع المطهر، وانتهاك لحرمات الله، وإفساد للأخلاق، وقتل للغيرة الدينية، وتحطيم للمروءة الإنسانية، ودعوة إلى الانحراف بشتى أنواعه .

خامساً :يجب على أهل الإسلام أن تكون حياتهم جداً لا هزلاً وأن يشتغلوا بما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وأن يجتنبوا كل ما فيه إضعاف لدينهم، وتوهين لقوتهم، وإهدار لأوقاتهم، وحط لأقدارهم، وتمكين لعدوهم منهم.. وإن الحياة لثمينة فليربأ أهل الإسلام عن عمارتها بالباطل وسفاسف الأمور، وليقوموا بحق الله عليهم من التمسك بهذا الدين، وحماية حرماته، وتربية شبابه على الحق والفضيلة وإبعادهم عن العبث والفساد والرذيلة. والواجب على القائمين بإعداد هذه المسلسلات التوبة إلى الله . ونسأل الله جل وعلا أن يصلح أحوال الجميع وأن يهدينا جميعاً الى سواء السبيل إنه سميع قريب مجيب وبالله التوفيق ..

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس

عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ

عضو

عبد الله بن عبد الرحمن الغديان

عضو

صالح بن فوزان الفوزان

عضو

بكر بن عبد الله أبو زيد

(٥)

بعض النماذج للفتاوى المتداولة على الإنترنت

حكم الإضراب عن العمل [١]

ما حكم الإضراب عن العمل لتحقيق بعض المطالب للعامل أو تحسين بعض الأوضاع ؟

الجواب :

الحمد لله .. إن الإضراب إخلال في عقد العمل بين العامل من جهة وصاحب العمل من جهة أخرى ، ولقد دعى الله عز وجل في كتابه الكريم إلى الالتزام والوفاء بالعهود والمواثيق التي يقطعها الإنسان على نفسه تجاه الغير، ولا بد أن يقوم العامل بجميع الأعمال الموكلة إليه على الوجه الذي يرضي الله تعالى مصداقاً لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) المائدة :١.

وقد يصاحب الإضراب بعض المفاسد وأعمال الشغب ومظاهر العنف، وهذا ما لا يرتضيه الشارع بناء على القاعدة الفقهية: درء المفاسد أولى من جلب المنافع، وهناك العديد من الوسائل التي يمكن اللجوء إليها لتحقيق المطالب وقد تكون أكثر فاعلية وجدوى من الإضراب، والإنسان العاقل لا يترك باباً وفق أسس سليمة شرعية إلا وطرقه.

أما الانقطاع عن العمل بسبب عدم دفع الأجور والرواتب فهذا جائز، لأن رب العمل أخل بالعقد، فللعامل أن ينقطع عن العمل حتى يدفع له أجره، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) رواه ابن ماجه والله أعلم.

* * *

---

(١) http://www.islam-qa.com/ar/ref/5230

العمل بمصنع لإنتاج التلفاز(١)

السؤال: جاء لأخ لنا عمل بمصنع ينتج التلفاز وطبيعة العمل أن يقوم بدهان التلفاز فهل يجوز له العمل، مع رجاء ذكر العلة؟

الجواب: لا يجوز له أن يعمل لأن الاستخدام الأعم في التلفاز هو الاستعمال المحرم وقد قال تعالى: (وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (المائدة:٢)، حتى وإن كان يقوم بالدهان فقط لأنه خطوة ضرورية من أجل الانتفاع بالتلفاز.

* * *

العمل كحارس شخصي(٢)

السؤال: عندي سؤال أرجو من سيادتكم الإجابة عليه بارك الله فيكم، والسؤال بخصوص صديق أمريكي أسلم قبل سنتين وله شركة مجال عملها حماية الشخصيات هنا في أمريكا والآن يريد أن يعرف حكم الشرع في شرعية هذا العمل، وهو حماية الشخصيات، يكون هنا بحماية شخصيات سواء كانت مسلمة أو غير مسلمة والذي يعمل في هذا المجال ربما يقدم حياته في سبيل حماية الشخصية المناط بحمايتها؟

الجواب:

فأما حماية المسلمين فلا بأس بهذا العمل؛ لأن المسلم معصوم الدم والمال حيث كان، ومعاونته على حفظ نفسه وماله معاونة على حق، ويجوز أخذ الأجرة على ذلك.

أما الكفار فأنصحه ألا يعمل في ذلك؛ فمن الكفار من هو معصوم، ومنهم من ليس بمعصوم الدم والمال، وهم الحربيون، ولا يجوز للمسلم أن يعرض حياته للخطر من أجل هؤلاء.

* * *

(١) http://www.salafvoice.com/article.php?a=1979&back=L2FydGljbGVzLnBocD9tb2Q9c3ViY2F0ZWdvcnkmYz0yMTY=

(٢) http://www.salafvoice.com/article.php?a=3688

حكم إصلاح الثلاجات في الدول الأجنبية[1]

السؤال:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أنا مقيم بفرنسا وأعمل في تصليح الثلاجات، وفي بعض الأحيان تستعمل في تبريد اللحم غير المذبوح، وحتى لحم الخنزير. أفتونا في هذه المسألة. جزاكم الله خيرًا.

الجواب: فما أمكن استعماله في حلال وحرام، وليس الحرام هو المقصود الأغلب فلا بأس من بيعه وإجارته وإصلاحه، وإثم استعماله في الحرام على من يستعمله فيه، والثلاجات تستعمل في تبريد أشياء كثيرة غير اللحم؛ فيجوز لك العمل في إصلاح الثلاجات.

* * *

العمل في مجال صيانة الكمبيوتر[2]

السؤال:

١- ما حكم العمل في صيانة الحاسب الآلي وخصوصاً أن معظم الأجهزة يكون عليها من فتن ومحرمات من غناء وغيره؟

٢- وكذلك من يقول إن ماله حلال مع الإثم فكيف ذلك وأنا أعلم يقيناً وأرى بعيني أن **على الجهاز محرمات أقلها الغناء**؟ وقد قال البعض بأنه ينصح صاحب الجهاز فكيف لو أخذ النصيحة بموضع الاستهوان وأنا أعلم أنه لن يغير شيئاً؟؟ علماً بأنه من الإخوة من يعمل بالحاسب ونرى أنهم يقومون بالصيانة ولا دخل لهم بما على الجهاز... فقط أنهم لا يدخلون له شيئاً حراماً، ولكنني أجهز له الجهاز وأكون متأكداً أنه بكفاءة لتشغيل كل ما هو عليه من محرمات فهل المال حلال مع الإثم أم ماذا؟

(١) http://www.salafvoice.com/article.php?a=3559

(٢) http://www.salafvoice.com/article.php?a=3446

الجواب:

١- الذي يعمل في صيانة الحاسب الآلي إما أن يغير ما بها من منكرات ويشترط على صاحب الجهاز عدم استعماله في حرام، وإما لا يصلحه لمن يستعين به على المحرم.

٢- إذا عمل وأصلح الجهاز وهو يعلم أنه يستعمل في محرم كان تعاون على الإثم والعدوان، لكنه يستحق الأجرة؛ لأن أصل العمل مباح، وإنما أثم لعلمه باستعماله في الحرام فهنا القول بانفكاك الجهة هو الصحيح، وإذا نصح صاحب الجهاز فأظهر القبول جاز له أن يصلحه، وإن استهزأ وعلم أنه لن يعتبر فلا يصلحه له.

واستحقاق المصلح للأجرة مع الإثم يعني أنه يمكنه استعمال هذا المال في مصالحه ولا يرده للشخص الذي أخذه منه.

* * *

هل يجوز توصيل قسيس إلى كنيسة[(١)]

السؤال: هل يجوز أن يقوم سائق ميكروباص بتوصيل قسيس من بيته إلى كنيسة مخصوص؟

الجواب: لا يجوز لكَ ذلك؛ لأن ذلك من التعاون على الإثم والعدوان، فإذا علمتَ -مثلاً- أنه يذهب إلى خمارة فتوصيله حينئذٍ حرام، والكنيسة أشد من ذلك؛ فما يفعلونه فيها ويأمرون به من الكفر أعظم؛ فلا يجوز لكَ أن تعين على ذلك.

* * *

(١)- http://www.salafvoice.com/article.php?a=4255

العمل في شركة لتصنيع أمواس الحلاقة(1)

السؤال: ما هو حكم العمل في شركة لتصنيع أمواس الحلاقة؟

الجواب: في بلادنا التي عامة استعمال أمواس الحلاقة في حلق اللحية؛ **العمل في هذه الشركة تعاون على محرم:** ﴿ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة:٢]؛ **فلا يجوز.**

* * *

زيارة الأهرامات والمتاحف الفرعونية(2)

السؤال:

ما حكم زيارة الأهرامات والمتاحف الفرعونية وغيرها؟

الجواب:

المشهور أن هذه الأهرامات هي قبور الفراعنة المشركين عباد الأوثان، وقد قال النبي ﷺ: (لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوها).

فنقول: من أراد أن يذهب إلى زيارة الأهرامات فليدخل باكياً، فإن لم يكن باكياً فلا يدخل عليهم، فمن يدخل للاتعاظ والاعتبار فنعم، ولكن عامة من يدخلها إنما يذهب لمجرد النظر، وتعظيم هذه الآثار، والافتخار بأن الفراعنة قد صنعوها ونحو ذلك، وليس ممن يتعظ، والله أعلى وأعلم. فنقول: من أراد الزيارة على سبيل الاتعاظ فيجوز ذلك، ولكن يدخل باكياً كما قال النبي ﷺ.

* * *

(١) http://www.salafvoice.com/article.php?a=4225

(٢) http://www.salafvoice.com/article.php?mod=1&c=141&sc=141&a=712&back=aHR0cDovL3d3dy5zYWxhZnZvaWNlLmNvbS9hZHZhbmNlZHNlYXJjaC5waHA/Y3JpdGVyaWE9JUM3JUUxJUMyJUNCJUM3JUQxJmF1dGhvcj0md29yZG9wdGlvbj0wJndoZXJlPTEmYWw9MSZzdWJtaXQ9JUM3JUM4JUNGJUMzKyVDNyVFMSVDOCVDRCVD RCVD

الاحتراف في نادي أوروبي[1]

السؤال:

أخ لي غير ملتزم جاءه عرض لاحتراف كرة القدم من نادي أوروبي كبير جداً والأخ غير ملتزم تقريباً، فأرجو معرفة الإجابة مع الوضع في اعتبار فضيلتكم أنه غير ملتزم والنادي كبير جداً فعلاً (أقصد أن هذا بالنسبة إليه عرض لا يستطيع رفضه)، وقد طلب نصيحتي وأنا في حيرة من أمري كيف أقنعه بذلك؟

الجواب:

فقد قال النبي ﷺ : «لاَ سَبَقَ إِلاَّ فِي خُفٍّ أَوْ فِي حَافِرٍ أَوْ نَصْلٍ» رواه الترمذي وأبو داود والنسائي، وصححه الألباني، وما يمكن أن يقاس على هذه الثلاثة هو ما فيه نفع للمسلمين كالمسابقاتِ الدينيةِ وكلِ ما يعين على الجهاد.

أما الكرة فهي ملهاةٌ للشعوب، وتعصُّبٌ جاهليٌ للأندية والدول، فأخذ الأجر على مثل هذا لا يجوز، وأنت عليك النصيحة وليس عليك إلزامه.

وبالإضافة إلى عدم جواز أخذ الأجرة فإن عقده مع هذا النادي يتضمن سفره إلى بلاد الكفر والفسق والفتن، والنظر في وجوههم عقوبة فكيف بالتعامل معهم بالليل والنهار بغير الدعوة إلى الله؟! ولو وجدته مُصِرّاً فانصحه أن يتحصن بالعلم والعمل الصالح، وبيِّن له أهمية الدعوة إلى الله في وسط هؤلاء، وأهمية أن يبحث عن أقرب مركز إسلامي أو مسجد أو جمعية أو نحو ذلك ليقترب من المسلمين، وإذا أمكنه الزواج في أسرع فرصة فليفعل، ولينوِ العودةَ في أسرعِ وقتٍ.

* * *

(١)- http://www.salafvoice.com/article.php?a=3083

العمل كمفتش آثار(1)

السؤال:

أعمل مفتش آثار والعمل يكون به بعض الأشياء التي أرتاب منها مثل التعامل مع الحفر بالمقابر الفرعونية ودخولها بحكم عملي وقد تكون هذه المقابر ليست لفراعنة ولكن لأفراد كانوا عاديين، كما أنني بعد ذلك أقوم باستخراج الآثار المكتشفة بهذه المقابر وقد تكون تماثيل أو مومياوات أو أوان فخارية أو عملات وغير ذلك، مع العلم بأن هذه الآثار قد يقوم عليها دراسة تفيد الناحية التاريخية، ولكن أهم هدف لاستخراجها هو عرضها، وهذا والحمد لله ليس تخصصي، كما أنه بعملي هذا يوجد بعثات أجنبية قد أكلف بمرافقتهم، هذا كله يحدث في معظم المناطق الأثرية. فهل هناك شبهة حرمة به؟ مع العلم أنني ممكن أن أعمل بمنطقة أخرى ليس بها عمل أو غير مركزية، ولكن هذه المناطق لا يوجد فيها حضور وقد أكون مسؤولاً عن موظفين ويتطلب هذا الإمضاء لهم بدفتر الحضور والانصراف وعدم التقيد بمواعيد العمل، وذلك بعلم الإدارة وعدم تعطيل أية مصلحة للناس، فأي المكانين أفضل؟

الجواب:

لا شك أنه توجد شبهات كثيرة في عملك هذا؛ فاستخراج التماثيل المدفونة ثم عرضها وكذا عرض الموميات ولو لكفار لا يجوز؛ لأن الواجب دفن الآدمي أيًا ما كان؛ لقول النبي ﷺ لعلي -رضي الله عنه-: (اذْهَبْ فَوَارِ أَبَاكَ) لما قال له: "إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ قَدْ مَاتَ" (رواه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني)، وعرض التماثيل تعاون على الإثم والعدوان، فالمكان الآخر على ما فيه أقل شرًا.

* * *

(1) http://www.salafvoice.com/article.php?a=3340

العمل كطبيب في مستشفى تابعة لكنيسة[1]

السؤال: أعمل طبيباً وقد عرض علي العمل في مستشفى يتبع إحدى الكنائس هذا المستشفى قامت الكنيسة ببنائه وتشارك في الإشراف عليه ويذهب جزء من ريعه "أرباحه" إلى الكنيسة الراعية له فهل يجوز لي العمل في ذلك المستشفى؟ جزاكم الله خيراً.

الجواب: لا تعمل في هذا المستشفى الذي يراد بخدماته غير وجه الله – تعالى، ولا يراد بها مصلحة المسلمين، بل هو نوع من التجسس الناعم للمسلمين كخطوة لتضييع معالم الولاء والبراء ثم خطوات بعد ذلك نحْو التنصير.

* * *

تصنيع البنطلون الجينز الضيق[2]

السؤال: ما حكم المكسب من تصنيع وبيع وتسويق البنطلون الجينز الضيق الذي يلبسه معظم الشباب؟

الجواب: المال الذي يكسبه من صناعة البنطلون الجينز الضيق ماله، والإثم يقع على الشاب الذي يشتري البنطلون ثم يلبسه ضيقاً، لأنه يعمل على تجسيم عورته، ولهذا يجب ارتداء شيء طويل لكي يستر عورة الشاب.

ولكن إن كان صاحب المصنع يعلم أن الشباب يلبسه ضيقاً فيخشى عليه من التعاون على الإثم.

* * *

(١) http://www.salafvoice.com/article.php?a=3407

(٢) http://www.salafvoice.com/article.php?a=720&back=L2FydGljbGVzLnBocD9tb2Q9c3ViY2F0ZWdvcnkmYz0yMTY=

العمل في مطعم في منطقة سياحية[1]

السؤال:

أعمل في الحسابات في أحد المطاعم ليس لدينا خمور وجميع الأكل حلال، لكن المشكلة هي أن المطعم في شرم الشيخ، هل عملي حرام أم حلال؟ وهل يعتمد العمل على المكان أم طبيعة العمل نفسه؟

الجواب: عامة من يحضر من السياح يحضر في هيئة منكرة، ويأتون للتمتع بالشواطئ أيضاً في هيئة محرمة، والنوادي الليلية وسائر الفواحش والمنكرات هي مدار السياحة في هذا المكان، فأنصحك بالبحث عن مكان آخر وعمل آخر؛ لأنك ترى المنكرات كل لحظة وأنت لا تحرك ساكناً، وأظن أن القلب يسكن بعد حين تبعاً لليد واللسان.

* * *

العمل في صناعة الشموع على شكل أرقام[2]

السؤال:

أنا أعمل في مجال صناعة الشمع وأنا أصنع شمعاً على شكل أرقام وهذا الشمع يستخدم في بعض الاحتفالات مثل الاحتفال بعيد الميلاد وعيد الزواج وغيرها، مع العلم أني لا أملك الإمكانيات التي تساعدني على صناعة شمع الإنارة العادي لضعف الإمكانيات فهل هذا حرام أم لا؟

(١) http://www.salafvoice.com/article.php?mod=1&c=153&sc=153&a=1629&back=aHR0cDovL3d3dy5zYWxhZnZvaWNlLmNvbS9hZHZhbmNlZHNlYXJjaC5waHA/Y3JpdGVyaWE9JUQ0JUQxJUUzKyVDNyVFMSVENCVFRCVDRSZhdXRob3I9JndvcmRvcHRpb249MCZ3aGVyZT0xJmFsPTEmc3VibW10PSVDNyVDOCVDRiVDMyslQzclRTElQzglQ0QlQ0Imc2VhcmNoaW49

(٢) http://www.salafvoice.com/article.php?a=2587

الجواب:

فإذا كان الأغلب في استعمال هذا الشمع الاحتفالات البدعية فابحث عن عمل آخر، ولا يجوز لك الاستمرار فيه، أما إذا كان الأمر محتملاً لأمور جائزة وأخرى محرمة ولا يغلب على الظن الاستعمال المحرم، فيجوز لك العمل في هذا المجال.

* * *

حكم عمل المرأة مأذوناً[1]

السؤال: ما حكم عمل المرأة كمأذون؟

الجواب: عمل المأذون هو عمل حكومي في توثيق الأوراق وليس فيه ولاية، فليس هناك حرج في أصل الشرع، إلا أن هذه المهنة أخذت عرفياً نوعاً من المكانة والتصدر للإفتاء والبروز للناس لإشهار العقود، وكثيراً ما يكون الأمر في المسجد والمرأة ربما كانت حائضاً أو نفساء، فلا يجوز لها دخول المسجد، والناس قد تعودوا أن يرددوا خلف المأذون صيغة العقد فلا يحسن أن يرددوا خلف المرأة. والخطورة حاصلة في أمر الإفتاء وفي كثير من الأحيان لا يحسن كثير من أصحاب هذه المهن من الرجال الفتوى فكيف بالنساء؟!

فالنصيحة: إهمال التعامل مع هؤلاء النسوة حتى تضمحل هذه المفاسد؛ لأن غرض المجيزين لها تحقيق المساواة بين الرجال والنساء، وليس فقط فعل ما يجوز فعله.

* * *

(1) http://www.salafvoice.com/article.php?a=2538

العمل كهربائي في فندق خمس نجوم [1]

السؤال:

أنا حاصل على دبلوم كهرباء فوق متوسط منذ خمس سنين ولم أعمل في شركة حتى الآن ولكن أعمل الكهرباء في البيوت لمن أراد ذلك. أحضر لي أحد الأقارب عملاً كفني كهرباء في فندق ٥ نجوم فهل يجوز لي العمل فيها؟ مع ذكر العلة.

الجواب:

الفنادق الخمس نجوم تقدم الخمور لنزلائها، ولا بد من وجود حمام سباحة به، وهو مختلط بين الرجال والنساء، وغالباً ما يكون فيها ملهى ليلي، وكل هذه المنكرات تمنع من التعاون على إقامة مثل هذه المؤسسة المُعدَّة لنشر الفساد ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢].

* * *

بيع الجرائد وشراؤها [2]

السؤال:

ما حكم بيع جرائد الأهرام والأخبار والوفد وغيرها وما حكم شرائها؟ وما حكم توزيع جريدة الوسيط الإعلانية علماً بأنها تعلن عن وظائف جديدة كثيرة ولكن قد يوجد فيها بعض صور النساء المتبرجات؟

الجواب: أكثر الصحف اليوم لا تخلو من الغث والسمين، وفى الوقت نفسه قد تكون فيها تحقيقات نافعة وتحليلات مفيدة، وقد تحوي أخباراً يحتاج إليها المرء لمعرفة

(١) http://www.salafvoice.com/article.php?a=2331

(٢) http://www.salafvoice.com/article.php?a=1761

واقعه المحيط به، وربما تحوي أخباراً عن العالم الإسلامي قد تشكل جزءًا من ثقافة الداعية لا غنى له عنه، ولهذا فالأقرب والله أعلم جواز شراء مثل تلك الصحف، مع تجنب الصحف المخصصة للإذاعة والتليفزيون **أو حتى التي تعنى بأخبار أولئك الساقطين والساقطات من الفنانين والفنانات،** أو التي تعتمد على الصور العارية ونحو ذلك مما هو محرم، أما البيع فلا لأنه يشتريها العامة وغالبهم يتأثر سلباً بما فيها من منكرات وأكاذيب.

* * *

عمل المرأة في القضاء[1]:

السؤال:

هل يجوز للمرأة أن تعمل قاضيةً يتخاصم إليها المتخاصمون، سواءً في أمر من أمور الدنيا، أو أمر من أمور الدين، كحكم شرعي مثلاً، مع اعتبار أنها ستعمل بالضوابط الشرعية من حجاب شرعي، وعدم خضوع بالقول، أو خلوة إلى غير ذلك من الضوابط الشرعية، علماً بأنني لا أقصد أن تكون رئيس جمهورية، أو حاكماً، أو خليفة؛ لأني أعلم حديث النبي ﷺ في ذلك، وإنما أقصد القضاء فقط؟

الجواب: القضاء من جملة الولايات العامة التي لا يجوز للمرأة أن تتولاها، وداخل في عموم قول النبي ﷺ: (ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) رواه البخاري، وإن كانت المرأة لا تقبل شهادتها فيما يتعلق بالزنا والسرقة وغيرهما، فالأولى منعها من القضاء في مثل هذه القضايا.

وقد يمنعها أبوها أو زوجها من الخروج، فماذا تصنع عندئذ في القضايا التي تحكم فيها؟!

* * *

(١) http://www.salafvoice.com/article.php?a=932

المراجع

أولاً: كتب

أ		
إبراهيم العشيش	السلف والسلفية	دار البيارق
أحمد أمين	زعماء الإصلاح في العصر الحديث	دار الكتاب العربي- بيروت
د.أحمد زايد	سيكلوجية العلاقات بين الجماعات	سلسلة عالم المعرفة ، الكويت
	صور من الخطاب الديني المعاصر	الهيئة العامة للكتاب
	تناقضات الحداثة في مصر	ط ٢ مكتبة الأسرة ٢٠٠٦
د.أحمد أبو حاكمة " تحقيق "	لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب (مؤلف مجهول)	(بيروت ١٩٦٧)
د.أحمد صالح	صدمة الإنترنت وأزمة المثقفين	كتاب الهلال ،(يوليه ٢٠٠٥)
د.أحمد الموصلي	موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا	مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ١ ، ٢٠٠٤ بيروت
أسماء فريد الرجال	الدعاة الجدد في مصر	المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية
ابن قيم الجوزية	الطب النبوى	ط عيسى البابي الحلبي الثالثة سنة ١٩٨٠
	زاد الميعاد	ط الرسالة ، ج ١
الإمام الذهبي	معجم شيوخ الذهبي	ط ١ -دار الكتب العلمية ، بيروت
الشريف الجرجاني	كتاب التعريفات	مكتبة لبنان ط ١٩٨٥
الإمام القرافي	الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام	مطبعة الأنوار، ط ١ ١٩٣٨م ١٣٥٧هـ
الإمام الدهلوى تحقيق (السيد سابق)	حجة الله البالغة	دار الجيل ط ١ ٢٠٠٥
أشرف طه أبو الدهب	المعجم الإسلامي	دار الشروق
د.أسامة الباز	مصر في القرن ٢١ (تحرير)	مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ط ١٩٩٦

التهانوي	كشاف اصطلاحات العلوم والفنون	ج١، ط لبنان ، ط ١، ١٩٩٦
ب		
د.بشير موسى نافع	الإسلاميون	مركز الجزيرة للدراسات، ط ١- ٢٠١٠
بدر عقل	توظيف الفساد	الدار العربية
ج		
د.جمال المراكبي	الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة	
د.جعفر عبد السلام	التجديد والحفاظ على الهوية الإسلامية	كتاب الهلال، ع ٧٠٥، سبتمبر ٢٠٠٩
د.جهاد عودة	معالم الصراع المدني في مطلع القرن الواحد والعشرين	ط مكتبة الأسرة، ٢٠٠٩
جيلز كيبل	النبي والفرعون	مكتبة مدبولي، ط ١٩٨٨
ح		
د.حسن حنفي	في فكرنا المعاصر	دار التنوير ط ٢ / ١٩٨٣
حسن السقاف	السلفية الوهابية: أفكارها الأساسية وجذورها التاريخية	ط دار الإمام الرواس بيروت
	شتائم الألباني	منشور ومُتداول على الشبكة العنكبوتية
د.حلمي أحمد شلبي	فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعي في مصر	سلسلة تاريخ المصريين
خ		
د.خالد منتصر	وهم الإعجاز العلمي	دار العين للنشر، ط ١، سنة ٢٠٠٥
خير الدين الزركلي	الأعلام	ط ٥ دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠
ر		
د.رفعت سيد أحمد	النبي المسلح ١ - الرافضون	ط ١ / ١٩٩١ رياض نجيب الريس
	تنظيمات الغضب الإسلامي في السبعينيات	مكتبة مدبولي، ١٩٨٩
رضوان الشيباني دكتور	الحركات الأصولية الإسلامية في العالم العربي	مكتبة مدبولي، ط ١/ ٢٠٠٥
زهية جويرو	الإسلام الشعبي	دار الطليعة ، ط ١ - ٢٠٠٧

س		
سيد الشيلي	في العقيدة السلفية بين ابن تيمية وابن حنبل	
د سامية مصطفى الخشاب	دراسات في الاجتماع الديني	ط ٢ ، دار المعارف
ش		
شكيب أرسلان	إخاء أربعين سنة	دار الفضيلة ، دت
ص		
د.صوفي أبو طالب	تطبيق الشريعة في البلاد العربية	دار النهضة العربية ، ط ٥ ٢٠٠٦
ض		
ضياء رشوان	دليل الحركات الإسلامية في العالم العدد الأول	ط ١ – ٢٠٠٦ ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام
ع		
عبد المتعال الصعيدي	حرية الفكر في الإسلام	ط مكتبة الأسرة ٢٠٠٩
عبد المنعم منيب	خريطة الحركات الإسلامية في مصر	الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان ٢٠٠٩
	التنظيم والتنظير	مدبولي ، ط ١ / ٢٠١٠
عبير أمين	تزييف وعي الشباب	الهيئة العامة للكتاب
عثمان بن بشر	عنوان المجد في تاريخ نجد	مطبوعات دار الملك عبد العزيز، ط ٤ -١٩٨٢
عبد العزيز آل داود	تحولات التدين في المجتمع السعودي	(دار غيناء للنشر ، ط١ ، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م)
د.علي ليلة	الشباب العربي : تأملات في ظواهر الإحياء الديني والعنف	دار المعارف، ط ٢ ، ١٩٩٣
د.عائشة عبد الرحمن	القرآن والتفسير العصري	سلسلة اقرأ، عدد ٣٣٥، دار المعارف
د.عبد الهادي النجار	الإسلام والاقتصاد	سلسلة عالم المعرفة ، عدد ٦٣ مارس ١٩٨٣
د.عمر عبد الله كامل	التصوف بين الإفراط والتفريط	مكتبة التراث الإسلامي
	المتطرفون خوارج العصر	
عبد الله الخريجي	علم الاجتماع الديني	سلسلة دراسات في المجتمع العربي السعودي، الكتاب التاسع ، ط ٢/ ١٩٩٠

د.عبد الله شلبي	الدين والصراع الاجتماعي في مصر	كتاب الأهالي
عادل السيد	الحاكمية والسياسة الشرعية عند شيوخ جماعة أنصار السنة المحمدية	منشورات إدارة تحقيق التراث بالمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية ط١ - ٢٠٠٩
الشيخ: عبد الرحيم الوكيل	هذه هي الصوفية	دار الكتب العلمية – ط ٣/ ١٩٧٩م
	ف	
د.فؤاد إبراهيم	السلفية الجهادية في السعودية	دار الساقي ط ١ -٢٠٠٩
د.فؤاد زكريا	الصحوة الإسلامية في ميزان العقل	ط / دارالفكر للدراسات والنشر والتوزيع
فهمي هويدي	التدين المنقوص	دار الشروق ، ط ١
	م	
د.مصطفى حلمي	قواعد المنهج السلفي	دار الدعوة
د.محمد سعيد البوطي	السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي	دار الفكر
	فقه السيرة، (ط دار الفكر)	
د.محمد عمارة	معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام	ط نهضة مصر
	النص الإسلامي بين التاريخية والاجتهاد والجمود	ط . نهضه مصر
	هل الإسلام هو الحل ؟	ط الشروق
	جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام	دار الشروق ط٢/ ١٩٨٨
	الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، (تحقيق)	دار الشروق
	فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، ابن رشد تحقيق	ط – دار المعارف
الشيخ: محمد أبو زهرة	تاريخ المذاهب الإسلامية	دار الفكر العربي
الشيخ: محمد الغزالي	السنة النبوية بين أهل الحديث وأهل الفقه	دار الشروق ، ط ١٤ / ٢٠٠٦
	دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين	ط دار الشروق
محمد حامد الفقى	أثر الدعوة الوهابية فى الإصلاح الديني والعمراني فى جزيرة العرب وغيرها	

محمود أبو رية	جمال الدين الأفغاني: رسالته، ورسالته، ومبادئه	المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٦
عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ	مشاهير علماء نجد وغيرهم	دار اليمامة ، ط ٢ / ١٣٩٤هـ
محمد جلال كشك	السعوديون والحل الإسلامي	ط ٣ / ١٩٨٢
د.محمد البهي	الفكر الإسلامي في تطوره	مكتبة وهبة ، ط ٢ / ١٩٨١
د.محمد عابد الجابري	الخطاب العربي المعاصر	مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١ / ١٩٨٢
د.محمد عبد العزيز داوود	الجمعيات الإسلامية في مصر ودورها في نشر الدعوة الإسلامية	ط / الزهراء للإعلام العربي ١٩٩٢
د.محمد عبد الله دراز	الدين	ط دار القلم
د.محمود يوسف	محاضرات في الدعاية الدولية	دار الإيمان - ٢٠٠٥
	الاتصال المباشر	دار الإيمان - ط ٢٠٠٨
د.مصطفى الشكعة	إسلام بلا مذاهب	الدار المصرية اللبنانية
د.محمود حمدي زقزوق	الدين والفلسفة والتنوير	سلسلة اقرأ
الإمام محمد عبده	الإسلام بين العلم والمدنية	دار المدى
د.محمود إسماعيل	الإسلام السياسي بين الأصوليين والعلمانيين	مؤسسة الشراع العربي ، ط١ ، ١٩٩٣
د.محمد فتحي عثمان	السلفية في المجتمعات المعاصرة	دار القلم للنشر والتوزيع ، ط ١٩٩٢
د.محمد مورو	تنظيم الجهاد	
د.محمد أبو الإسعاد	السعودية والإخوان المسلمون	مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان
الشيخ محمود بن الجميل	اللحية لماذا؟	رحمة للنشر والتوزيع
	ن	
د.نجلاء محمود المصيلحي	الخطاب الإسلامي والتنمية في المجتمع المصري	مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية،٢٠٠٩
د.نصر حامد أبو زيد	نقد الخطاب الديني	سينا للنشر
د.نبيل علي، د.نادية حجازي	الفجوة الرقمية	سلسلة عالم المعرفة عدد ٣١٨ أغسطس ٢٠٠٥

نبيل شرف الدين	أمراء ومواطنون	مكتبة مدبولي ١٩٩٨
د.نادية مصطفى، د.إبراهيم غانم	حال تجديد الخطاب الديني في مصر	(ط مكتبة الشروق الدولية) – مجلد ٢
ي		
د.يوسف القرضاوي	الدين والسياسة	ط المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث ٢٠٠٦،
	خطابنا الإسلامي في عصر العولمة	دار الشروق، ط ١/ ٢٠٠٤
	في فقه الأولويات	مكتبة وهبة

ثانياً : دوريات وموسوعات

خليل علي حيدر	التصور السياسي لدولة الحركات الإسلامية	سلسلة محاضرات الإمارات، ط ا/ 1997
هاني نسيرة	القاعدة والسلفية الجهادية الروافد الفكرية وحدود المراجعات	كراسات استراتيجية، عدد ١٨٨ – يونيو ٢٠٠٨، مركز الأهرام للدراسات
على الفقي	ثقافة التشدد	المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية فبراير ٢٠٠٨
معهد كارنيجي الأمريكي للسلام	نشرة الإصلاح العربي الصادرة	بتاريخ ٩ مارس/ آذار، ٢٠٠٩
نبيل عبد الفتاح	بناء شبكات إسلامية معتدلة	سلسلة ترجمات يصدرها المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، نوفمبر ٢٠٠٧
الندوة العالمية للشباب الإسلامي	الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة	
د. عبد الوهاب الكيالي	موسوعة السياسة	المؤسسة العربية للدراسات والنشر
د.عبد المنعم الحفني	موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية	دار الرشاد، ١٩٩٢

جرائد ومجلات ومقالات

جريدة العرب	الحركات الإسلامية في الوطن العربي (ملحق خاص)	عدد : ٧٥٨٨ بتاريخ٢٢ مارس ٢٠٠٩
جريدة الأهرام	الفضل للمتقدم د.جابر عصفور	الاثنين ٢١ سبتمبر ٢٠٠٩
	الخطاب الديني في الفضائيات الإسلامية د. حسن علي محمد	الخميس٢٥/ ٣/ ٢٠١٠
جريدة الدستور المصرية		
	د.قدري حنفي حوار	عدد ٢٥٤ بتاريخ ٢٧/ ١/ ٢٠١٠
	د.محمد المهدي	ع ٢٠١، بتاريخ ٢١ يناير ٢٠٠٩
جريدة الشروق	د. علاء الأسواني (مقال)	تاريخ ٢٧ يوليو ٢٠٠٩
صحيفة الوطن السعودية تركي فيصل الرشيد	لِمَ لا نسعى لمجتمع غير منحرف؟	السبت ٨ شعبان ١٤٢٩ هـ، الموافق ٩ أغسطس ٢٠٠٨م العدد ٢٨٧١)
روزاليوسف (مجلة)	عدد ١٣٥٥ الجمعة - ١١ ديسمبر ٢٠٠٩	
جريدة المصري اليوم	تاريخ ١١/ ٥/ ٢٠٠٩	
	تاريخ ٣٠/ ٥/ ٢٠٠٩	
	تاريخ ١٥/ ٧/ ٢٠٠٩	
	تاريخ ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٩	
مجلة الاقتصاد الإسلامي	عدد ٢٩١ يوليو ٢٠٠٥	
مجلة التوحيد		
	عدد ٤٥٩ ربيع الأول ١٤٢١هـ	
	عدد 460٤٦٠ ، ربيع الآخر ١٤١٣ هـ	
	عدد ٤٥٧، محرم ١٤١٣هـ	

فضائيات

"قناة الجزيرة"	د.عصام البشير ، برنامج الشريعة والحياة	بتاريخ ٩/ ٨/ ٢٠٠٩

مواقع إنترنت

موقع ويكيبيديا		www. ar.wikipedia.org

د. ياسر برهامي	السلفية ومناهج التغيير مقال منشور بمجلة صوت الدعوة	http://saaid.net/book/open.php?cat=83&book=1606
موقع أنا سلفي	مبادرة السلفية لإصلاح المجتمع الشيخ سعيد عبد العظيم	http://www.anasalafy.com
موقع الشيخ ابن باز		http://ibnbaz.org
د.محمد المهدي	أنماط التدين من منظور نفسي إسلامي بتاريخ 9-2-2004	http://www.maganin.com/Articles/articlesview.asp?key=48
موقع الجماعة الإسلامية		http://www.egyig.com
أنور قاسم الخضري	التدين الجديد وأثره في تمرير ثقافة التغريب في مجتمعاتنا	http://www.dorar.net/art/62
حسام تمام	الفضائيات السلفية هل تقاوم السلفية؟ علمنة الفضائيات للتدين	http://islamyoon.islamonline.net
مصطفى شفيق علام	سلفنة الإنترنت : السلفية وتجليات التمدد بالفضاء الرقمي، موقع الإسلاميون تاريخ ٢٦-٠٩-٢٠٠٩	http://www.islamonline.net
صفية فاروق	الفضائيات الدينية .. صراع الحق والباطل : بتاريخ 21-5-2008	http://www.asyeh.com
وحيد عبد المجيد	التيار السلفي والحالة الإسلامية في مصر	http://www.alarabiya.net/views/2008/06/26/52118.html
موقع الأقباط المتحدون	- د.جودة عبد الخالق ، وهم أسلمة الاقتصاد الاثنين 30 مارس 2009	www.copts-united.com
موقع العربية		www.alarabiya.net
مونية بن صالح	الحياة خارج المجموعة الشمسية ، موسوعة الإعجاز العلمي في القر[illegible]	http://55a.net/firas/arabic/?page=show_det&id=1468&select_page
هاني نسيرة	الجمعيات الخيرية والإنسانية الإسلامية في مصر دراسة نظرية وميدانية ، دراسة مقدمة لمؤتمر باريس للجمعيات الإنسانية والخيرية ٩-١٠/١/٢٠٠٣	http://www.humanitarianibh.net/conferences/hani.htm
موقع الجمعية الشرعية		http://www.alshareyah.org

الموسوعة العربية على الإنترنت		http://encyclopedia.aarabiah.net
موسوعة المعرفة		http://kb.qcat.nct/index.php?page =index_v2&id=1010&c=74
عبد المنعم منيب	موقع شخصي	http://moneep.blogspot.com
محمد بن المختار الشنقيطي	مخاض الفكر السلفي	http://shinqiti.net/makhadh.htm
موقع جماعة دعوة الحق الإسلامية		http://www.dawatalhak.com
شبكة الألوكة		http://www.alukah.net
موقع الإسلام سؤال وجواب		http://www.islam-qa com

رسائل ماجيستير

نهال عمر الفاروق بدوي	الخطاب الديني كما تعكسه البرامج الدينية الموجهه باللغة الإنجليزية في القنوات الفضائية العربية	رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة كلية الإعلام، ٢٠٠٩

كتب إلكترونية

التفسير الشامل للقرآن الكريم	إنتاج موقع روح الإسلام
موسوعة الحديث الشريف	إنتاج موقع روح الإسلام

* * *

الفهـرس

تعريف بالمؤلف



الاســـم : أحمد زغلـول شلاطـة

المؤهـــل : بكالوريوس تجارة – شعبة إدارة أعمال

تجارة دمياط – جامعة المنصورة

تاريخ الميلاد : ١٩/ ٧/ ١٩٨٥

العنــوان : دمياط – فارسكور – الغنيمية

التليفـون : ٠٥٧-٤٤٨٣٢٠

٠١٦٠٣٦٢٠٨٥

البريد الإلكتروني : ahmedzaghloul1@gmail.com

الحالة السلفية المعاصرة

فى مصر

هناك الكثير من المُصطلحات التى نتداولها اليوم كشيء مُسلم به، وعند إخضاعها للمنهج العلمي نجد أننا أمام مشكلة كبيرة تتمثل فى تَعدد وتنوع التعريفات المتاحة وتعارضها وتشابكها بعضها مع البعض بشكل يثير اللبس والغموض.

ومن أمثلة ذلك مصطلحات مثل: " الإسلام السياسى" و"الحركات الإسلامية" و"التطرف". حيث تعاني الغالبية الساحقة من تلك المصطلحات والتصنيفات العربية، والأجنبية، من نقطة ضعف جوهرية تضع حدوداً على التعبير الدقيق.. وهي أنها تعود في معظمها إلى أصول معرفية أجنبية.. وبذلك لا تنتمي إلى المجال التاريخي والمعرفي الإسلامي الذى نشأت الحركات الإسلامية المعاصرة ضمن حُدوده وتطورت بداخله.

ولذلك فإن الأمر لا يَسلم من وجود تحيزات وقناعات معرفية وأحكام مسبقة لدى واضعي ومستخدمي هذه المصطلحات، حيث "يستند واضعو تلك المصطلحات والتصنيفات إلى جزء من خصائص بعض الحركات الإسلامية لكي يُعمموا مضمونه على الحركات كلها أو معظمها".

فلنا أن نُعرف الآن السلفية بأنها "أسلوب تفكير يميل إلى اتخاذ آراء السلف والركون إليها كما هي، واتخاذها مرجعية إلى الحياة المعاصرة في كل جوانبها". فنحن نرى أن هناك تيارات جهادية عنيفة تتخذ من السلفية أساساً لها، ومنها تستمد الشرعية من وجهة نظرها لتصرفاتها. كما أنه من المهم الإشارة إلى أنه فى حالة الجماعات السلفية السلمية فرغم أنها جماعة سلمية فإنها تكون غالباً الوسط المناسب لاختيار بعض العناصر لضمها إلى حركات العنف، حيث أن اختياراتها الفكرية التي يُؤ... طابع التشدد والتضييق في الكثير من الأحيان، ومبدأ السمع والطا... المناخ هو المجال الخصب إلى الجماعات المتطرفة، فكلا الطرفين يق... أرضية مشتركة من التشدد، وبينهما ميراث فقهي ومرجعية فقه...



مكتبة مدبولى
MADBOULY BOOKSHOP
٦ ميدان طلعت حرب- القاهرة - ت : ٢٥٧٥٦٤٢١
6 Talat harb SQ. Tel:25756421
www.madboulybooks.com - info@madboulybooks.com